



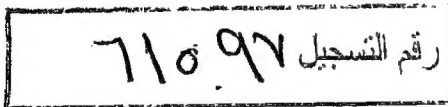
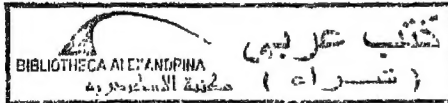
يوسف السباعي

سيرة محمد



يوسف السباعي

سيرة يوسف السباعي



يطلب من :

مكتبة مصر

شارع كل منى - القاهرة -

سعيد جوده السحار وشركاه

الإهداء

إلى الحفيد « عبد الوهاب » :
أول من قذف به من جيل الآباء إلى
جيل الأجداد . لعل جيله يحقق
للإنسانية من آمال الحرية والعدالة
وأمانى الرخاء والسلام .. ما لم
تستطع أجيالنا أن تحققه .

يوسف السباعي

مقدمة

هذه أرضك الكبرى ودنياك الحافلة ..
كرة ضئيلة فى بحر الكون المتلاطم ..
ومضة من ملايين الومضات فى السماء
الفسيحة .. لست فى الكون وحدك
إنما الله أحد .. الله الصمد ..

يوسف السباعى

١ - خفيف .. بلا جسد

هذه هى الأرض يا عبد الراضى .
مجرد كرة صغيرة .. معلقة فى الجو .. بلا ثور يحملها على قرنيه .
ماذا يبقياها فى مكانها .. وماذا يبقى الناس فوقها ؟
كنت هناك بالأمس يا عبد الراضى .. تسعى فوقها .. مع ملايين البشر
تبدون بمشاكلكم ورغباتكم وأطماعكم والغرور يملأ نفوسكم وكأنكم كل شيء
فى هذا الكون .

ومع ذلك تبدو الأرض لك .. بكل ما عليها من بشر .. من أمثالك ..
ومن غير أمثالك .. ومن كل أنواع الناس .. والمخلوقات .. والطيور ..
والحيوانات .. والأسماك .. والزواحف .. والحشرات .

تبدو الأرض بكل ما فيها من صمت وضجيج وسكون حركة .. وآمال
وآلام .. ودور وقبور .. وأراض ويحور كأنها مجرد بطيخة .. فضية
.. لامعة .. معلقة فى سقف شادر مع غيرها من البطيخ والأعلام والكلويات
فى أحد أفراح البغالة أو سيدى الطيبى .

هذه هى الأرض يا عبد الراضى ..

الأرض الكبيرة .. الكبيرة ..

والإنسان يملأ رحابها .. يمشى عليها مرحا كأنه فى الكون وحده . كم
يبدو ضئيلا .. بكرته اللامعة .. فى بحر الكون المتلاطم .. فى السماء
الفسيحة التى تتلأل فيها ملايين النجوم .. والكواكب .. ومن بينها ..
أرض الإنسان .. ومضة من ملايين الومضات التى تومض فى فسحة الكون
.. ليس الإنسان بأرضه وجبروته وحده فى الكون ، إنه جزء من ملايين

الكائنات التى تملأ رحاب الفضاء .. إنما الأحـد .. هو الله الصمد .
 هذه أرضك يا عبد الراضى .. كرة رمادية .. تحيطها الزرقة ويلفها
 السواد .

اختفت منها كل معالم حياتك ..
 شارع القصر العينى .. ودار الزمان التى قضيت فيها نصف عمرك ..
 تنتقل بين المحررين فى الدور العلوى والمطابع فى السفلى .. تحمل الأصول
 والبروقات .. والقهوة والشاي والكاغوزة والسجائر .. على الدرج الحجرى ..
 حتى تأكلت تحت قدميك درجاته .

اختفى شارع القصر العينى بدار الزمان .. واختفى سيدى الطيبى بدار
 عبد الراضى .. التى لم فيها أم عبده بأولادها واختفى الحى كله بدكاكينه
 وبيوته وأوتوبيساته المثقلة بركابها واختفت المدينة واختفت مصر .. أم الدنيا
 .. بحالها .

اختفى كل شيء ..
 لم يبق من دنياك .. سوى هذا الشيء الكروى الذى يلمع من بعيد
 والذى قال لك الأستاذ .. إنه الأرض التى كنت تعيش عليها .
 غير معقول !!

غير معقول أن تكون قد أمضيت عمرك كله .. على هذه الكرة .. دون
 أن تتزحلق وتهوى .. إلى هذا الفضاء العجيب المليء بالنجوم . ولكن من
 أين انطلقت إذن .. وفى أية بقعة فى هذا الفراغ كنت تعيش ؟ .. وأين
 أمضيت عمرك ؟ .. وأين دار المجلة ؟ .. وأين دارك ؟ .. وأين شارع
 القصر العينى وفم الخليج ؟ .. وأين .. وأين . فى مكان ما .. بين هذه
 الأشياء التى تهرق من بعيد .. لا بد أن يكون مقرك .. بلدك .. حيك ..
 وبيتك .. ومشاكلك .

ومن مكان ما .. بين هذه الأشياء التى تتناثر فى الفضاء الفسيح ..
 لا بد أن تكون انطلقت .

ومع ذلك .. لماذا تشغل نفسك بهذا كله ..
من مكان ما فى هذا الفراغ أتيت ..
ورأى هذا المكان .. ستعود ..
الذى أتى بك سيعيدك ..
المشكلة .. ليست فى المكان الذى أتيت منه ..
إنما هى فى المكان الذى وصلت إليه ..
رحلة مهيبة .. هذه التى دفع بك إليها الأستاذ ..
ضحك عليك كعادته ..
قال لك .. فركة كعب ..
وهى فعلا .. فركة كعب ..
ولكنها قذفت بك من الأرض كلها ، بدلا .. من أن تقذف بك من
القاهرة .. أو من مصر .
وكان عليك أن تطاوعه .. بعد أن تعقدت أمانك المشاكل وتعذرت
الحياة ..
لم يكن هناك ما يفريك بالبقاء على الأرض .. والمعارك على أشدها بين
زوجاتك فى البيت وبين رفاقك فى المجلة ..
والبقاء على الأرض .. دون الأستاذ .. مشكلة .. فلقد بات سندر
الوحيد على الأرض .
ولم يعد هو يشعر بالفنى عنك .. بعد أن بت تابعه الخاص .. تلازمه
فى المجلة .. وفى البيت .
وفجأة علا صوت الأستاذ من القمرة المجاورة صانحا :
- يا عبد الراضى .. عبد الراضى .
- أفندم يا أستاذ .
- فنجان شأى يا عبد الراضى .
- شأى إيه يا أستاذ .. هنا لا يوجد غير الأنايب .

— منذ أن تركنا الأرض وأنا أبتلع فى أنابيب .. وكأنى أكل صابون
حلاقة .. أو معجون أسنان .. ألا تستطيع أن توضح لنا فئجان شأى على
السبرتاية .. كما كنت تعمل فى المجلة .
— أى سبرتاية يا أستاذ .. لقد شحنونى فى الخرج كما شحنونك ..
مجردا من كل شىء .. حتى من علبة الدخان .
— وما العمل الآن .. أريد أن أغير ريقى .
— غيره على لحسة من أى أنبوبة أمامك .
— إذن تعال ناولنى أى زفتة .
— كيف آتى وأنا مشدود من وسطى .. كيميون الجبل .
— فك الحزام .. ياغبى ..
أجل .. فك الحزام يا عبد الراضى .
فك الحزام وانهض .. وافعل شيئا .. بدلا من أن تظل ملقى على
ظهرك .. كالسلاحفة المقلوبة .. فلا أظنك ستبقى .. سطيحة على ظهرك
حتى آخر عمرك .
قم وأثبت وجودك ..
سبق الأرض .. ريش النوافذ ..
افعل أى شىء .. ما دمت لاتستطيع أن تقدم فئجان شأى .. أو
تصنع فئجان قهوة .. أو تنتقل بهالبروقات بين المطبعة والتحرير .
ومد عبد الراضى يده ففك الحزام الذى يشده إلى الفراش .. وفجأة ..
وجد نفسه يثب إلى أعلى ..
وإذا بجسده يعوم على الفراش ..
وحاول أن يطبق بكفيه على طرف الفراش ... وهو لا يجد أسفله شيئا
يسند جسده ..
وصاح فى فزع :
— أستاذ .. يا أستاذ .

- ووصل إليه صوت الأستاذ فى القمرة المقابلة يهتف به :
- ماذا بك يا عبد الراضى .. ماذا حدث ؟
- الحقنى يا أستاذ .. جتنى عامت على السرير .
- وفيها إيه ؟
- جتنى متلبشة .. جتنى ليست خالصة .
- لماذا ياغبى ؟
- قلت لك يا أستاذ لاشىء يسندنى .. أنا معلق فى الهواء .
- طبعا ..
- طبعا .. كيف ؟
- لأننا فى منطقة اللاجازبية .
- الا إيه ؟
- اللاجازبية .
- يعنى إيه ؟
- هذا شىء يطول شرحه يا عبد الراضى .. المهم .. تعال .
- كيف ؟
- امش .
- أمشى كيف ؟
- كما يمشى الناس ..
- يا أستاذ .. الناس يمشون على الأرض .. وأنا ليس تحت قدمى أرض ..
- كيف أمشى ؟
- فى الهواء .
- لم أتعلم المشى فى الهواء .. لم أعمل فى سيرك من قبل ..
- اعقل يا عبد الراضى وامش .. لا بد أن تتعلم المشى فى الهواء ..
- قدم رجلا .. بعد رجل ..
- لا أستطيع .. إنى أعوم فى الهواء يا أستاذ ..

- إذن عم ..

- لقد غرقت مرة فى شبر ماء .. فى ترعة بلدنا .

- لن تغرق فى شىء ياعبد الراضى .. تحرك كما تشاء .. شوح بيديك .. وساقيك .. اترك نفسك تتساب فى الهواء .. كما تتحرك السمكة فى الماء .. والعصفور فى الهواء .

وتحرك عبد الراضى ..

ترك نفسه ينساب فى الهواء ..

سار بحذر فى أول الأمر .. كان يخشى أن يهوى فى أية لحظة . رفع قدما ليهبط بها محاولا الاستناد إلى الأرض .. ولكنها لم تهبط .. ظلت معلقة فى الهواء .. لم يفلح ثقله فى إنزالها إلى الأرض .. إما لأن شيئاً صلباً فى الهواء يقاومها .. أو لأنه لم يكن له ثقل .

اضغط على قدمك ياعبد الراضى لتوصلها إلى الأرض .. فغير معقول أن تظل معلقاً فى الهواء .. فمن يدريك .. أن يظل الهواء هكذا قادراً على حملك كالريشة .. احذر جيداً .. ياعبد الراضى .. فأنت لم تتعود شغل البهلوانات .

تحرك ياعبد الراضى .. أجل .. هكذا قدم الرجل الأخرى .

تأبى قدمك أن تهبط إلى الأرض ..

أنت خفيف يا عبد الراضى ..

خفيف كأنك تطير فى أحلامك .. أو فى غيبوتك إياها .

وأنت تميل إلى الأمام فلا يختل توازنك ولا تهوى على عنقك . بت سمكة ياعبد الراضى .. تعوم فى الهواء .. وأنت الذى كنت تغرق فى شبر ماء .

تحرك خارج القمرة .. وتمايل وتبختر .. وتأرجح كأنك فى مرجيحة الوزة ..

لذيذ هذا المشى ياعبد الراضى .. لذيد هذا التطوح والتمرجح .

رفع الله عنك عبء جسدك .. الذى أنقض ظهورك .. وبث تسرى كالنسمة الخفيفة ..

عظمك ولحمك .. والشحم الذى يكسو كرشك .. باتت بلا وزن .. لم تعد مسئولا عن حملها فى كل خطوة تخطوها .

يا بابى .. خمسون سنة ياعبد الراضى وأنت تحملها على قدميك .. بكل ما فيها من أحشاء وكرشة وفشة وكلاوى .. تحملها معك فى كل مشوار ..

كم صعدت بها .. درج المجلة .. تحملها مع البروفات .. وتهبط بها مع الأصول ..

كنت تضيق أحيانا بما تحمل .. فتحاول أن تخلص منه إلى حين .. تقذف به فى قرف .. فوق مقعد .. أو تلقى به فى يأس على المرتبة .

لكن هذا الكرم من اللحم الغليظ والشحم المتراكم والعظم الثقيل لم يدر بخلدك مرة أن تخلص منه نهائيا .. على طول ما أرهقك .. لأنه منك .. وعليك .. هو أنت ياعبد الراضى .

ولكنك الآن تسير بدونه .

حملة لم يعد من واجبك ..

شئ ما يحمله عنك .. ويجعلك تتحرك بغير تبعيته ويدون ثقله .

جميل .. جميل .. أن تسير بلا جسد .. بلا عرق يقطر من جلدك .. وأنفاس تتلاحق من شفثيك .

ونفذ من باب القمر اليسرى إلى القمر المواجهة .. حيث صيحات الأستاذ تتلاحق :

— ياعبد الراضى .. أنت فين ؟

— أنا هنا يا أستاذ ..

ووجد الأستاذ يقف فى مواجهته ..

ليس فى مواجهته بالضبط .. بل كانت قدماء فى مواجهته .. ورأسه

فى مواجهة قدميه ..

واحترار عيد الراضى ماذا يفعل وهربجد الأستاذ يقف على رأسه ..
وانتظر لحظة لعله يعتدل .. وتنحنح . وقبل أن ينطق صاح به الأستاذ فى
غيظ :

— أستظل هكذا متشقلبا ؟ .

— أنا ؟ .

— أمال أنا ؟

ماذا يقول له .. وهو يقف على رأسه ويتهمهم بالشقلبية ويطلب منه أن
يعتدل .. هل يتشقلب مثله ؟ وهل يواصلان حديثهما وعملهما فى هذا
الوضع المقلوب ؟

ولكن أيهما المقلوب .. وأين السقف وأين الأرض .. بعد كل هذه
المرجحة والمطوحة والعموم فى الهواء .. وبعد أن خلص من هذا الشيء الذى
يلصق جسمه بالأرض .. وتساوت الأرض مع الحائط مع السقف .. فى
مسألة .. الانعдал والانتقلاب .

أنت يا عبد الراضى تستطيع أن تكون معدولا .. فى أى وضع تشاء
.. بعد أن فقدت ارتباطك بالأرض .

فانقلب لتواجه الأستاذ .. وليكن هو مقياس الانعдал بالنسبة لك .

· ووقف عبد الراضى أمام الأستاذ عبد اللطيف .

ونظر الأستاذ إليه متسائلا فى غيظ :

— لم تستطع أن تحضر معك عدة الشاى يا خائب .

— كيف أحضرها .. بعد أن أدخلونا فى حجرة التجهيز وجردونا من كل

شئ .. وأدخلونا فى هذا الجراب .. كيف أستطيع أن أحضر أى شئ معى ؟

— كما أحضرت أنا زجاجة الويسكى .

وانحنى الأستاذ ومد يده أسفل الفراش فأخرج زجاجة ويسكى وقذفها

إلى عبد الراضى .

ومد عبد الراضى يده فى سرعة محاولا تلقفها قبل أن تسقط .. وضربه الأستاذ على يده وهو يقول ضاحكا :

— ماذا تفعل ياغبى ؟

وعاد عبد الراضى يحاول الإمساك بالزجاجة والأستاذ يجذب يده والزجاجة معلقة فى الهواء .. وقال عبد الراضى ثنى خوف :

— أمسكها قبل أن تسقط . ويضيع الويسكى .

— يا جردل .. لا شىء هنا يسقط .. ولا شىء يضيع .

ومد الأستاذ يده فدفع زجاجة الويسكى فتحركت قليلا ولكنها لم تسقط .. وظلت معلقة فى الهواء .

وأمسك بالزجاجة ثم رفع السدادة وأمالها قليلا وعبد الراضى يصيح

— ماذا تفعل ياأستاذ ؟

— اسكت أنت .

وهبطت بضغ قطرات ظلت معلقة فى فوهة الزجاجة كأنها حبات الكهرمان .. ومد الأستاذ شفتيه فالتقط الحبات وقال باستطعام :

— لذيدة .. تأخذ رشقة ؟

— لا .. ليس لى فيه .

— لماذا ؟

— حرام .

— والأشياء التى تلبعها ؟

— لم يرد بخصوصها نص .

وعاد الأستاذ يميل الزجاجة ويلتقط من فوهتها الحبات الصفراء .. وهو يقول :

— شىء على ما قسم .. نغير به الريق بدل الشاى .

ومر الأستاذ بلسانه على شفتيه يمسخ به معلق بهما من قطرات السائل الأصفر .. وعاد يقول :

—والآن ماذا سنفطر ؟

وهز عبد الراضى رأسه قائلاً فى قمن :

— لو ساندوتش فول من على ناصية الشارع ..

— لاتذكرنى يا عبد الراضى .. ليس أماننا غيرأنايبب المعجون ..

ولكن لماذا لا نرى الجماعة .. فقد يكون أحدهم أخفى شيئاً كالزجاجة التى أخفيها فى الجراب .. دعنا نحاول المقايضة .. كأس الويسكى بواحد فول ..

وسرى الأستاذ من باب القمرة ووراءه عبد الراضى .. وقال الأستاذ :

— لم يعد يعرف الإنسان رأسه من رجليه .. أين السقف وأين الأرض يا عبد الراضى .. هل نسبر عدل .. أم نحن فى حالة شقلبية ؟
— سنعرف عندما نرى أول شخص نصادفه .

ولم يكذب عبد الراضى ينتهى من قوله حتى أبصر بالسيدة شهيرة تقترب منهما .. وقال الأستاذ وهو يراها فى وضع مائل على وضعهما :
— عجيبة .. لا هى مقلوبة ولا معدولة .. إنها تسير بالورب .
وقال عبد الراضى فى ثقة الحبير:

— تسير على الحيط !! فى الأرض .. عندما كنا ندخل قافية .. كان أحدنا يقول للآخر .. أمك .. إسمعنى .. تمشى على الحيط .
وهنا .. لم يعد الأمر نكتة .. إن الأستاذة تمشى فعلاً على الحيط .
وقالت شهيرة مجيبة :

— صباح الخير يا أستاذ عبد اللطيف .. صباح الخير يا عبد الراضى ..
كانت رحلة عجيبة .. كانت فظيعة فى أولها .. كنت أشعر أن المقعد سيتحطم من أسفلى من فرط الضغط عليه .. وكنت أشعر بقوة هائلة تجذبنى إلى المقعد .

وهمس عبد الراضى متمتما :

— لم أشعر بشيء .. بعد البلبوعة التى تناولتها .. إنها الشيء الوحيد

الذى استطعت إخفاه .

وعادت شهيرة تقول :

ـ ولكن الشقل أخذ يخف .. وبدأت أرى الأرض بأنهارها وجبالها
وبحورها وقاراتها الخمس .. وبالسحب وظلالها الخفيفة تنعكس عليها ..
وجدت البحار قائمة تلمع فيها نقط بيضاء ..
ولم يبد على أحدهما الاهتمام كثيرا بالبحار التى تلمع فيها النقط
البيضاء .

فإن ما يشغل الأستاذ هو شىء يفطر به غير هذا المعجون .

واعدتت شهيرة لتواجههما قائلة وهى تضحك :

ـ أول مرة أمشى على الحائط .

ثم أردفت وهى تحاول جرهما إلى قمرتها قائلة :

ـ هل رأيتما منظر السماء والنجوم والأرض ؟ .. سأسجل سبقا صحفيا
رائعا .. بكل هذا الذى أراه .. هل تريان كيف تلمع النجوم ؟! وكيف تبدو
الأرض كلؤلؤة تحاط بهالة زرقاء خفيفة تتدرج إلى اللون التركوازى ثم الأزرق
الداكن ثم البنفسجى ثم يلفها بعد ذلك السواد الفاحم .. هل رأيتما مجموعة
ألوان أجمل من هذه ؟ .. أى رسام يمكن أن يبدع مثل هذا المنظر الرائع ..
وكان عبد الراضى يعرف المنظر جيدا .. منظر البطيخة المفضضة المعلقة
فى سقف الشادر .. وكان كل ما يشغله .. هو كيف تقف الكرة فى مكانها ؟
.. وكيف تلم كل ما عليها من ملايين المخلوقات .. دون أن تتزلق من على
سطحها ؟ .. وكان كل ما يريد معرفته .. هو أين القصر العيى .. وأين قم
الخليج ؟ ..

وتظاهر عبد اللطيف بمشاركة شهيرة الإعجاب بالمنظر وهو يقول :

ـ رائع .. عجيب .

وردت شهيرة وهى تشهق فى إعجاب :

ـ سيوحى إليك هذا كله .. بقصة لم تكتب مثلها .. وسيلهمك بقصائد

رائعة .. منظر السماء .. والنجوم والأرض .. بما يحيط بها من ألوان
عجيبة .

وقال عبد اللطيف مرددا دون أن يعرف ماذا يمكن أن يكتب عن هذا
.. أكثر مما قالته :

.. طبعاً .. طبعاً .. وإلا لما كانت للرحلة فائدة ولذهب كل هذا المجهود
سدى ..

وانتفت إليها قائلاً ببساطة :

.. هل لديك شيء يؤكل ؟ ..

وتساءلت في دهشة :

.. هل أكلت كل ما عندك ؟

.. أقصد شيئاً يؤكل .. بما نأكل على الأرض .. شيئاً .. لا يذكرنا ..

بالكولينوس .. والبالموليف ..

.. ماذا تقصد ؟ ..

ورد عبد الراضى ببساطة :

.. الأستاذ يريد .. ساندويتش فول .

وبدت على شهيرة الدهشة .. وهتفت قائلة :

.. عبد اللطيف .. أتريد ساندويتش فول .. هنا في الفضاء ؟ !!

ورد عبد اللطيف :

.. ليس بالضبط .. أريد أى شيء يؤكل .. فول .. جينة .. طعمية ..

بسطرمة .. أى شيء غير هذه الأنايبب السخيفة .

.. تأخذ أقراص ؟ ..

.. أقراص إيه يا شهيرة .. أريد شيئاً يغمس .. إن شالله بامية .

.. تريد بامية فى مركب فضاء يا أستاذ عبد اللطيف .. لو سمعك قائد

المركب .. لظنك جنتت ..

وقال عبد اللطيف فى يأس :

– خلاصة القول إنك لم تهربى شيئا معك ؟
– أهرب شيئا .. أهرب أكل ؟ .. طبعا لا .
ونظر عبد اللطيف إلى الأحمر فى شفتيها .. وإلى الكحل فى جفنيها
ورد مؤكدا :
– طبعا .. لم تهربى أكل .. هربت أشياء أهم من ذلك .. رغم أن
عينيك وشفتيك فى غير حاجة إلى ماهريته من أجلها .. إنها ما زالت أحلى
.. ما فى الكون ..
وردت شهيرة باسمه :
– كنت أظنك ستجد إلها ما جديدا .
– مازلت عند رأى الكاتب « الإنسان قبلة الإنسان ومالذ الآدمى
كالآدمى » .
– حتى فى الفضاء ؟
– لا ينح الكائنات التى حولنا قيمة .. إلا إنسان نجبه .. فى أى مكان
حتى فى الفضاء .
– مازلت تتحدث كإنسان على الأرض .
– وهل غير البعد عنها تركيبنا ؟
– لا أظن ..
ثم أردفت ضاحكة :
– وإلا لما أصررت على ساندويتش الفول ..
– إذن دعينا نذهب إلى أبيك لعل عنده شيئا مفيدا .
وهز عبد الراضى رأسه فى يأس :
– نجد عند الدكتور عبد الحبيب .. ساندويتش فول .. أهذا معقول ؟
– عالم كبير ومخترع خطير مثله .. لا يستطيع أن يطعمنا شيئا غير هذه
الأنابيب ؟
وأجابت شهيرة :

— سيطعمك أقراصا .

— ياساتر ..

وعاد عبد اللطيف يقول :

— قد نجد عند الباشمهندس عبد القادر شيئا ..

وردت شهيرة :

— لو عند الباشمهندس .. ساندوتش قول .. فلماذا يعطيه لك .. إنه إما

يعطيه للقائد .. أو يأكله ..

وقال عبد اللطيف :

— إذن نسأل القائد ..

وردت شهيرة :

— القائد رجل جد .. ولا يحب الغلط .. إنه يحب الضبط والربط .. أكل

من الأنايبب يعنى أكل من الأنايبب .

— وإلى متى سنظل نأكل .. هذا المعجون ؟

— حتى نهبط إلى الكوكب الآخر ..

وتساءل عبد الراضى :

— وفى هذا الكوكب .. هل سنجد عيش وغموس .. هل سنجد للأستاذ

ساندوتش ؟

— من يدري يا عبد الراضى .. قد نجد كل مانريد وقد لا نجد شيئا أبدا .

٢ - الزوجة السادسة

استقرت مركبة الفضاء بمن فيها فى مدارها داخل منطقة اللاجاذبية
استعدادا للنزول إلى الكوكب الآخر .

وعاد عبد اللطيف يسرى مع عبد الراضى فى ممر المركبة بعد لقاء مع
الدكتور عبد الحبير العالم الألكترونى والمهندس عبد القادر مهندس السفينة
والكايتن عبد المهيمن قائد السفينة .

وقال عبد اللطيف وهو يتجه إلى قمرته :

— تذكرنى المركبة بديزل أسوان ..

— لم أجرب غير قطار الصعيد .. نمت به مرة على رف البضائع وأنا
طفل .. ومرة تكومت تحت أحد المقاعد ... هنا نعمة .. المهم ربنا يستر
حتى نعود إلى الأرض سالمين .

ودخل عبد الراضى إلى قمرته .. واستقر على فراشه .. طافيا فوقه ..
ناظرا بعينه إلى ما وراء النافذة ..

إلى الكرة المستديرة الرمادية المحاطة بألوان الطيف .

أو إلى بطيخة الفرج .. الفضية المعلقة فى سقف الشادر .

كان هناك بالأمس . كبقية خلق الله المحشورين على سطحها .. فى
دورها وأسواقها .. وأوتوبيساتها .

وضاقت به .. أو ضاقت بها ..

وسأله الأستاذ ذات ليلة وهو يجلس فى حجرة مكتبه بالمجلة بعد أن دفع
المقعد بجسده الممتلىء إلى الخلف ومد ساقيه فى استرخاء وتناول رشفة طويلة
من فنتجان الشاى الذى أحضره إليه .

- هل تأتى معى يا عبد الراضى ؟

- إلى أين ؟

- بعيدا عن هذه الأرض .

وهز عبد الراضى رأسه وابتسم .

كان الأستاذ دائما يتحدث عن السماء .. والموت .. والجنة .. والجحيم .. ويخبره مازحا .. أنه لا يستطيع أن يترك الأرض بدون .. وأن عليه أن يدبر أمر اللحاق به عندما يموت .. وأنه سيحجز له مكانا فى الجحيم .. ثم يتوسط له للذهاب إلى الجنة بعد أن يقضى مدته فى الجحيم .. وكان عبد الراضى يحب الأستاذ .. يحب فيه صفاء ونقاء .. وطيبته ومرحه ..

وكان يشعر أنه الوحيد الذى يستطيع أن يلجأ إليه .. ليشكو همه .. ويطلب عونه عندما تتأزم به الحياة .. وهى كثيرا ما تتأزم .

كان شيئا آخر غير بقية المحررين والموظفين الذين تمتلئ بهم الدار .. لم يكن يجد حوائل من الكلفة يمكن أن تحول بينهما .. كان يستطيع أن يترك نفسه معه تنساب على سجيتها .. دون حرج أو تهيب .. كان بينهما ما بين الأب والابن .. ولم يكن يستطيع أن يحدد بالضبط من منهما الأب ومن الابن ..

كان يقف منه موقف الأب عندما يراه مرهقا بالسهر أو بالعمل أو بالشراب فيقول له آمرا :

- قم يا أستاذ .

- إلى أين ؟

- إلى البيت .. وكفاك سهرا .

- ولكنى على موعد مع ..

- لن تلقى أحدا بعد الآن .. سنذهب لننام .. وسأذهب معك حتى أبيت

عليك .. وأغلق عليك باب الشقة .

— اذهب أنت ونم إن كنت قد تعبت .. أوكنت قد اشتقت إلى زهرة ..
 — لم أتعب ولم أشتق إلى أحد .. لقد أصبحن كلهن كالهم على
 القلب .. ولكنى أريدك أن تستريح .
 وعندما كان يطرق باب الأستاذ سائل .. يخرج المحفظة ليعطيه ما بها ..
 كان يدخل ليقول ناهرا :
 — هل تجد النقود فى الطريق ؟
 — لماذا ؟

— هذا الذى أعطيته .. نصاب ابن نصاب .. قال لك إن أمه مريضة
 بالمستشفى .. وأنا أعرف أنه أخذ إعانة من الإدارة فى العام الماضى لدفعها .
 — لا بد أن تكون المشكلة التى لديه أخطر عنده من أمه مادام يستعين
 على حلها مرة بموتها ومرة بمرضها ... كل إنسان وله مشكلة ياعبد
 الراضى ..

وكان عبد الراضى يقف منه موقف الابن المذنب عندما تمسك المشكلات
 بخناق .. فتأتى أم عبده لتشكوه لأنه ضربها علقه ساخنة .. فيناديه الأستاذ
 لتقريعه وتأنيبه ..

وكان يقف أمامه كالطفل عندما يطلب منه جلبابا على العيد ..
 أو يعتذر عن نومه للظهر عقب سهرة فى حلقة ذكر أو مولد أو فى غرزة .
 وتوثقت أواصر الصلة بين الاثنين على فرط التباين والتناقض بينهما
 حتى لم يعد لأحدهما غنى عن الآخر . وبات الأستاذ يشعر بأن شيئا ينقصه
 فى غياب عبد الراضى ... وأصبح عبد الراضى لا يكاد يتصور كيف يكون
 العمل فى المجلة بغير وجود الأستاذ عبد اللطيف .

وفى تلك الليلة عندما سأله أن يأتى معه بعيدا عن الأرض لم يشك فى
 أنه يمزح فأجابه كعادته :

— أذهب معك .. حتى إلى الجحيم .. فالحياة بدونك لاتسرى بصلة .
 ونظر إليه الأستاذ قائلا :

- لن تذهب إلى جهنم يا عبد الراضى ..
 - بعد كل ما فعلناه ؟
 وضحك الأستاذ قائلا :
 - لم يحن الوقت بعد .. مازالت فى العمر بقية .
 - إلى أين سنذهب إذن ؟
 - إلى السماء .
 - تعنى إلى الجنة ؟
 - أعنى ما أقول يا عبد الراضى .. إلى السماء فقط . لاجنة ولا جهنم .
 وأحس عبد الراضى أن الأستاذ ليس لديه عمل وأنه يريد أن يضيع
 وقتا فى الدردشة .. ولم يكن لديه القابلية لكلام ولكن كره أن يصدّه فقال
 يسايره :
 - تعنى أننا سنمكث .. تحت الحساب ؟
 - أى حساب يا غبى ؟
 - مادمنّا سنصعد إلى السماء دون أن نذهب إلى جهنم أو الجنة فلا بد
 أن تكون وقفنا فى انتظار الحساب .
 - لن نصعد إلى السماء أمواتا .. بل أحياء .
 وهز عبد الراضى رأسه موافقا وأجاب فى اقتضاب لكى ينهى الحديث:
 - حاضر .. سأأتى معك إلى السماء وقتما تشاء .. عن إذنك الآن ..
 لأن أم عبده تعاركت مع زهرة .. وهى مصرة على أن تذهب إلى البوليس .
 وهم بالانصراف ولكن الأستاذ هتف به فى غيظ :
 - يا غبى أحدثك عن الصعود إلى السماء فتحدثنى عن أم عبده
 وزهرة .
 - السماء تنتظر فى أى وقت يا أستاذ .. ولكن أم عبده ستخرب بيتى
 إذا لم ألحق بها وألمها ..
 - السماء لن تنتظر .. لقد حدد موعد الرحلة . هل تريد أن تأتى معى

أم لا ؟

وأجاب عبد الراضى لينهى الحديث :

— أجل .. أجل .. سأذهب معك فى أى داهية ... فقط دعنى الآن
الحق بالولية ..

لم تكن حياة عبد الراضى بالحياة السهلة ..

وهو يعرف أن الحياة بالنسبة لأى إنسان فى هذا الزمن لم تعد بالأمر
البسيط الهين .. ولكنه مع يقينه من هذا يأبى إلا أن يزيد بها تعقيدا
بتصرفاته الحمقاء التى لا يدرك حماقتها إلا بعد أن تفرقه فى المشاكل حتى
أذنيه ..

بدأ عبد الراضى العمل فى المجلة منذ سنوات عديدة .

حضر إليها أول مرة عندما كان يعمل عتالا فى مخزن الورق بمطبخ
صهوة إحدى بويينات الورق المحملة على عربة كارو خرجت تحمل الورق من
المخزن فى شارع فاروق .. متجهة إلى العتبة فشارع عبد العزيز مخترقة
عابدين إلى الدواوين إلى القصر العينى .. ووقفت به أمام البناء العتيق الذى
تشغله المجلة والذى علقت على بابه لافتة عريضة كتب عليها اسم المجلة
« الزمان » .

وتعود بعد ذلك أن يحضر إلى المجلة كل أسبوع ليحمل الورق من
العربة إلى البدروم ، حيث مخزن الورق والمطابع . ويتناول فتجان شاي مع عم
جودة حارس الدار وفراشها الوحيد ..
وذاث يوم حضر فلم يجد جودة ..

وعلم من الحاج عبد العزيز ريس المطبعة أن جودة مات ودفن منذ بضعة
أيام .. وإنهم فى حاجة إلى من يحل محله .
ولم يطل التفكير بعبد الراضى ..
هذه فرصة العمر .. أتاحها القدر له لكى يخلص من مشقة الحمل الذى
يكاد يقضم ظهره .

إن عمل جودة ليس بالعمل المرهق .. وإن السن تتقدم به .. وذراعيه لم تعودا تقويان على رفع الأحمال التي تعود حملها بسهولة فيما مضى .. وساقيه أصبحتا ترتجفان أسفل الحمل كلما خطا بهما خطوة أو صعد بهما درجة .

قد تكون السن لم تتقدم به إلى حد الاعتزال .. فما زال رفاقه من العتالين .. والحمالين .. يؤدون مهمتهم في يسر .. ولكنه هو قد انهك بدنه .. استغله كثيرا في أشياء غير واجبات المهنة .. أشياء أكثر متعة .. من ثقل البضائع ..

النساء قد استنفدن قدرا من قواه .. وسببن له قدرا من المشاكل .. ولكنه لا يستطيع الاستغناء عنهن .

تزوج حتى الآن خمسا .. خلص نهائيا من ثلاث . وانتهى من كل مشاكلهن .. مات من مات من الأولاد وكبر من كبر .. فاشتغل الأولاد وتزوج البنات . وخرج الجميع من حسابه .. ولم تعد تربطه بهم إلا رابطة الذكرى .. أو الصدقة .

أما الرابعة - زنوية - فهي تأبى أن تخلصه .. وهي تشده بأولادها .. إلى المحكمة من يوم إلى آخر .. وتهده في كل وقت ..

والخامسة تعيش معه بأولادها الثلاثة في سيدي الطيبى قرب فم الخليج ..

مشكلته معها الآن قد باتت تنحصر .. في إصرارها على تعليم أولادها الثلاثة لكي يصبحوا أفندية وموظفين .. بينما هو يصر على إلحاقهم بمهنة من المهن .. ترزى أو نجار أو مكوجى لكي يتعلموا شيئا يرتقون منه ولكي يساعده على تكاليف الحياة .

ولقد اضطر أن يخضع لها حتى يخلص من إلحاحها .. وذهب الولدان الصغيران حسن وسيد إلى المدرسة .. ورفض عبده الأكبر الذهاب إلى المدرسة وأصر على أن يعمل صبي نجار عند الأسطى زينهم .

وأُم عبده تظنه يجلس على كنز .. فهي لا تفتأ تخرج له كل يوم بطلب جديد
من أجل المدرسة .. يوم ثمن مرايل .. ويوم ثمن صنادل .. ويوم كراريس .
وزنوية تهدده بين يوم وآخر بحكم النفقة .. لها ولأولادها .. وهو لا
يعرف إلى متى سيظل مشدودا من عنقه إلى هذا القطيع ..
لقد كان كل ما يريده منهن .. ليالى ممتعة .. يستمتع فيها .. بأجسادهن
الطرية المثلثة .. ولكنه لم يكن يدرك .. أنها ستقلب عليه بمثل هذا الهم
والغم .

وهو لا يتعظ بعد كل ما خاض من تجارب الزواج ..
ولكن ماذا يفعل .. ولا سبيل إليهن إلا بالزواج ؟ !!
على أية حال .. توبة ..
المهم الآن أن يستقر فى هذا العمل المريح .. الذى يلوح له به القدر ..
لقد مات جودة !! رحمه الله رحمتين .. رحمة على فنانين الشاى التى كان
يقدمها إليهم .. ورحمة على العمل المريح الذى يورثه إياه .
المهم هو ألا يترك الفرصة السانحة تفلت .
وقذف عبد الراضى بالبويينة من فوق ظهره إلى الأرض ونظر إلى الحاج
عبد العزيز وهو يرتدى البدلة الزرقاء الملونة بأحبار المطبعة وقال متسائلا :
- هل أستطيع أن أعمل عندكم بدل جودة الله يرحمه ؟
ونظر إليه الحاج عبد العزيز نظرة فاحصة ثم هز رأسه موافقا :
- ولم لا ؟ .. أنت رجل طيب .. ولست أظن فى العمل شيئا
يستعصى عليك ..
- ربنا يكرمك يا حاج ...
- كل ما هو مطلوب منك هو أن تقضى حاجات المحررين والموظفين ..
وتحرس الدار ..
- سأضعها فى عيني .
- وأن ترتدى ثوبا غير هذا الثوب الممزق .

- عندى جلباب يعجبك أرنديه فى الخروج .
 - انتهينا .. تعال غدا وسأخبر مرزوق أفندي المدير . .
 وفى اليوم الثانى بدأ عبد الراضى عمله فى الدار ..
 بدأه بشىء من الرهبة . .
 خشى فى أول الأمر أن تكون هناك أشياء تحتاج إلى خبرة لا يملكها ..
 وكل خبرته السابقة لاتتعدى حمل الأشياء ونقلها إلى مكان آخر ..
 ولكن بمرور الأيام .. ألف الدار .. واعتاد العمل .. ولم يكن فيه شىء
 يحتاج إلى خبرة جديدة ..
 مجرد انتقال بين الحجرات وبين الأدوار .. وتقديم فناجين القهوة والشاى
 .. ونقل أوراق من هنا إلى هناك .. وشراء سجائر من بائع السجائر .. أو
 إحضار ساندوتشات القول والطعمية .. من دكان الحاج زكى على الناصية .
 وعرف عبد الراضى بقية الشخصيات التى تدور فى محيط عمله ..
 عرف قيمتها وأهميتها .. وطبيعتها ..
 كان أهمها طبعاً فتوح بك صاحب المجلة والمقرر لمصائر كل العاملين بها
 .. وكلمته فى النهاية هى الأخيرة .. هو الذى يعين وهو الذى يفصل . وهو
 الذى يرقى ويكافئ ويجازى .
 ولم تكن علاقة عبد الراضى تتعدى تقديم القهوة أو الشاى أو حمل
 الأوراق من مكتب سكرتيرته أو إلى مكتب سكرتيرته .
 ولقد أحس منه برهبة فى أول الأمر .. باعتبار أنه البهيم الكبير .. أو
 صاحب الدار ..
 ولكن الأيام أضاعت الرهبة الموهومة .. فقد كان الرجل خلال العلاقة
 الضئيلة القائمة بينهما .. رقيقاً كريماً .. هاشاً متواضعاً ..
 يشكره إذا قدم له القهوة .. ويمنحه قرشاً بين آونة وأخرى .. وفى
 الأعياد لا ينسى العيدية .. وبين آونة وأخرى يسأله عن أولاده .. بصفة
 عامة .. أشاع الطمأنينة فى نفسه .. ولم يحس له ماتوهمه من خطورة ..

وماتوقع من عجرفة ..

الرجل الذى بدا أشد خطورة وأكثر عجرفة هو الأستاذ مرزوق المدير ..
فلقد كان فعلا يسك بيده بالإضافة إلى المنشأة البيضاء التى تخلع عليه نوعا
من المهابة .. السلطة التنفيذية فى الدار . هو الذى يوصى بالذكرات وهو
الذى يطلب العقاب أو يسأل الترقية أو المكافأة .. وهو الذى يمنح القروض ..
والأذونات والإجازات ..

وكان عبد الراضى يتجنبه ما أمكن .. فهو لا يتوقع منه خيرا .. وكان
يحس أن عليه أن يخصه بمزيد من الاحترام والنفاق .. خشية أذاه واصطيدا
لمرضاته .

وثالث الكبراء فى الدار كان الأستاذ زهران .. رئيس التحرير .. ولم
يكن عبد الراضى .. يخشاه .. ولم يكن يحبه ..
لم يكن يخشاه لأن الرجل لم يكن به ما يفرض على الناس خشيته ..
بل على التقيض .. كانت كل مظاهره .. محاولة ملحة لاستجلاب حب
الناس ...

بالابتسام الواسعة .. والكف المرحبة .. وبكلمات الإعزاز ..
والمجاملة .. لكل الناس .

ولكن الجهد المبذول فى استجلاب الحب .. لم يكن يسنده فى التركيب
الطبيعى له .. ما يفرض هذا الحب على نفوسهم ..
ولم يكن عبد الراضى يعرف لماذا .. لا يحبه .. رغم تحياته الرقيقة
وابتسامته المرحبة .

ربما لأنه لم يكن يحس وراء مظاهر الحب المفرطة .. قلبا تتبع منه
الحبة بفيض تلقائى .. وبغير هدف تريد أن تحققه .. وإنما وراءها ذهن ذكى
.. يدفع بها بطريقة معينة مقصودة لتحقيق رد فعل مطلوب ومحتاج إليه .
كان عبد الراضى يدرك هذا بحسه .. ومن أجل هذا لم يستطع أن
يحبه ولا استطاع أن يحدد لنفسه لماذا يحبه ..

ورابع كبراء المجلة .. أو السلطة الرابعة .

كان مخلوقا بلا سلطة .. وبلا قيود .. وبلا مواعيد .. وبلا شىء غير القلب التابع بالحب .. لكل الناس .. والنفس المقبلة على الحياة .. فى لهفة وشوق ..

كان الأستاذ عبد اللطيف .. الكاتب .. والشاعر .. وصاحب المكتب الشبيه بالمصطبة .. والبيت الشبيه بالدوار .. يجتمع فيه الأصدقاء .. من كتاب وفنانين .. ملحنين .. وممثلين .. ومطربين .. ومتعطلين .. يأكلون ويشربون .. ويمزحون ويضحكون .. ويغتابون الغير .. ويطلقون التشنيعات .. ويدبرون المقالب .. ويطلقون آخرالنكت والإشاعات .

كان الأستاذ عبد اللطيف .. بلا زوجة ولا أولاد .. ومع ذلك لم تسلم من حبه حسناء .. ظهرت فى المجال العام .. من سينما أو مسرح أو تليفزيون .. أو صحافة .. أو مغنى رقص .

وكان محبا محبوبا .. بالمعنى العام الشامل للحب .. يحب كل الناس .. ويحبه كل الناس ...

ولم يملك عبد الراضى إلا أن يحبه ..

وفاز عبد الراضى منه بشىء من التخصيص .. بحيث لم يعد عبد الراضى مجرد فراش مجلة الزمان .. بل أصبح أيضا .. التابع الخاص للأستاذ عبد اللطيف .

وبدأت علاقتهما بختاقة ..

أراد عبد الراضى عند بدء تعيينه .. أن يظهر قدرته فى العمل للمدير .. فبدأ فى القيام بعملية نظافة فى الدار رفع المقاعد فوق المكاتب ودفع المكاتب جانبا .. وغسل الأرض ونظف الشبايك ..

قام بهذا فى غرف المحررين .. حتى حل الدور على حجرة الأستاذ عبد اللطيف .. فوجد أكواما من الكتب والمجلات مرصوفة على الأرض وعلى الأرفف وأدوات مكدسة على المكتب وجوارها زجاجات فارغة ومليشة

بسوائل وأقراص وحبوب وعلى المنضدة أكوام من العلب فارغة وملأى ..
وحذاء ومنشفة وبذلة معلقة . ولم يعرف كيف يمكن أن يقوم بتنظيف الحجرة
وهذه الفوضى تشيع فى أرجائها .. ووقف يفكر برهة .. وكاد اليأس يعجزه ،
ولكنه كان يعلم أنها مسألة مستقبل .. ولم يلبث حتى هجم على أكوام
الكتب والمجلات وأكداس الورق فجمعها فى بضعة شلالات وألقى بها تحت
السلم ثم بدأ فى عملية النظافة .. وبعد أن انتهى الغسل والمسح نظر فى
رضا إلى الغرفة وقتم قائلا :
- راق الحجرة .

ولم يكده ينتهى من كلمته حتى وجد شخصا يقتحم الحجرة ، ويقلب
البصر فى أرجائها فى دهشة شديدة ويقول متسائلا :
- ما هذا .. أين مكتبى ؟
ثم نظر إلى عبد الرضى فى استنكار :
- من أنت ؟
- محسوبك عبد الرضى .
- وماذا تفعل هنا ؟
- أنظف الحجرة .. كان بها بلاوى .
- بلاوى ؟ !!

- لو رأيته قبل أن أنظفها .. كانت تعيش فيها العناكب والفيران
كدت أتركها وأمشى .. ولكنى قلت لنفسى .. عيب يا عبد الرضى وهجمت
على أكوام الكتب القديمة والمجلات المقطعة .. وقذفت بها تحت السلم .
وفقر الأستاذ عبد اللطيف فاه من الدهشة ثم صاح مذهولا :
- أنت فعلت هذا ؟
- أجل ..

وهز رأسه مفاخرا وهو يرد قائلا :
- لم تأخذ المسألة منى أكثر من نصف ساعة .. وراق الحجرة .

واقترب منه الأستاذ عبد اللطيف وأمسك برقبته وهو يهزه قائلاً :

— قل .. من سلطك على .. قل الحق .

— سلطنى عليك .. لقد فعلتها من نفسى والله .

— إذن لن يشفى غليلى منك .. إلا أن تبیت فى السجن .

ودون أن يترك عنقه رفع السماعة وأدار القرص ثم هتف صانحاً :

— بوليس النجدة .. أنا عبد اللطيف إبراهيم .. أجل أجل .. هو أنا ..

اسمع من فضلك .. سطا على مكتبى لص . سرق جميع كتبى .. إنه هنا ..

إنى أمسك به من عنقه .. لا .. إنه لا يقاوم .. يقول إن اسمه عبد الراضى ..

من فضلك لا تتأخروا .. سأتحفظ عليه حتى تحضروا .. أجل مكتبى فى مجلة

الزمان .

ووضع السماعة والتفت إلى عبد الراضى قائلاً :

— إن شاء الله ستبیت فى السجن .

وهتف عبد الراضى :

— ولكنى لم أسرق الكتب .. إنها موجودة تحت السلم .

— حتى تثبت أنها تحت السلم .. تكون قضيت لك ليلة فى السجن أو

ليلتين .. لكى تتعلم عدم التهجم على مكاتب الناس .

— ولكنى كنت أنظفها .

— من قال لك نظفها ؟

— إن عملى أن أنظف المكتب .

— إن مكتبى لم ينظف منذ عشرين سنة ... كان جودة رحمه الله يعرف

هذا .. حتى لا ينقل ورقة من مكانها .. أو يرفع كتاباً عن موضعه .

— ولكنى لم أكن أعرف يا أستاذ ..

— هذا درس سيعلمك ألا تقرب المكتب .

وتصور عبد الراضى نفسه والبوليس يجره من يده إلى القسم .. فهتف

مستعظفاً :

- تبت يا أستاذ .. أقسم أنى لن أدخل مكتبك بعد هذا .
- تدخل للشاى والقهوة فقط .. ولكن للنظافة لا .. فاهم ؟
- فاهم يا أستاذ .
وترك الأستاذ عبد اللطيف عنقه قائلا :
- اذهب وأحضرك الكتب والمجلات ..
ثم أردف فى غيظ :
- من الذى سيعيد رصها كما كانت ؟
- أنا يا أستاذ .. وسأرش عليها التراب .. وأنسج عليها العناكب .
وجلس الأستاذ على مكتبه الخالى النظيف .
واستمر عبد الراضى واقفا أمامه فصاح به :
- ماذا تريد ؟
- بوليس النجدة ١١٢
- ماله ؟
- قل له ألا يحضر .
- ومن قال لك إنه سيحضر ؟
- ألم تكلمه ؟
ورد الأستاذ مستغرقا فى الضحك :
- لم يكن بوليس النجدة ياغبى .. لقد أدوت رقى الساعة .. لأن
ساعتى واقفة .
وتعلم عبد الراضى بعد تلك المعركة .. ألا يرفع ورقة من فوق مكتب
الأستاذ أو يبدل وضع كتاب أو يحرك مقعدا .
وتعلم أيضا ألا يأخذ تهديدات الأستاذ مأخذ الجد .
وتوطدت أواصر الصلة بينهما .. حتى أصبح عبد الراضى المسئول
الأول عن الأستاذ عبد اللطيف فى بيته وفى مكتبه .. وحتى أضحى كاتم
أسراره .. وموضع ثقته ..

وبات الأستاذ عبد اللطيف .. بدوره .. ملاذ عبد الراضى .. وملجأه ..
من عواصف الحياة .. ومشاكلها .

ولم تكن مشاكل عبد الراضى .. رغم تعددها بالشئ المستعصى الحل
على الأستاذ فقد كانت كلها مشاكل مادية تحل بالنقود .

ولم تكن النقود ذاتها بالشئ المستعصى على الأستاذ .. فقد كانت
تجبرى فى يده بسهولة .. تأتى بسرعة وتذهب بسرعة .. وعندما تتجاوز
سرعة ذهابها سرعة مجيئها .. وتغلب حاجته إليها لفض مشاكله أو مشاكل
غيره قدرته على توفيرها .. لم يكن أسهل عليه من الاقتراض .. وليدبرها
الله بعد ذلك .. المهم ألا يشعر بالعجز إزاء حاجة يقضيها لنفسه أو للغير .

وكانت آخر مشاكل عبد الراضى مشكلة النفقة التى تطالب بها فى
المحكمة زنوية زوجته قبل الأخيرة . ورغم أن الحكم كان يتأجل مرة بعد مرة
فقد كان يعرف أن عليه أن يدفعها أو يسجن .. وكان قد استنفد كل
إمكانيات القروض من الدار وكانت أم عبده تستنزف هى وأولاده ثلاثة أرباع
ماتبقى من مرتبه بعد تسديد القروض .

ولم يكن عبد الراضى يواظب على الذهاب إلى أم عبده فى سبى
الطبيب بعد أن ضاق بها وبالأولاد ومدارسهم وطلباتهم . وبدأ يبيت فى حجرة
فوق سطح الشقة التى يسكنها الأستاذ .. حيث كان السكن قريبا من المجلة
وكان يوفر بذلك أجر المواصلات ومشقتها بالإضافة إلى أنه يمنحه حرية السهر
فى ليالى الذكر والموائد وسهرات الكيف التى كانت تتاح له بين آونة
وأخرى .

وكان يخجل أن يطلب القرض من الأستاذ عبد اللطيف .. فقد سبق أن
حصل عليه منه منذ بضعة أشهر عندما أفهمه المحامى أن عليه أن يجهز المبلغ
ومعه المصاريف فى خلال أسبوع . ولكن الحكم تأجل بعد ذلك .. وكانت أم
عبده تعرف أنه حصل على النقود من الأستاذ فطلبت منه أن يعطيها إليها
حتى لا يضيعها .

وفى اليوم التالى .. اشترت بها راديو ترانزستور .. ولم يتضايق عبد
الراضى . فقد كان امتلاك راديو إحدى أمانيه التى لم يحاول تحقيقها ولم
يجد بدا من استغلال الراديو الذى دفع فيه نقود النفقة أقصى استغلال فكان
يحملة معه معلقا فى عنقه بحيث أصبح عبد الراضى محطة إذاعة متحركة .
وقال له الأستاذ عبد اللطيف ضاحكا وهو يراه يحمل فنجان القهوة والراديو
معلقا فى عنقه :

- خسارتك يا عبد الراضى فى مجلة الزمان .
- خسارتى فى السجن يا أستاذ .
- ألم تدفع النفقة ؟
- الحكم تأجل .
- والنقود ؟
- اشتريت بها الراديو .
- الحمد لله إنك لم تتزوج بها .
- الزواج لا يحتاج إلى نقود يا أستاذ .. الزواج لا يكلف .. الطلاق هو
الذى يكلفنا كثيرا .
- لعلك لاتنوى الزواج مرة أخرى ؟
- لقد كفرت من أم عبده .
- كلهن كذلك يا عبد الراضى .. كان يجب ألا تتزوج من أول الأمر ..
كان يجب أن تفعل كما فعلت أنا ..
- ولكننا لانستغنى عنهن أبدا يا أستاذ .. إن أمامى زوجة لقطة .
- أتتكلم جادا يا عبد الراضى ؟
- أجل يا أستاذ ..
- ومن هى ؟
- زهرة .. خادمة السيدة الفرنسية التى تقطن الشقة التى تحت شقتك .
- وماذا يعجبك فيها .

- إنها لن تكلفني شيئا .. ستدفع ثمن المأذون .. وستتركنى قبل
الفطار وتأتى إلى بعد العشاء .. وستعطينى خمسة جنيهات مرتبها من المدام
التي تخدم عندها .

- ما شاء الله يا عبد الراضى .. لم أكن أعرف أنك كازانوفنا إلا الآن.
- من هو كازانوفنا ؟

- رجل كانت تعشقه النساء ..

ويدا الخجل على عبد الراضى وطأطأ رأسه قائلا فى تواضع :

- العفو يا أستاذ .. على رأى المثل تأتى مع العمى طابات .

وضحك الأستاذ متسائلا :

- وماذا ستفعل أم عبده ؟

- مالها أم عبده .. إنها تأخذ تقودها على داير مليم ..

- وأين ستقطن بزوجتك الجديدة ؟

- إذا سمحت سأسكن وإياها الحجرة التى فوق .

ولم تأخذ المسألة جهدا من عبد الراضى .. بعد يومين كان قد تزوج من
زهرة . دفعت له أجر المأذون .. ولم تكلفه مليما واحدا .. كانت تتركه قبل
الإفطار .. وتحضر - ليس بعد العشاء - بل فى موعد العشاء .. ومعها
العشاء الذى استطاعت أن تحضره من السيدة الفرنسية التى تعمل عندها .
وأضاف عبد الراضى إلى زوجاته الخمس .. زوجة سادسة .. لم تكلفه
فى زواجها شيئا .. ولكن يعلم الله . ماذا ستكلفه عندما يحين وقت الخلاص
منها .

٣ - مجرد إنسان

بالزوجة السادسة بدأت موجة جديدة من مشاكل عبد الراضى الاجتماعية والاقتصادية . حضرت أم عبده إلى المجلة وأجرت معه تحقيقا عن زيجته الجديدة ..

بدأ التحقيق بصرخة فى فناء المجلة الخارجى .

— عبد الراضى ..

وكان الوقت قبل الضحى والمحرون قد أخذوا فى التوافد على دار المجلة . وهبط عبد الراضى مهرولا عندما سمع صرخة أم عبده فى بئر السلم. وأجابها فى غضب :

— ماذا تريدن .. يا ولية ؟

ويسؤال مباشر انفجرت فى وجهه :

— أنت تجاوزت يا عبد الراضى ؟

— من قال هذا الكلام الفارغ ؟

— يعنى لم تتزوج !!

— ولماذا أتزوج ! .. أينقصنى الهم والنكد ؟

وكان الراديو معلقا فى عنق عبد الراضى فمدت أم عبده يدها وجذبت الراديو فخلعته من عنقه قائلة :

— إذن هات الراديو .. اذهب وابحث عن ترضى بزواجك .

وكان الراديو فى نظر أم عبده هو أهم وسائل الإغراء فى عبد الراضى

ورغم أن زهرة - الزوجة الجديدة - كان المفروض أن تذهب عن عبد الراضى قبل الفطار وألا تحضر إليه قبل العشاء حتى لا تكلفه مليما واحد ثمن طعامها .. وفوق هذا تمتحه أجراها الذى تتناوله من السيدة الفرنسية التى تقطن أسفل الأستاذ عبد اللطيف .. رغم كل هذا فقد زادت أعباء عبد الراضى المالية .

لم يكن المرتب - رغم كل ما منح من علاوات بعد تنظيم الصحافة . ورغم ما يحصل عليه من الأستاذ عبد اللطيف من هبات وقروض لاترد - بالمبلغ الذى يمكن أن يفى بالتزاماته المتعددة ومسئوليته المتشابهة .. كان عليه أن يدفع أجرة سكن سيدى الطيبى الذى تقطنه أم عبده وأولادها . وكان عليه أن يهيىء لهم المأكل والملبس واحتياجات المدرسة ، وكان عليه أن يهيىء لنفسه ثمن الدخان والكسوة والطعام وما يبتاعه بين آونة وأخرى لشبرقة زهرة .. نظير كل ما قدمته إليه كزوجة .. وما صرفته عليه .. سواء فى تكاليف المأذون .. أو فى ليلة الدخلة التى قضاه فى لوكاندة الهنا بسيدنا الحسين .. بعد أن ارتدى الجلباب الصوفى واللبدية وارتدت زهرة بالطو السيدة الفرنسية والطرحة البيضاء وأكلوا فته كوارع فى مصمت الحسين . وتناول عبد الراضى ما تيسر من بلابيع أهداها إليه صديقه القديم كساب العتال فى إحدى وكالات العطاراة .

ولقد عاودت نبوية مشاكلها معه عندما سمعت بالزيجة الجديدة ، وبدأت علاقات الصداقة تنبت بينها وبين أم عبده بعد طول خصومة ونشأ بينهما حلف هجومى ضد عبد الراضى وزوجته الجديدة زهرة .

ومع الأيام ازدادت المشاكل تعقيدا لدى عبد الراضى فلقد بدأت زهرة تطالب بحقها كزوجة .. حقها فى المرتب وفى السلطة الزوجية .. وأخذت تناقش عبد الراضى فيما يدفعه لأم عبده وأولادها .. وتحرم عليه زيارتها التى كان يقوم بها بين آونة وأخرى .

وفقدت زهرة ، بحكم الامتلاك الشرعى ، متعتها كأنشى - ولم يبق

منها كآية زوجة سوى مشاكلها والتزاماته قبلها ..

وبدأ الصراع بين زوجات عبد الراضى ينتقل إلى ساحة المجلة عندما ترك حجرته التى كان يقطن فيها فوق شقة الأستاذ عبد اللطيف ليستقر وحده فى حجرة المرحوم جودة فوق سطح المجلة .. هاربا من جميع زوجاته .. وهكذا حاول عبد الراضى النجاة بجلده من مجتمعه العائلى .. ليقضى حياته ما بين دار المجلة وشقة الأستاذ عبد اللطيف .

وباستقرار عبد الراضى فى المجلة معظم وقته .. بدأ يمارس مشاكل من نوع جديد . ووجد نفسه من حيث لا يدرى . يزج إلى معارك .. لم يفكر يوما فى الاقتراب من ساحتها .

بدأ الأمر عندما أعلن تنظيم الصحافة .

ولم يعرف عبد الراضى معنى لتنظيم الصحافة إلا ما تردد حوله على ألسنة العمال والمحربين والظهورات أو من يسمونهم محررى القطعة إلا أن الأستاذ فتوح صاحب المجلة « خلاص .. راحت عليه » وأنه لم يعد يملك شيئا فى الدار .. وأنه بات مجرد موظف كغيره من الموظفين ..

وانقسم العاملون « فى الدار » إلى شامت يردد :

— رينا خلصنا منه .. لم تعد المجلة بعد .. عزبة يديرها حسب هواه .
وآخر يمصص شفثيه :

— خسارة .. لن يجدوا أحدا قلبه على المجلة مثله .. إنها قطعة منه ..

وقسم محاييد يهز رأسه فى غير اكتراث :

— يأخى .. كله منحصل بعضه ..

ولم يتصور عبد الراضى .. أن مشاعر الناس يمكن أن تتغير بجرة قلم .. وأن قرارا لم يكن لأحدهم دخل فيه يمكن أن يجعل أحدهم يتقلب فجأة .. تجاه الآخر .. فيقلب ابتسامته تجاههما .. وبشاشته عبوسا .. وتواضعه .. تكبرا وصلفا .

لم يتصور عبد الراضى هذا حتى وجد مرزوق أفندى المدير الذى كان

يستقبل الأستاذ فتوح كل صباح عند باب المجلة .. ويتلقى منه الملاحظات والأوامر .. يصبح بأعلى صوت من أعلى الدرج .. عندما سمع الأستاذ فتوح يبدى ملاحظة لعبد الراضى أن فناء المجلة غير نظيف .
- هذا ليس اختصاصك .. إنه عمل المدير .. وأنت مجرد عضو مجلس إدارة .

وصعد الرجل على الدرج وهو ينتفض غيظا ..
لم يخطر بباله أن الأستاذ مرزوق الذى كان يرجوه فى علاوة بالأمس يمكن أن يثور عليه هذه الثورة لمجرد أنه أبدى ملاحظة على فناء المجلة .
ووقف أمام مرزوق وهو يحاول أن يكبح جماح غضبه قائلا فى نبرات جاهد أن يمنحها ما استطاع من الرقة والهدوء ..
- الفناء قذر يا أستاذ مرزوق .. وليس من اللائق أن نستقبل زوارنا بمثل هذه القذارة .. قصاصات ورق .. وقشر لب ..
- إن هذا عملى أنا يا أستاذ فتوح .
- عملك أو عملى .. إننا جميعا مسئولون عن المجلة .
- لكل منا مسئوليته ..
- ألا أستطيع أن أبدى ملاحظة عندما أجد شيئا يضر بمصلحة المجلة؟
- تبديها فى اجتماع مجلس الإدارة .. وتناقشها ثم نصوت عليها .. فإذا كانت الأغلبية فى جانبها .. نفذها الشخص المسئول .
- هكذا ؟

- أجل هكذا .. أنت لم تعد تملك سلطة إلامن خلال وجودك فى مجلس الإدارة .

ودخل الأستاذ فتوح مكتبه وهو يرتجف ..
وفى اليوم التالى .. بدأت المعركة الثانية مع الأستاذ زهران رئيس تحرير المجلة .
لم تكن معركة صاخبة .. فقد كان الأستاذ زهران يكره الصخب

والضجيج .. ولم يحاول أن يوقف الأستاذ فتوح عند حده .. بالصياح ..
 وإنما بمجرد تأشيرة كتبها على مقالة أرسلها الأستاذ فتوح للمطبعة للجمع ..
 « لا يجمع أى حرف قبل الحصول على إمضاء رئيس التحرير بالموافقة » ثم
 أعادها إلى الأستاذ فتوح بورقة صغيرة كتب عليها « معادة برجاء عدم
 التدخل فى شئون التحرير » ..

ولم يجد فتوح من يشتكى إليه سوى الأستاذ عبد اللطيف . وحاول
 الأستاذ عبد اللطيف أن يسوى المشكلة وينهى سوء التفاهم بين الاثنين .
 ولكن الأستاذ زهران رده فى حزم .

– لقد صدر قرار بتنظيم الصحافة وإنى أمارس سلطتى الكاملة .

– ولكن المسألة تحتاج إلى نوع من المجاملة .

– العمل ليس فيه مجاملة .. إنه مسئولية .

وحمل عبد اللطيف المقال ووضعه فى درجه وهو يتمم .

– معه حق .. ولكن الأستاذ فتوح . لا يستطيع أن يصدق .. لقد كان
 بالأمس رب هذه الدار .. كان الأستاذ زهران لا يجرؤ أن ينشر كلمة إلا بأمره
 .. وكان يؤكد له أن مقالاته هى سبب رواج المجلة .. ولم يخطر ببال فتوح
 قط أنه بعد بضع ساعات من تزلف زهران إليه .. يمكن أن يصده بمثل هذه
 القسوة ..

وعاد عبد اللطيف يهز رأسه وهو يتناول فنجان القهوة من عبد الراضى .
 – حقيقة أن الأصول هى الأصول .. وأن كل إنسان يجب أن يوضع
 فى موضعه حسب التنظيم .. ولكن لماذا كل هذه العجلة .. لماذا لا نتصرف
 بإنسانية ؟ ..

ورد عبد الراضى ببساطة :

– هذه هى الإنسانية يا أستاذ ..

– للأسف يا عبد الراضى ..

ومع الأيام بدأ عبد الراضى يجنى ثمار التنظيم .. زاد مرتبه إلى

الضعف .. بعد أن طالب العاملون ببحث الحالات الصارخة .. وإنصافها ..
واتضح أن جميع مرتبات الدار .. حالات صارخة تقتضى التعديل ..
فتضاعفت المرتبات .

وتلت الحالات الصارخة .. إنصاف العاملين الذين يبذلون جهداً أكبر من
غيرهم . فرفعت بعض المرتبات نظير ما يبذله أصحابها من جهد ومايقومون
به من عمل ممتاز .

وكانت الموجة الثالثة لإنصاف الذين لم تزد مرتباتهم .. ولمساواتهم
بهؤلاء الذين حصلوا على مكافآت تميز فأضاعت العدالة بين العاملين فى
الدار ..

وهكذا رفعت مرتبات الجميع مرة ثانية ..

وبدأت المطالبة بمكافأة المتميزين من جديد .. واستمرت سلسلة
المطالبات فى حلقة مفرغة .. تبدأ بالحالات الصارخة ثم بالمساواة ثم بمكافأة
المتميزين ثم بتطبيق العدالة بين المرتبات ..

وفى نهاية العام .. لم تحقق الدار أرباحاً .

ولكن العاملين طالبوا بنصيبهم فى الأرباح .. حسب قرار التنظيم ..
واحترام مجلس الإدارة واتصل بالوزارة .. فأمرت بصرف ثلاثة آلاف جنيه ..
ستصرفها الوزارة . نظير إعلانات تنشرها المجلة لمؤسسات الوزارة ..

وبدأت الانتخابات بين العاملين للمشاركة فى مجلس الإدارة .

ولم يأبه عبد الراضى للمسألة فى أول الأمر .. فقد أحس أن كل
العاملين سواء .. وأن الشخصيات التى تقدمت للانتخابات كلها شخصيات
لا بأس بها .. من بينها الحاج عبد العزيز ريس المطبعة وعبد الرحيم عامل
التليفون والأستاذ سليم المحرر السياسى والأستاذ نوار مدير التحرير .

وبدأت المعركة الانتخابية ..

وفجأة اكتشف عبد الراضى .. أن جميع المسئولين فى الدار والمرشحين
فى الانتخابات مجرمون يستحقون الشنق .

بدأت المنشورات المضادة .

اتضح حسب المنشورات أن الحاج عبد العزيز يسرق اللبن الذى يصرف
لعمال المطبعة ويستبدل به لبن زبادى يأخذه لأسرته .. ويبدو أن الحاج عبد
العزيز حسب كلام المنشور إما أنه لم يكن يأكل وقتذاك غير اللبن الزبادى هو
وجميع أقاربه أو أنه فتح دكانا لببيع اللبن الزبادى .

واتهم عبد الرحيم عامل التليفون الأستاذ نوار مدير التحرير بأنه رجعى
واستشهد بفقرات كاملة من الميثاق على رجعية الأستاذ نوار واستغلاله
لمركزه وأعماله ضد الاشتراكية .

وينفس الفقرات المنتقاة من الميثاق .. استطاع الأستاذ نوار أن يدلل
على أن عبد الرحيم انتهازى ومتسلق وأنه يستغل العاملين فى الدار
للحصول لنفسه على مركز فى الإدارة .

ولم يعد الأستاذ سليم المحرر السياسى يعمل بالسياسة .. بل أضحى
أخصائى انتخابات .. يمارسها من مقهى عويس أمام الدار .. حيث يجتمع
بالعمال .. ليعدد لهم العلاوات والمكافآت والأرباح التى سيحققها لهم بمجرد
وصوله إلى مجلس الإدارة . ويعدد لهم الجرائم التى ترتكبها الإدارة فى
حقهم .. وكيف تحرمهم من حقوقهم المشروعة .. وتضييق عليهم الخناق ..
وتوقع عليهم الجزاءات بلا مبرر .

وهكذا انقلبت المجلة إلى مجموعة من المجرمين يكشف بعضهم جرائم
البعض الآخر .

وكان عبد الراضى يرقب المعركة وكأنه يرقب حلبة مصارعة .. من
ضرب من .. ومن صرع من ؟
ولم يكن يخطر بباله أن دوره سيتعدى دور المتفرج حتى فوجئ ذات يوم
بالأستاذ سليم يطلبه فى مكتبه .

وطرق عبد الراضى الباب ودخل .
وحياه الأستاذ سليم فى رقة وبشاشة وتواضع دأب عليها فى معاملة

- العاملين منذ أن رشح نفسه فى الانتخابات .
- ولم يشك عبد الراضى أن الأستاذ سليم يطلبه لكى يشرح له قيمة انتخابه فى مجلس الإدارة . وأهمية إعطائه صوته .
- وأشار سليم إلى مقعد بجوار المكتب قائلا :
- تفضل يا عم عبد الراضى .
 - العفو يا أستاذ .
 - اجلس يا عبد الراضى ..
 - وجلس عبد الراضى متكئاً على المقعد .
 - وعاد سليم يردد فى رقة :
 - تأخذ قهوة ؟
 - العفو يا أستاذ .
 - اسمع يا عبد الراضى .. أنا أعرف أننا لن نأخذ راحتنا هنا فى الحديث وأنا أريدك فى أمر هام : هل تستطيع أن تمر على فى المقهى الساعة الرابعة ؟
 - أمرك يا أستاذ .
 - إنها مسألة غاية فى الأهمية ..
 - خاصة بالانتخابات ؟
 - طبعاً .
 - إننا معك كلنا يا أستاذ ..
 - ليست المسألة خاصة بى .. إنها خاصة بك .
 - بى أنا ؟
 - أجل .. إننى أريدك أن ترشح نفسك للانتخابات .
 - أنا .. فى الانتخابات ؟
 - أجل أنت ..
 - غير معقول يا أستاذ .

— اسمع كلامى ..

— ولكن .

— لاتتردد .. إن باب الترشيح مازال مفتوحا حتى بعد غد .. تقدم ..
وأنا سأضمن لك النجاح .. سأقدم أنا وأنت فى قائمة واحدة أنت تضمن لى
العمال وأنا أضمن لك المحررين .

— ولكن .. كيف أضمن العمال ؟

— لقد اتضح أنهم ضد كل المرشحين .. بعد كل ما قيل عنهم من تجريح
وتهم .. إنهم لا يريدون الحاج عبد العزيز .. ولا عبد الرحيم .

— ولكن الحاج عبد العزيز رجل طيب .

— إنهم يتهمونه بسرقة لبن العمال .

— حرام يا أستاذ .. كيف يسرق اللبن .. وكل عامل يعرف نصيبه جيدا ؟

— ولقد تسبب فى فصل أحد العمال .

— بسطاويسى الذى سرق رصاص المطبعة ؟ .. مادامت السرقة قد ثبتت
عليه فقد استحق الفصل .

— وقد تسبب فى جزاء بعض العمال الآخرين .

— لأنهم تسببوا فى عطل المكينة عن عمد حتى يجلسوا بلاعمل ..

— المهم أن العمال يكرهونه .. وكذلك لا يطيقون عبد الرحيم .

— ولكنه يفهم فى القانون والميثاق .. ويتحدث فى الاشتراكية جيدا .

— يقولون إنه خبيث وانتهازى وأنه تعود الوشاية بهم لصاحب المجلة قبل

التنظيم .

— ولكن أنا .. مادخلى فى كل هذا ؟

— إنهم على استعداد لانتخاب أى إنسان ليس له ماض معهم .. ولقد

جسست النبض .. فقال عنك معظمهم إنك طيب وابن حلال .

— أنا .. فى مجلس الإدارة ؟

— ولم لا .. هل تقل عن عبد العزيز أو عبد الرحيم ؟ .. المهم أن

تعمل معى .. ضد الأستاذ نوار ..

— ولكن .. لماذا أعمل ضد الأستاذ نوار ؟

— لأنه سيكون خصمنا فى الانتخابات .. ويجب أن نحاربه بكل ما
مملك .

— ولكن ماذا نقول عنه ؟ .. أنا لا أعرف له سيئة .. وهو رجل طيب
وشغال .. ويعمل من أجل مصلحة المجلة .

— أنت على نياتك .. اترك المسألة على وسأوضحها . إنى أجهز
منشورا ضده من عشرين صفحة .. سأنشر عنه كتابا أسود .. عن العملات
التي أخذها.. عن الرشاوى .. والسهرات الحمراء التي يقضيها مع
الفنانات ..

وتذكر عبد الراضى .. صاحبه وولى نعمته الأستاذ عبد اللطيف ..
إذا تحدث أحد عن السهرات الحمراء .. ألا يمكن أن يجره فيها ؟

وهز عبد الراضى رأسه فى حزم قائلا :

— لا يا أستاذ أنا لا أقبل أن يكتب شيء عن الأستاذ عبد اللطيف .

— ولكن من الذى يتحدث عن عبد اللطيف ؟

— ألم تذكر أنت الآن .. السهرات الحمراء والفنانات ؟ ..

— أجل ولكنى لم أقل شيئا عن عبد اللطيف .

— ولكن ليس هنا من يسهر سهرات حمراء سوى الأستاذ عبد اللطيف ..
إنى أدرى الناس بهذا ..

— ياعم عبد الراضى . إننا الآن لا نتحدث عن الأستاذ عبد اللطيف ..
إننا نتحدث عن الأستاذ نوار .. وسأعرف أنا كيف أدير الحملة ضده .

— وهل هو يسهر مع الفنانات ؟

— يسهر أو لا يسهر .. سأجعله أنا يسهر .. ويعريد ويحشش ..
ويرتشى .. هذا عملى أنا .. دع الأمرلى ..

— ولكن هذا افتراء ..

— إنها الانتخابات يا عبد الراضى .. افتراء أو غير افتراء .. المهم أن نكسب المعركة .

— وماذا تريد منى ؟ ..

— لاشيء أكثر من أن تقضى على المنشور .. وتدعو لى بين العمال ..

— وهل سيصدقون ؟

— أجل . إنهم يحبونك .. ويشقون فى حسن نيتك .

— بعد هذا لن يثقوا فى حسن نيتى .

— المهم أن نكسب المعركة الآن .. وبعد هذا .. سنعرف كيف نكسب ثقتهم .

وفى الساعة الرابعة التقى عبد الراضى بالأستاذ سليم .. وبدأ يخوض معه معركة الانتخابات .

ومرت الأيام .. وعبد الراضى لاعمل له إلا أن يلف مع الأستاذ سليم بين العاملين ..

وفى يوم الانتخابات فاز عبد الراضى .. بأكثر الأصوات .. لأن العاملين أصروا على ألا ينتخبوا الآخرين .. ولأن عبد الراضى رجل طيب .. لم يسرق اللب ولم يعمل ضد الاشتراكية .. ولا ضد الميثاق .. ولأن أحدا لم يستطع أن يتهمه بسوء .. أو ينسب إليه إتهاما .

ولم يدهش الأستاذ عبد اللطيف .. عندما أنبأه أنه سيخوض الانتخابات .. ولادهش عندما أبلغه أنه فاز بعضوية مجلس الإدارة .. ولكنه سأل : هل سيجد وقتا لرعاية شئونه ؟ فرد عبد الراضى مؤكدا :

— أنت قبل كل شيء .. أنت أبى وسيدى وحبيبى .

— وما رأيك فى الأستاذ سليم ؟

— مفترى .. وحاولى .. يلعب بالبيضة الحجر ..

— ولماذا قبلت العمل معه ؟

— كما قبلت كل شيء فى حياتى .. إنه قدر .. قدر سبىء .

.. ألا تخشى أن تنتقل إليك عدواه ؟
 .. مادمت معك فأنا أستطيع أن أقاوم كل الشرور .
 وهز الأستاذ عبد اللطيف رأسه وقال باسم :
 .. تجربة لأبأس بها .. تضيقها إلى تجاربك مع زوجاتك الست .
 وبدأ عبد الراضى يحضر جلسات مجلس الإدارة .. استعصى عليه
 فهم الكثير مما كان يدور فيه .. ولكنه كان يؤمن على ما يقول الأستاذ
 سليم ..
 ومع الأيام .. بدأ هجوم العاملين على عبد الراضى وزميله ..
 لأنهما لم يحققا للعمال ما وعدهم به .. لزيادة فى الأجور .. ولا ..
 ولا ..

واحتر عبد الراضى بين مجلس الإدارة والعاملين ..
 عرض عليهم المدير فى مجلس الإدارة أن تمارض العمال قد زاد وأن
 بعضا منهم يعملون فى أعمال خارجية ويحصلون على إجازات مرضية تمكنهم
 من مباشرة هذه الأعمال . وأن نسبة الغياب تصل فى بعض الأيام إلى أكثر
 من النصف مما يضطرهم إلى تشغيل الموجودين وردية أخرى بأجر حتى لا تعطل
 المجلة .

وعرض المدير أن ثمن الأدوية التى استهلكها العاملون بلغ فى العام
 الماضى ثلاثة آلاف جنيه . وأن بعض العمال يتهمون البعض الآخر ببيع
 الأدوية . وإنه تقرر من أجل ذلك أن تصرف الصيدلية الزجاجة بعد أن تمزق
 علبتها .. حتى لا يمكن بيعها ثانية .

وقرر المدير أن عليهم الاستمرار فى بيع ما يتبقى من حصة المجلة من
 الورق فى السوق السوداء حتى يمكن موازنة الميزانية وصرف أجور الموظفين
 والعمال ..

ولم يعرف عبد الراضى كيف يطالب بزيادة الأجور والمكافآت ..
 ولم يعرف أيضا ماذا يقول للعمال الذين يلقونه بعد كل اجتماع لمجلس

الإدارة ليسألوه عما فعل .

إنه لم يفعل شيئا .

وهو لا يستطيع أن يفعل شيئا .

وعندما حدثهم عن الإفراط في الإجازات والإهمال في معاملة
المالكينات إهمالا يتسبب في عطلها وفي العجز عن مراجعة التزامات الطباعة
المطلوبة من الدار ..

عندما قال لهم هذا « شتموه » وقال له أحدهم :

ـ طبعا .. لقد أصبحت عضو مجلس إدارة .. أصبحت تتكلم بلسان

أعضاء مجلس الإدارة .. وملعون أبونا .. لكن الحق علينا .

ولم يعرف عبد الراضى كيف يجيب ..

وعندما شكّا للأستاذ سليم قال له :

ـ ولماذا قلت لهم هذا ؟

ـ وماذا أستطيع أن أقول لهم ؟

ـ قل لهم إننا نطالب في المجلس بزيادة الأجور .. ولكن لأحد يستمع

إلينا ..

ـ ولكننا لم نفعل .

ـ يا أخى قل هذا واخلص .

ـ وإذا سأل أحدهم ؟

ـ اسمع .. فى أول جلسة .. سأطالب بزيادة الأجور .. حتى نريح

ضمائرنا .

ـ ولكن كيف نطالب بزيادة الأجور .. ونحن نعرف الحالة جيدا ؟

ـ هذا ليس من شأننا .. إنه شأن الإدارة .. يجب أن تدبر أمرها ..

ـ ولكن كيف ؟ .. والفوضى شائعة فى المجلة .

ـ هذا ليس من شأننا .. إنها مسئولة عن ذلك ..

وصمت عبد الراضى برهة ثم أجاب :

- إذن يجب أن يأخذوا العاملين بحزم .. ويوقعوا العقاب على المهملين ..

ورد عليه سليم فى غيظ قائلا :

- مالك أنت ولهذا .. أنت معنا وإلا مع الإدارة ؟

وأطرق عبد الراضى مفكرا ثم رد قائلا :

- أنا مع المجلة .. لكى نحصل على علاوات وأرباح .. يجب أن نعمل .. لقد بتنا أصحاب المجلة .. وكل أرباح تجنى من عملنا .. فهى ستعود إلينا .. أم أنا مخطيء ؟

- تفلسف يا عبد الراضى .. لكى تودى نفسك فى داهية .. إن شاء الله لن ترى مجلس الإدارة بعد النوبة ..

- ولكن كل العمال الطيبين الذين يعملون فعلا .. يعرفون هذا .. وهم يكرهون البلطجية .. والعواطلية .

- ولكن هؤلاء هم الذين اشتغلوا لنا فى الانتخابات . هم الذين نستطيع أن نعتد عليهم فى المرة القادمة .. ويجب من الآن أن نعمل على معاونتهم .

- كيف ؟

- لن ندع أحدا يوقع عليهم عقابا ..

- رغم كل مايفعلونه ؟

- هذا ثمن جهدهم معنا .. ويجب أن نعمل من الآن على استمرار كسبهم إلى جانبنا .

هذه مشكلة يا عبد الراضى ..

أعقد كثيرا من مشكلة زوجاتك الست . ومرتبك الذى لايفى بالتزاماتك .

لكى تكون لك القدرة على أن تعمل عملا نافعا للعاملين فى المجلة .. يجب أن تكون عضوا فى مجلس الإدارة ..

ولكى تبقى عضواً فى مجلس الإدارة يجب أن تساعد محترفى الانتخابات .. لكى يساعدوك .

يجب أن تمنع عقاب المسء .. وتتغاضى عن إهمال المهمل ..
يجب أن تطالب بالمكافآت والعلاوات .. حتى ولو لم تحقق المجلة ،
ربحاً .. لا تهم الميزانية .. فالبئسك يستطيع أن يمنح قرضاً .. والوزارة
تستطيع أن تمنح مساعدة ..

ـ وعندما يحل الخراب فى النهاية ؟
وأشار إليه الأستاذ سليم فى ضيق وملل قائلاً :
ـ يا أخى .. لاتعقدها .. عندما نصل إلى المراكز الرئيسية فى المجلة
ربنا يفرجها ..

وطالب الأستاذ سليم بدوره بزيادة الأجور ..
كما طالب بإعادة السارق الذى فصل .. ورفع الجزاء عمن جوزوا بسبب
الإهمال .

ولم يوافق المجلس .
ولم يوافق عبد الراضى .
وخرج الأستاذ سليم إلى العاملين ليعلن ما فعل .. ويعلنهم بخيانة عبد
الراضى ..

ولعن أبو عبد الراضى .. لأنه جبان ..
وأحس عبد الراضى بالظلم الذى وقع عليه ..
وسأل الأستاذ عبد اللطيف وهو يدخل عليه دافع العين :
ـ هل أنا جبان حقاً .. أنا لأخشى المدير ولا أخشى أحداً .. ولكنى
أعرف أن الذى سرق .. حقاً قد سرق .. وأعرف كيف كسر عباس الماكينة
عمداً . وكيف التقى مع محمود الميكانيكى فى قهوة عريس .. واتفق على
أن يتقاسم معه أجر التصليح .. أعرف كل هذا يا أستاذ عبد اللطيف ..
وأعرف أن تعطيل الماكينة أضاع علينا صفقة طبع كتب وزارة التربية

والتعليم ، وأخذتها منا مطابع النصر .. أعرف الكثير يا أستاذ عبد اللطيف ..
.. فهل أنا جبان لأننى لم أوافق الأستاذ سليم ؟
- لست جباناً يا عبد الراضى .. مادمت مقتنعاً بما فعلت .. فلاتندم عليه .

وهكذا أحاط السخط بعبد الراضى .
سخط العاملين عليه .. لأنه جبان منافق .
وسخط الزوجات الثلاث اللاتى لا يعرف كيف يواجه مطالبهن .. بمرتبته الضئيل ..

إنه يستطيع أن يترك مجلس الإدارة ..
ويستطيع أن يطلق من تبقى على ذمته من زوجات ..
وبعد هذا ترد إليه حريته .. يفعل ما يشاء وقتما يشاء ..
تفضب أم عبده .. وتضرب زهرة .. وتشور زنوبة ..
وتقضى المحكمة بالنفقة لهن .. وأمامها مرتبه تفعل به ما تشاء .. فلن
يعلم كوما من الشاى .. ولقمة تسد رمقه .. ولن يعدم عطف صديقه الأوحده ..
الأستاذ عبد اللطيف .. وهو يسأله الآن أن يذهب وإياه بعيداً عن الأرض ..

فى أى داهية سيذهب معه ..
إلى جهنم ..
إلى الجنة ..
إلى السماء تحت الحساب ..
المهم أن يبعد به عن كل هذه المشاكل الأرضية التى تمسك بخناقده ..
وعندما لقيه الأستاذ فى الصباح وأعاد عليه السؤال :
- ها .. هل استقر رأيك على مصاحبتى ؟
- أجل ..
- هل تعرف إلى أين ؟

- قلت لى بالأمس .. إلى السماء .
- أتعرف أين فى السماء ؟
- وأنى لى أن أعرف ؟ .. السماء واسعة .. إلى أى مكان تذهب ..
- سأكون فى صحبتك ..
- هل تعرف كيف ستذهب ؟
- ليس مهما .. مادمت معك .. ومادمتنا سنبعد عن هذه الأرض ..
- سنذهب فى صاروخ .
- إن شالله فى عربة كارو ..
- ألا تخشى أن تتركب الصاروخ ؟
- ألن تكون معى ؟
- أجل ..
- إذن فلن أخشى شيئا .. مايجرى عليك يجرى على ..
- بعد بضعة أيام سيأخذوننا إلى القاعدة .. وسيجرون علينا بضعة اختبارات .. وسيقومون بتدريبتنا بعض الوقت ..
- أنا تحت أمرك ..
- انتهينا ..
- بقى أمرهم .
- ما هو ؟ ..
- لم يعد عندى رصيد من الإجازات . وأخشى أن تحسب المدة غيابا بدون أجر .. وأنت تعرف حاجتى إلى المرتب .. لسد نفقات القبيلة التى تنتمى إلى .. زنوبة وأخواتها ..
- لاتحمل هما .. سنعمل الترتيب اللازم .. إنك ستصبح إحدى الشخصيات الهامة .. سيكون سفرك دعاية للمجلة .
- هل أطلب إذن ؟
- لست أظن أن الإدارة ستعتبرك غائبا .. فأنت ستكون فى عمل

رسمى طوال الوقت .

- إذن هل سيصرف لى أجر إضافى ؟

ضحك الأستاذ عبد اللطيف قائلا :

- سأكلم الأستاذ رزق .

وفكر عبد الراضى برهة ثم تساءل فجأة :

- ولكن لماذا سنذهب إلى السماء ؟

- لقد سألتونى أن أذهب ككاتب لكى أعكس ما أرى فى رحلتى ..

- وأنا .. ما فائدتى ؟ ..

- يريدون انعكاس الرحلة فى نفس بشر عادى .. إنسان .. مجرد

إنسان .. وأنت خير من يمثل الإنسان يا عبد الراضى .. بكل ما فيه من

مركبات الخير والشر .. بكل ما فيه من نزوات .. وفضائل .. أأست كذلك ؟

٤ - بلا أسرة بلا سمعة

هكذا انطلق عبد الراضى مع الصاروخ .. ليمثل الإنسان .. مجرد إنسان .

وعاد عبد الراضى يشرد ببصره خلال نافذة المركبة .. ويتأمل الكرة الرمادية .. التى حوت ماضيه .. بكل مافيه من مشاكل .. ومتاعب ..

وفى القمرة المجاورة استقر الأستاذ عبد اللطيف .. طافيا فى استرخاء بجوار نافذة قمرة .. محدقا فى الفضاء الفسيح تتناثر فيه ملايين النجوم . ولم يحس عبد اللطيف بغربة .. فى عالمه الجديد .. كان دائما يتوق إليه .. ويحلق فيه ..

لم تكن الأرض بكل ما فيها من وسائل الجذب .. بقادرة على شده إليها .. وربطه بها .. كان دائم التأرجع .. بين الأرض والسماء .
ينجذب إلى الأرض بكل ماتتعطش إليه حواسه من نعم الأرض .
وينطلق إلى السماء بكل ماتتوق إليه روحه من رغبة فى الانفتاح على الكون والتحرر من قيود الأرض ..

كم خلا إلى نفسه بعد أن انفض عنه الجمع ليرنو إلى السماء . ويحلق بين النجوم .. وكان يمسح جبينه فى صدر الله الحنون الغفور الكريم .. ويهدأ إلى رحمته .. ويسرى بلا أعباء .. فى رحابه . ويستريح بلا خوف ولا قلق .. فى ساحته .

ولقد رحب بهذه الانطلاقة الحقيقية إلى السماء .. بغير خوف .. ولاجزع ..

فهى لا تعدو أن تكون انطلاقة من انطلاقاته المتعددة بالذهن والروح أو
تجربة لانطلاقة أخيرة ينتهى بها رحلته على الأرض .. وهى رحلة مهما
طالت .. ومهما بدا من برقيها وروثها .. لا تعدو أن تكون مجرد عبور أو
رقفة .. يذهب بعدها إلى حيث كان .. ويعود من حيث أتى ..

هو لم يكن يملك .. سوى الانطلاق .. لأنه لا يتصور أنه يمكن أن يبقى
على الأرض بدونها .. حتى ولو ذهب إلى السماء ..

حقيقة أن السبب الظاهر لإقدامه على الرحلة . هو رغبة المسئولين عن
الرحلة فى أن يرسلوا فنانا تواقا إلى الانفعال قادرا على التعبير .. فلقد
اقتصرت رحلات الفضاء فيما مضى على التسجيلات الآلية .. من تصوير
وتسجيل ووصف ظاهرى .. ولكن أحدا لم يسجلها بحسه .. لم يعرف
العالم شيئا من كل هذه الأشياء الباهرة من خلال فنان .. يمكن أن يرى فيها
ما لا يراه غيره .. وينقل إلى البشر انفعال الإنسان بالعالم الجديد عالم
الفضاء الفسيح الباهر الرائع .

لقد أقدم عبد اللطيف على الرحلة ليكون ذلك الفنان الذى سيرى العالم
.. الكون من خلاله ..

عرف الناس هذا ..

ولكن لم يعرفوا .. أنه فى قرارة نفسه .. أقدم على الرحلة .. ليس
ولعا بالفضاء .. وإنما ولع بإنسان يوشك أن يهجره إلى الفضاء .. وهو يكاد
لا يطيق فرقه على ظهر الأرض .

كان عبد اللطيف يعيش على الأرض بقلب لا تكف أجراسه عن الدق ..
لحبيب ما ...

ولقد بدأ ممارسة الحب فى السنة السادسة من عمره .

كان حبه الأول .. فتاة سيرك .. تمتطى ظهر فيل .. لتستعرضه أمام
باب السيرك .. فى الخلاء القاتم وراء الدراسة ..
كانت ابنة مدرب الفيل .. الأرمنى ..

وكان عملها الركوب على ظهر الفيل لجذب الرواد قبل بداية اللعب ..
أو التجول به حول السيرك .. يسحبه أبوها .. وهى مستقرة على ظهره وييده
جرس .. يدعو به الناس إلى السيرك .

وكان عبد اللطيف ينطلق من بيته فى الدرب الأحمر بعد أن يعود من
الكتّاب ليستقر أمام السيرك يرقب الفتاة الأرمنية على ظهر الفيل .. أو
يلاحق الفيل وهى تمتطى صهوته .. وكلما تجمع فى جيبه أجر الدخول ..
اندفع إلى السيرك ليقضى أطول مدة يحملق فى الفتاة ..

تلك كانت بداية معرفته بالحب .. ويبدو أنه قد استمرأ مرعاه فانطلق
يرتع فيه بقية عمره .. ومنذ ذلك الحين لم تكف أجراس قلبه التى دقت لفتاة
السيرك على ظهر الفيل .. عن مداومة الدق .. لمحبة ما .. تعبر حياته ..
فتثير فى نفسه النشوة والضى .. تسعد أيامه وتؤرق لياليه .

وأحب عبد اللطيف كل الناس .. وغفر لهم ما أصابه من سيئاتهم ..
وهى كثيرة .. إذ لم يفاجأ بها قط .. فقد كان أعلم بالتركيب المعقد للإنسان
.. اعلم بخليط الحب والكراهية والطيبة والحقد والسذاجة والمكر الذى يشكل
التركيب الإنسانية وكان يعتقد أن لكل إنسان فى تركيبه المعنوى أو الخلقى
وجها وظهرا كما أن لشكله وجها وظهرا .. وأن عليه عندما يتعامل مع
الناس أن يواجه ما أمكن وجوههم المعنوية ويتجنب ما أمكنه أقفيتهم
الخلقية .. لكى يلقى منهم أطيّب ما فيهم .. ويكون أقدر على حبهم ..

وكان يؤكد لنفسه أنه ما من إنسان إلا وله ناحية معنوية طيبة .. ووجه
خلقى جميل .. وأنه ليس هناك سوى بعض شواذ ليس لهم وجوه ..
ولا يستطيعون بالتالى أن يواجهوا الغير إلا بأقفيتهم المعنوية .. على كلا
الوجهين .. فمركبات السوء أغلب على تكوينهم .. لا تستطيع مهما حاولت
بحسن التعامل أن تستدر حسنة من نفوسهم فليس بها سوى مزيج من البفض
والحقد والكراهية واللؤم والخسة .

وانطلق عبد اللطيف فى حياته الدراسية .. ضمن آلاف التلاميذ .

ولم يكن هناك شىء يميزه .. سوى ذلك الشىء الخافق فى حناياه .
 يهفو لوردة تتمايل فى نسمة الصباح يقطر الندى من أكامها ..
 ويهتف لمغرب الشمس تجر أذيالها الحمر من وراء الأفق .. ويدق
 لطيف جميل .. يلوح بابتسامة مشرقة .. أو همسة عذبة .. قملأ أرجاء
 الكون نشوة وطربا .
 ولم ينفعه ذلك القلب الخافق النشوان .. فى الدراسة .. فقد جعل منه
 تلميذا خائبا .. يكاد .. يلحق فى آخر العام بذيل الناجحين .
 واشتهر الولد عبد اللطيف فى الأسرة الطيبة بأنه ولد (مش فالح) ..
 وكان يستمع إلى الحوار المستمر بين أمه وأبيه عندما تشكو إليه ..
 تقول أمه وقد جلست على الكنبه وأمامها كوم من البامية تتشاغل
 بتقميعها .. موجهة الحديث إلى الشيخ سليمان وقد انتهى من صلاة العشاء
 وأخذ يقرأ بعض الأوراد .
 - بعدين ياسليمان ؟
 ويلتفت إليها سليمان متسائلا :
 - بعدين فى ماذا ؟
 - فى الولد ..
 - ماله الولد ؟
 - كل شهر يتأخر عن الشهر الذى يسبقه .
 ويضحك الشيخ سليمان قائلا :
 - أما زالت لديه فرصة للتأخر ؟
 - ماذا تقصد ؟
 - ظننته بلغ نهاية الفصل منذ شهرين .. ولست أجد لديه فرصة للتأخر
 بعد ذلك .. إلا إذا حاول أن يكون أيضا آخر الفصل المجاور .
 - أهذا موضع سخرية ؟
 - مادام قد أصبح الأخير .. فماذا نخشى بعد هذا ؟

– نخشى أن يرسب فى آخر العام .

– وماذا تريد أن أفعل ؟

– كلمه .. لعله يستحى على دمه .

– حاضر ..

وينصت عبد اللطيف إلى الحديث الدائر بين أمه وأبيه وهو يجلس فى
الحجرة المجاورة يتظاهر بالانكباب على كتاب الجغرافيا وعيناه مسلطتان من
مشربية النافذة المقابلة حيث لا يفصل بينهم عن البيت المقابل سوى بضعة
أمتار هى عرض حارة الروم فى الدرب الأحمر .. وفى النافذة تقف سعاد ..
وهى تصيح بأختها :

– ويعدين معاكى يا تحية ..

وأحس عبد اللطيف بصوتها رنين الموسيقى وشدو البلبل وود لو مد يده
عبر الحارة من خلال النافذة ليتحسس شعرها ..

مسة واحدة من شعرها .. بكل أيامه الماضية والمقبلة .

كيف يستطيع أن يثبت عينيه على سطور الجغرافيا .. وطيفها الساحر
يتهادى أمامه .

فداها الجغرافيا .. بكل قاراتها .. والتاريخ بكل ملوكه .. فداها
نفسه وامتحاناته .

وأقبل عليه أبوه يكر حبات السبحة فى يده .. وقف بجواره يرمقه وهو
يتظاهر بالانكباب على الكتاب :

– ماهى أخبارك يا عبد اللطيف ؟

– الحمد لله .

– كيف حال الدراسة ؟

– رينا يسهل .

وتناول الشيخ سليمان كتاب الجغرافيا من يده متسائلا :

– ماذا تستذكر ؟

وسقطت من الكتاب ورقة .. وتناولها الأب فقرأ ما بها .. كان بها
 بضعة أبيات من الشعر كتبها عبد اللطيف فى فاتنته سعاد .
 وهز الأب رأسه وهو يردد أبيات الشعر ثم يتساءل :
 - أنت كتبت هذا ؟
 ورد عبد اللطيف بالإيجاب دون أن يحاول الإنكار .
 وقال الأب وهو يعيد الورقة إلى مكانها بين طيات الكتاب :
 - البيت الثانى مكسور .. والفعل فى البيت الثالث فعل متعد ..
 وليس فعلا لازما .. والمعنى معاد سبق أن قاله الشريف الرضى .
 وناوله الكتاب وهو يردف قائلا :
 - وذاكر جغرافيا أحسن لك من نظم الشعر .
 وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى اقتضاب :
 - حاضر ..
 - أمك تقول إنك تتأخر شهرا بعد شهر .
 - توقفت عن التأخر منذ شهرين .
 - لأنه لم يكن هناك بعدك أحد .
 - كان بعدى تلميذ .. غاب طول الشهر لمرضه .
 - وتقول أمك إنك سترسب آخر العام .
 - إن شاء الله أكذب ظنّها .
 - إذا سمعت نصيحتى .. دعك .. من هذه الأشياء التى لا تنفع حتى
 تأخذ الشهادة ..
 ثم اتجه إلى النافذة وأغلقها قائلا :
 - وأغلق هذه النافذة .. لتتجنب تيار الهوى .
 . ولم يستمع عبد اللطيف لنصح أبيه ..
 استمر يمارس هذه الأشياء التى لا تنفع .. استمر يكتب القصائد ..
 والقصص . ولم يحاول أبدا أن يتجنب تيار الهوى .. وفى النهاية أخذ

الشهادة ..

وأصبح يحترف هذه لأشياء التى لاتنفع ..
وأصبح يمارس التعرض لتيار الهوى هواية .. أو كعادة مزمنة لايمكن
الخلاص منها .

ولم تكن قدرته كطرف من أطراف لعبة الهوى التى يمارسها .. يمكن
أن تنبع من شكله .. فهو يعرف جيداً .. أن شكله لايمكن أن يكون أحد
عناصر الجذب للطرف الآخر ..

ومنذ الصغر وهو يحاول عبثاً .. أن يجعل لشكله قيمة .
بدأت المحاولة عندما أبصر رسماً فى إحدى المجلات لرجل ذى
عضلات بارزة وجسد ضخم يلتف حوله ثعبان هائل وهو يطبق على عنقه
بقبضته الحديدية محاولاً أن يفتك به وأسفل الصورة إعلان عن معهد القوة
والجمال لصاحبه فائق الجوهري وكيف يمكن بالمراسلة أن يصبح للإنسان مثل
هذا الجسد القوى .. والشكل الرائع .

وقال عبد اللطيف لنفسه وهو يتأمل الصورة فى إعجاب :
— هل يمكن أن يصبح للمرء حقيقة مثل هذا الجسد الرائع ..
وتخيل نفسه وقد انتفخت عضلاته واستطالت قامته وبرز صدره .. وهو
يسير فى الطريق .. وسعاد تستنجد به من معاكسة غليظ ثقل الدم كان
لايفتأ يعاكسها .. وهو يهجم عليه فيمسك به من عنقه ثم يرفعه فى يده
ويقذف به فى برميل الطرشى .. ثم يهم بالانصراف فى تواضع ولكن سعاد
تلتحق به وتشكره وتسأله أن يتفضل بزيارتهم ..
ويعاود عبد اللطيف النظر إلى الإعلان مردداً لنفسه :
— أمعقول هذا !

ولم لايجرب .. إن كل ما هو مطلوب منه هو أن يفصل قصاصة
الإعلان عن المجلة ويرسلها فى ظرف بعد أن يملأ ما بها من بيانات خاصة
بالاسم والسن والعنوان ويطلب الاشتراك فى المعهد نظير بضعة قروش يرسلها

فى صورة طواع برىء وىءء فى طلب الاشراف ماذا برىء ..
 وأخذ يملأ البىانات فى القصاصة .. وطلب كل ما يمكن أن ىءقه ..
 طولاً .. رشاقة .. ذراعىن قوئىن .. صءرا عرىضا ..
 ووضف الطرف فى أقرب صندوق برىء وهو فى طرىقه إلى المءرسة .
 هاءت ىاعبء اللطىف ..
 بعء بضعة شهور .. ساءبع كما ىقول الإعلان .. رجلا قوفا وسىما ..
 فارف الطول عرىض المنكىبن ..
 ساءبع كءلك الرجل الذى فى الصورة .. هكءا ىقول الإعلان .. بفىر
 الشعبان بالطىف ..

ولو أصبء نصفه .. لكان فى ذلك الكفاىة كل الكفاىة .. لكى تنهى
 لعبة الحب التى قمارسها من طرف واءء .. قرقب من بعىء .. وقراض الشعر
 .. وتطلق الآهات .. وتناهى النجم تعذبه .. وءقىم اللىل وءقعه ..
 لن ساءبع اللعبة .. مجرد طىف ىلوح لناظرىك من نافءة .. وصوء
 ىشف ترءىءه مسامعك عىر الطرىق .. وأنت قابع قرقب فى خوف ..
 ساءرج إلى المىءان بفسءك الرائع .. قمارس اللعبة فى عىر ءشىة ..
 ولاءىاء .. ولاخوف من صء أونفور .

ومرء الأىام .. وهو ىتنظر الرء من معء القوة والجمال ..
 وفى ذات الىوم ءءل أبوه وهو ىءمل فى ىءه ظرفا .. قائلا فى نبراء
 هاءئة :

.. أنت ترىء أن تطىل فسءك ؟

وفى هءا البىء الءىنى .. والأسرة ذات العقالىء .. كانت عملىة إطاءة
 الفسء وءربىة العضلاء .. تبءو .. إن لم تكن ذنباً .. فهى على الأقل شىئا
 ىءعو إلى السخرىة ..

وأءس عبء اللطىف كأئما قء ارءكب منكرا ىءعو إلى الفءل .. وقال
 مسائلا فى اسءىاء :

— أنا .. أطيل جسدى ؟

ومد أبوه يده إليه بالظرف قائلا :

— هذه رسالة وصلت إليك من معهد الجمال والقوة ..

وأمسك عبد اللطيف الظرف وهو يتسائل فى دهشة :

— لى أنا ؟

— أجل .. تقول إنهم قبلوا ضمك إلى المعهد .. ويشرحون لك التمرين

الأول فى إطالة الجسد ..

ولم يحاول عبد اللطيف أن يفتح الظرف .. وألقاه أمامه فى غير

اكتراث .

وأردف أبوه يقول فى هدوء :

— بدل هذا العبث الذى تضع به وقتك .. افعل شيئا مفيدا أحسن لك .

وعندما خلا عبد اللطيف إلى نفسه أقبل على الرسالة يقرأها .. كان

بها التمرين الأول .. ثم طلب اشتراك إضافى لابد من تسديده .. قبل

مواصلة الدروس .. وحاول عبد اللطيف أن يقوم بالتمرين .. أمسك بالورقة

فى يديه ثم بدأ يثنى جذعه فانقلب على الأرض ..

وحاول ثانية .. وثالثة ..

وبعد الرابعة .. أمسك بالرسالة فمزقها .. قائلا فى يأس :

— لا فائدة .

ومن يومها .. رضى بجسده كما هو .. لم يحاول أن يمتحنه أى نوع من

الرشاقة .. أو الاستطالة .. بل تركه يتشكل كما يتراءى له .. دون أى نوع

من أنواع الضغط عليه .. يبرز حيث يريد أن يبرز .. ويضيف إليه من

الشحم ما يريد .. وحيث يريد ..

لم يحاول أن يعذب نفسه بتلك الحركات المعذبة التى يسمونها

« ألعاب رياضية » .. فلم يكن يحس أن رحلة العمر المرهقة تحتل مزيدا من

الإرهاق المتعمد بالرياضة أو غيرها من أنواع الحرمان من هذا الطعام أو ذاك

الشراب ..

وهكذا ترك جسده ينمو كما يشاء .. دون أن يقيد به أى أسلوب من
أساليب التهذيب .. أو يفرض عليه أى نوع من أنواع الحظر .. بعد أن يش
من أن يجعل منه وسيلة جذب فى لعبة الهوى .

ورغم ذلك .. فقد وجد عبد اللطيف نفسه .. دون أن يدري .. ودون
أن يعتمد .. من أشد الناس جاذبية للناس ..

لقد تحول التلميذ الخائب .. بمجرد أن أنهى دراسته .. بخيبة .. إلى
مخلوق .. ناجح جذاب ..

ومن عجب .. كانت عناصر النجاح والجذب فى نضجه .. هى نفسها
عناصر .. الخيبة والفشل فى صباه ..

المخلوق الحساس الشفاف .. الذائب من ترنيمه شاد .. النائح من
تنهيدة محزون أو مروجع .. بات لكلماته التى كانت تضيق وقته .. وتصرفه
عن درسه .. طعم .. وقيمة .

بات .. العبث الذى كان يمارسه .. خلال الدروس .. هو الأصل فى
حياته .. وباتت الدروس بالنسبة له عبثاً أضع فيه أيامه الخوالى .

وسبحان مغير الأحوال .

واحترف الكتابة .

وباتت كلماته .. سر جاذبيته ..

ويذكائه .. ومشاعره الحارة ..

بنقاء ذهنه .. وصفاء قلبه .. أصبح إنساناً جذاباً .. على الورق ..
وبين الناس ..

لن يشعر أبداً بحاجته إلى جاذبية الشكل .. بعد أن طغت جاذبيته
المعنوية على كل ماعداها .

وانطلق يعيش بحرارة .. يحب وينفعل ويكتب .. ويستمتع بكل ما فى
الحياة .. من جمال .. ويقاسى كل ما فيها من مرارة ..

ولم يحاول أن يزوج بنفسه فى معترك الزواج ..

ولم يكن يحس بنفسه القدرة على تحمل مسئوليته . ولاكان يعتبره الحل
النهائى .. لمشكلة الرجل والمرأة .. بل لم يكن يعتبره أصلا حلا لمشكلتهما
معا .. بل كان يعتبره بداية حقيقية لهذه المشكلة .

وكان يعرف بحكم التجارب التى عاشها من حوله .. أن الزواج ليس
هو المحقق لأمانى المحبين .. بل هو المنتهى الذى تقف عنده أمانيتهم ..
ويتحول إلى شركة يتحتم لتجاربها صفات هى أبعد ما تكون عن الصفات التى
يتلهم عليها كل المحبين خلال لونة الحب . وهو يعرف أن المحب النموذجى
.. لا يشكل بالضرورة زوجا نموذجيا ..

قد تتوافر فى مخلوق بالصدفة .. صفات المحب النموذجية .. وصفات
الزوج النموذجية .. فينتهى الحب إلى زواج سعيد .. فإذا لم تتوافر صفات
الزوج النموذجى .. فى المحب .. وهى صفات أبعد ما تكون عن أن تخطر
ببال المحبين - أهمها الإحساس بمسئولية الشركة - تحول الحب بعد الزواج إلى
كارثة ..

وإذا كان عبد اللطيف محبا نموذجيا .. فهو قطعاً .. لم يكن بالذى يمكن
أن يصبح زوجا نموذجيا .. بكل ما فيه من رغبة فى أن يفعل مايشاء حينما
يشاء .. دون التقيد بنظام ما .. أو ارتباط بشخص ما ..
كان يستيقظ فى الظهيرة وينام قبيل الفجر .

وكان يحب الليل .. بسكونه .. ونجومه .. يحبه بكل ما فيه من مجون
.. وأشجان .. يحب دفئه بين الجدران فى الليالى القارصة .. ويحب نساماته
الرطبة الطليقة .. فى لياليه الدافئة .
وكان يقول لأصحابه دائما :

- لايقيد الإنسان فى حياته .. غير الأسرة .. وحسن السمعة .

وهكذا انطلق يتجنب بقدر ما يستطيع الارتباط بحمل الأسرة .. أو
الاكتساء بحسن السمعة .

وظل يتنقل من دار جريدة .. لدار جريدة أخرى .

ومن حبيبة إلى حبيبة .

حتى استقر أخيرا فى مجلة الزمان .. كمكان عمل .

واستقر على شهيرة .. كمرتج حب .

أما عن الزمان ..

فقد وجد فيها دنياه الحافلة .. بالمخلوقات والأحداث .. دنيا الصحافة بكل مافيه من تناقضات .. دنيا السلطة الرابعة بكل مافيه من سطوة .. وحق .. وقوة .. وكبرياء .. وشجاعة .. وضعف .. ورياء .. وخداع .. وكذب .. وتضليل .. وإرهاب .. ويلطجة ..

ومارس عبد اللطيف حياته فيها .. ممارسة المجرب .. المحنك .. الخبير بكل النماذج البشرية .. يقبلها فى ترحاب .. ويتلقى مساوئها .. تلقى المنتظر المتوقع .. لا يستغربها ولا يستنكرها .. مهما بلغت من سوء .. يقبل السيئة بغير أسف .. ويمنح الحسنة .. بغير انتظار رد أو اعتراف بالجميل .. وعندما يلومه لائم على عبطه ويلاهته .. لاستمراره فى مساندة من خذله وكفر بنعمته ، يقول ببساطة « لاتفعل سيئات الغير .. تبدل خلقك .. وتغير معالم نفسك » .

.. واحتل فى المجلة مكان « العمدة » .. وجعل من مكتبه مصطبة .. ومن بيته .. دوارا .. يلجأ إليه كل متعب .. أو شاك .. أو مظلوم .. أو قرفان من الحياة ..

وأقبل عليه الجميع .. بوجوههم مكشوفة .. بلا خوف ولا خجل .. أقبلوا عليه .. بذنوبهم .. ومساوئهم .. وفضائحهم .. فقد كانوا يجدون عنده .. دائما .. العذر .. والراحة .. والأمان .

ولقد حاول أن يقدم النصح لكل منهم .. عبثا .. فانتهى الأمر به إلى أن يأخذهم على علائهم .. ويقبلهم .. بكل ما فيهم من سخافات .. كأمر مسلم به وكشكل لايدل له .. ولا مفر منه .

ألم يكن هو نفسه .. صاحب سيئات ؟ ..
 هل أتعظ بنصح أحد ؟ ..
 قالت له أمه ذاك .. فلم يذاكر ..
 وقال له أبوه .. دعك من هذه الأشياء المضیعة للوقت .. فزاد إقبالا ..
 عليها ..
 ثم كبر .. وأصبح .. ما هو عليه .. بكل مافيه من سيئات .. ولو
 استطاع أن يغير نفسه .. لما أضحى ماهو .. بل أضحى شيئا آخر .. ربما
 أفضل .. وربما أسوأ ..
 ولكن الإنسان .. يصبح ماهو عليه .. بكل مافيه من سيئات وحسنات
 .. تركيبة متناقضة .. وخليط عجيب .. يشكل منه .. المخلوق الذى يقذفه
 القدر إلى الحياة .. وإلى الناس ..
 لماذا ينصح الناس أن يكفوا عن سيئاتهم .. وهو لم يستطع بعد هذا
 العمر أن يخلص من سيئاته ..
 السهر .. والشرب .. والحب .. والمزاح .. والمقالب ..
 أليست تلك هى سيئاته ؟ ..
 ولو خلس منها .. فماذا يبقى له ؟ ..
 ماذا يبقى له .. يواجه به الناس .. كشخصه ؟ .. لا كمخلوق آخر ..
 يختلف عنه جد الاختلاف .. كعبود أفندى كاتب الحسابات .. أو الأستاذ
 شكرى .. رئيس قلم القيودات ..
 لم يستطع أن يغير نفسه .. ولن يستطيع أن يغير الناس .. فليأخذهم
 على علائهم .. كما أخذوه على علائهم ..
 كان عليه أن يأخذ الأستاذ عبيد بكل مافيه من غرور واستعلاء ..
 كظاهرة لامفر من قبولها .. كما هى ..
 كان عبيد يقبل عليه بجسده الطويل وقامته الزعامية وشعره المنكوش
 فوق رأسه .. ويجلس واضعا ساقا على ساق قائلا له :

- مارأيك في الهمسة التي كتبتها اليوم ؟
- ولم يكن عبد اللطيف قد فهم منها شيئا . كان يعرف أن عبيد .. يحاول أن يكون صاحب أسلوب .. فكان يحول الكلام المفهوم الذي يريد أن يقوله .. إلى كلام غير مفهوم .. وقال له عبد اللطيف ذات مرة :
- لماذا لاتكتب كلاما بسيطا كالذي تتكلمه ؟
- أكتب كما أتكلم .. كيف ؟
- حتى يفهمك الناس .
- ولكن الكتابة شيء والكلام شيء آخر.. يجب أن يكون الكاتب صاحب أسلوب .
- الكاتب بطبيعته صاحب أسلوب .. ولكن غيرالكاتب لا يستطيع بتكلفه أسلوبا ما .. أن يصبح كاتباً ..
- ماذا تعنى ؟
- أعنى أنك لست كاتباً .. فلا داعى لأن تجهد نفسك .. وتتكلف أسلوباً .. فيصبح كلامك غير مفهوم .
- وغضب الأستاذ عبيد .. واستمر يكتب كلامه غير المفهوم .. ومن يومها .. لم يحاول عبد اللطيف أن يردعه .. بل تركه وأسلوبه للقارىء .. يفهم منه ما يشاء .
- وأقبل عليه الأستاذ جاد الله وقال له متفاخراً :
- كان عندي بالأمس .. كمال عبد الرحيم المخرج ورجائى أن أنشر وجهة نظره فى معركته مع المنتج البشلاوى ..
- ونشرتها ؟
- لا بالطبع . لأنى قررت أن أتخذ موقفا محايدا .
- عملت طيب .
- وفى العدد التالى .. لم يجد فقط وجهة نظر المخرج بل وجد حملة شعواء على المنتج ..

وبعد بضعة أيام عرف أن الأستاذ جاد الله يكتب سيناريو الفيلم الجديد الذى سيخرجه المخرج كمال عبد الرحيم .

ولم يجد عبد اللطيف ما يقول له سوى :

— مبروك الفيلم الجديد .. لم أكن أعرف أنك كاتب سيناريو ..

وضحك جاد الله قائلا :

— هى شغلانة .. أهى كلها كتابة .

ولم يكن عبد اللطيف يجد فى هذه السيئات البسيطة من الخطورة .. أكثر مما يجد فى بقية سيئات الناس الطبيعية .. ولكن أقسى الخطر الذى كان يحس منه .. هو ما لمس من خروج أحقاد البعض .. من مجالاتهم الخاصة .. إلى المجال العام .. عن طريق الكلمة المطبوعة فى الصحافة .. التى يسلم الناس بها .. كحقيقة واقعة .

أقبل عليه الأستاذ سرحان وعلى وجهه سيماء الشماتة والفرحة قائلا :

— سبق صحفى يا أستاذ حققته لمجلة هذا الأسبوع .

— ماهو ؟

— مدير مؤسسة سرق أموال المؤسسة .

— سرق أموال المؤسسة ؟

— أجل .

— هل صدر عليه الحكم ؟

— إنه مقدم للتحقيق .

— ولكن قد يبرأ ..

— لا .. لا .. بل سيدان ويحكم عليه .

— من عرفك ؟

— أنا واثق .

— هل اطلعت على أدلة الاتهام .. واطلعت على مستندات الدفاع ..

— يا أخى .. لقد سرق الرجل أموال المؤسسة .. إنى أعلم ذلك يقينا .

- وإذا يرى ؟
- تبقى كارثة ..
- هل تحب أن يدان ؟
- طبعاً .. لقد نشرنا عنواننا كبيراً .. مدير مؤسسة يسرق مائة ألف جنيه .
- هل كتبت « يسرق » أو يتهم بالسرقة ؟
- كتبت يسرق ..
- الله يخرب بيتك .. ألا تدري أنك تسدين الرجل قبل أن يديسه القضاء ؟ ..
- يا أخى .. قوت .
- أفوت ازاي .. هل تحب أن ينشر عن أبيك أنه مجرم .. لمجرد اتهام يوجه إليه ؟ ..
- وماله أبى فى هذا الموضوع ؟
- ياسيدنا .. هذا رجل له أولاد .. فى المدارس أو فى الوظائف .. كيف يواجهون الناس ؟ .. وإنك قد أثبت على أبيهم تهمة السرقة .. وأدنته .. بمجرد الشبهة .
- ماذا كنت تريد منى أن أكتب ؟
- تكتب الحقيقة .. بدقة .. كما عرفتھا .
- ولكنها لن تكون مثيرة .. هل تريدنى أن أقول أن تحقيقا يجرى مع مدير إحدى المؤسسات .. لبعض مخالفات اكتشفت بواسطة ديوان المحاسبة ؟
- ولم لا .. إن الأمانة الصحفية تقتضينا هذا .. يجب أن نجعل الناس يحترمون كل مائتول .. ويصدقونه بدقة ..
- ولكنهم يصدقونه .. كما هو .
- هذه هى المصيبة .
- ولم يستطع عبد اللطيف أن يوقف .. نفث الأحقاد من بعض الصدور

على الورق .. ولا استطاع .. أن يقنع زملاءه .. أن صفحات المجلة ليست ..
إقطاعيات خاصة يمارس كل منهم فيها سلطاته بغير حدود .. يمنع المديح لمن
يحب .. ويصعب السخط على من يكره .. ينشر بها الهبات وينتف منها
الأحقاد ..

ولا استطاع أن يقنع بعض المستخفين بمسئولية الكلمة .. أنها كحد
الموسى .. لاتقذف باستخفاف ذات اليمين وذات اليسار .. لأنها قد تخرج
وقد تذيب .

لم يستطع أن يقنع الأستاذ صلاحوى .. بأن القلم ليس .. بلطة فى يده
يقذف بها من يشاء .. لحساب من يشاء ..

أقبل عليه صلاحوى ذات يوم ضاحكا وهوىقول :
- قتلت مدير مؤسسة النقل فى المقالة التى كتبتها اليوم .
- لافائدة منك يا صلاحوى .

- لماذا ؟ .. لقد أعجب المقال كل من قرأه .. قالوا لى إن دمه خفيف
جدا ..

- إن من يشنكل إنسانا فى الطريق .. أو يصفع ممثلا على المسرح ..
يضحك الناس ..

- ولكنى لأصفع .. إنى أذبح ..
- لو عرفت أن الذى تذبحه يمكن أن يذبحك .. لما وجهت السلاح إليه ..
- من هو الذى يستطيع أن يذبحنى ..
- أنت تعرفهم تماما .. وتعرف كيف تقدم إليهم أغصان الزيتون .
ولم يقل له شيئا بعد هذا ..
ولا قال لغيره ..

أخذهم على علاتهم .. لأنه لم يستطع أن يقنعهم بتغيير أنفسهم ..
لأنهم بشر .

ولأنه هو نفسه .. كان يمارس بعض خطاياهم فى بعض الأوقات ..

ألم يكن يكتب فى نشاته .. مناجاته الحلوة إلى حبيباته .. ألم يكن يث
على صفحات المجلة لوعته .. ويسطر وجيعته ؟
ألم يكن يمدح من يحب .. ويهجو من يكره ؟
ألم يكن يخدم القريين إليه .. بنشر صورة أو بكتابة خبر ..
ألم يكن يجمال فى صفحته .. وكأنها عزية يملكها ؟ ..
الفارق بينه وبين غيره .. أن الناس تحب ما يكتب .. وتقبل عليه فى
شغف .. وطرب ؟
ألم تكن قصائده التى غناها .. وقائع حال .. ينفث به عما فى صدره
.. من حرمان ولوعة ووجيعه وضنى .
بل ألم يفسح المجال لشهيرة - آخر من أحب - على صفحات المجلة .. لكى
تنشر من المقالات والآراء والأحاديث .. مالم يستطيعه .. عشرات الكتاب
الذين يقفون بباب المجلة .. يطرقون الباب فى إلحاح دون أن يؤذن لهم ..
بالدخول إلى صفحات المجلة التى ترتع فيها شهيرة .. بما كتبه ومالم تكتبه ؟
لقد كان عبد اللطيف بشرا .. ولقد كان أدرى الناس بميول البشر ..
وسيئات البشر ..
فأخذ الجميع على علائهم .. وقبلهم بكل ما فيهم من سيئات ..
والتفوا حوله .. بنفوس مكشوفة .. لاستتحي من سيئاتها لأنه كان
يعرفها .. ويغفرها ويمارس بعضها .
ولم يحاول أن يكتسى بحسن السمعة ... لأنه كان يكره النفاق ..
ولأنه .. كان يجد أن سوء السمعة وقاية من الإشاعات ..
لقد كان يقول عن نفسه أسوأ ما يمكن أن يقوله مروجو الإشاعات
فقطع بذلك الطريق عليهم .
وهكذا اكتسب شجاعته بمواجهة القدر بلا أسرة يصوب إليها طعناته
.. ومواجهة الناس بلا سمعة .. يصوبون إليها ألستهم .
شئ واحد لم يستطع أن يواجهه .. وهو قلبه .. مكن الضعف فيه .
وكان آخرما تصيده منه شهيرة .

٥ - شركة بالإكراه

كان أول لقاء لعبد اللطيف بشهيرة فى ليلة من ليالى الصيف . كان يجلس فى مكتبه وقد انتهى من قراءة بروفة مقاله وسلمه لعبد الراضى قائلا :

- سلم المقال للأسطى عبد العزيز لأنه ينتظره منذ المغرب وطباعة الملزمة معطلة من أجله .

وتناول عبد الراضى الورق من عبد اللطيف متسائلا :

- أتريدنى بعد هذا فى شىء .. هل أجهز لك العشاء ؟

- لا .. تستطيع أن تذهب حيث تشاء .

- وأين ستعيشى ؟

- عندى دعوتان للعشاء .. وأنا حائر إلى أيهما أذهب .. هل أذهب

إلى حفل تكريم الشاعر اللبنانى زهير . أم أذهب إلى عيد ميلاد الأستاذ صلاح شوكت المخرج ؟

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى هدوء :

- اذهب إلى البيت ونم أحسن لك .. لقد مضى عليك أسبوع لم تنم

ساعة واحدة بالليل .. حتى بت لاتعرف النوم إلا بالأقراص .

- غدا سننام كثيرا يا عبد الراضى .

وقال عبد الراضى وهو يتجه إلى الباب :

- أبعد الله عنك نومة القد وأمد الله فى عمرك .

ودق جرس التليفون فرفع عبد اللطيف السماعة قائلا :

- .. أهلا فتوح .. من أين تتكلم ؟ ..
.. من بيت هالة .
.. وماذا تفعل هناك ؟
.. كنت مدعوا إلى حفل أقامته جمعية الطفولة المشردة .. وقد التقيت
بها هناك فأصرت على دعوتنا للعشاء .. ماذا تفعل أنت ؟
.. انتهيت من تصحيح المقال .. وحائرا هل أذهب إلى حفل زهير أم إلى
ميلاد صلاح شوكت .. أم أذهب لأنام كما ينصحني عبد الراضى ؟
رسمت فتوح لحظة كأنه يكلم أحدا بجواره ثم قال :
.. اسمع .. ما رأيك فى أن تدعك من هذا كله وتأتى إلينا ؟ ..
وأجاب عبد اللطيف فى صوت يغلبه الحزن :
.. لاداعى يا فتوح لهذه المتاعب .. لقد انتهينا .
ورد فتوح فى صوت خفيض :
.. أى متاعب ؟ انتظر لحظة على التليفون حتى أنقله إلى الحجرة الأخرى
لأعرف كيف أكلّمك على راحتى .
وبعد لحظة سمع صوته يقول :
.. اسمع يا عبد اللطيف .. إن هالة تريدك .. إنها هى التى طلبت منى
أن أدعوك .. بل أؤكد لك أنها لم تدعنا إلا من أجلك .
.. ماذا تريد منى .. بعد كل ما فعلت ؟
.. إنها تريد أن تتفاهم معك ..
.. لم يعد هناك سبيل للتفاهم .. دعنا من هذا كله أرجوك .
.. اسمع .. سأدعها تكلمك بنفسها .
وأحس عبد اللطيف بالأحمق الذى يسكن صدره .. يدق بعنف عندما
سمع صوت هالة يهتف فى رقة :
.. لطيف ؟ !! .. أهنت عليك إلى هذا الحد ؟ ..
قطعا لم تهن .. إنها مجرد محاولة فاشلة للاحتفاظ بالكرامة .

كان عليه أن يحاول الهجر والقطيعة .. بعدما أبصرها تجلس فى شرفتها فى حالة وله مع جمال مخرج آخر أفلامها .. وهى حبه المقدس .. والته التى تغنى بها ورفعها إلى السماء ونظم فى حبها القصائد .. وصرع بصورها الصفحات .

وأحس عبد اللطيف ليلتذاك بالطعنة تدمى قلبه .. وتحولت طعنة الحياة الدامية .. إلى قصائد .. تنشد .. ونفثات .. تروى .. وأتات تتصاعد بين السطور .

ومرت الأيام .. وهو مصر على القطيعة والبعد .. والحرمان يؤرقه .. والهجر يسعد ليلاليه .. وراح يحاول التعزى .. بهذه الحبيبة وتلك .. من رصيده الاحتياطى من الحبيبات .. حتى هتف به صوتها تسأله عما إذا كانت قد هانت عليه .

كيف تهون عليه ؟ .. وهى روحه وقلبه .. رغم كل خياناتها .. فداها نفسه .. وعمره .. وكرامته .. قبل أن تهون . هبط الدرج وهينادى عبد الراضى لكى يطلب له تاكسى .. وتساءل عبد الراضى :

— إلى أين قررت المضى يا أستاذ ؟

— إلى الجيزة .

وابتسم عبد الراضى فى نوع من الشماعة :

— قلت هكذا .. قالوا اطلعوا من البلد .. عادت ربة لعادتها القديمة .

جلس عبد اللطيف فى التاكسى وهو يهتف بالسائق :

— إلى الجيزة يا أسطى .. أمام جنينة الحيوانات .

وضرب عبد الراضى كفا بكف وهو يقول :

— كان لزومه إيه .. الفضايح التى عملتها فى القصائد ؟ ..

ودلف عبد اللطيف من باب العمارة .. وحمله المصعد إلى أعلاها فى الدور العاشر حيث تقطن هالة .

ووقف يندق جرس الباب ويعد لحظة فتحت له أم حكمت الخادمة وهتفت به مرحبة :

— أهلا .. وسهلا .. أهلا وسهلا .. عاش من شافك يا أستاذ .. لماذا هذه الغيبة .. بعد أن عودتنا على رؤيتك كل يوم ؟ ..

وحيا عبد اللطيف أم حكمت فى حرارة ثم اتخذ طريقه من الصالة إلى الشرفة الكبيرة المظلة عبر الشارع على الحديقة الكبيرة بأشجارها الممتدة المتكاثفة .

وأقبلت هالة تحييه بحرارة ولهفة ..

ورد هو تحيتها بلهفة أشد وكأن شيئا لم يقع بينهما .. واتجه إلى الحاضرين يحييهم فى مرح .

ومن بين الحاضرين .. كانت شهيرة .

ومن النظرة الأولى .. نسى قلبه الأحق دقاته لهالة .. ونسى أشواقه ولهفته وعتابه وحسابه .. وانحرف عن طريقه فجأة .. كما تنحرف عربة السكة الحديد عن الشريط .. واتجه بكل نبضاته .. ليندفع هاويا .. إلى حبه الجديد .

كانت شهيرة تجلس بجوار سور الشرفة ..

ومن ورائها يمتد الطرف الشرقى للقاهرة .. يبدأ بالأشجار المتكاثفة لحديقة الحيوانات والأورمان .. تلفها الظلمة .. وتخسش أوراقها من هبات النسيم .. ومن ورائها تبدو قبة الجامعة .. والأبنية والمزارع .. حتى الأهرام .. تلوح وسط الظلمة فى ضوء أصفر باهت .. يسلطه عليها مشروع الصوت والضوء .

وكانت شهيرة تتكىء بينماها معتمدة على السور الحديدى للشرفة ، وقد أستاذت رأسها مائلة على ذراعها .. وانساب شعرها يغطى نصف وجهها ثم يتهدل على كتفها ، وعندما أقبل عليها وثبت من مكانها تحييه فى حماسة مرحبة :

— تمنيت دائما أن أراك .. لا تتصور كم سعدت عندما قالوا إنك ستأتى.
ولم يكن فى حديثها تكلف .. بل كانت تغلب عليه خفة ونزق لم
يتعوده من الإناث الجميلات .

وكانت أنبى جميلة ما فى ذلك شك .. رغم كل تصرفاتها التى تبديها
كولد شقى .

كانت حلوة .. بعينيها السوداوين المرسومتين جيدا .. تظلهما أهداب
تتحرك فوقهما كالمروحة .. وتكاد تمس وجه المتحدث إليها فى كل طرفة
عين ..

ولم يكن أحلى .. مافيهما تقاطيع وجهها .. فقد كانت لأنفها طرطوفة
مقصومة إلى أعلى .. وكان فمها أميل إلى الاتساع .. فى شفتين ممتلئتين
تنفرجان عن أسنان منتظمة بيضاء ..

ولكن وجهها — على بعضه — كان شيئا شديد الجاذبية .. فى ابتساماته
ولفتاته .. قادرا على أن يشد الانتباه وسط غيره من الوجوه التى قد تفوقه
بقايس الجمال العادية المصطلح عليها .

وكان جسدها أميل إلى النحول .. وإن بدا ممتلئا فى الأماكن الواجبة
الامتلاء .. سواء كان ذلك امتلاء طبيعيا .. أو مصنوعا .. بالحشو أو
بتفصيله الثوب .. كما بدت ساقاها طويلتين مستقيمتين فى غير عجب ..
ولا اعوجاج ..

واستطاع عبد اللطيف أن يلمح ذلك كله فى نظرة خاطفة .. فقد كان
يملك قدرة خارقة بالنظر والحس .. فى استيعاب الجمال .. والحكم عليه .
واستقرت يدها فى يده .. وهو ينظر إليها مشدوها .

ورد على ترحابها قائلا فى رنة أسف :

— كنت تمنين أن ترينى .. وأنا لا أدرى .. بالضيعة العمر الذى مضى
قبل أن ألتاك ! ..

وضحك فتوح وقال وهو يصفق بيديه :

— مطلع أغنية جديدة ..

وأكمل صلحاوى يقول وهو يغمز بعينه :

— للهمة جديدة ..

ثم مال نحو هالة وهو يردف قائلا :

— راحت عليك ياست .

ولم يبد أن هالة قد أخذت الأمور مأخذ الجد فقد ردت مازحة :

— عبد اللطيف سيبقى صديق العمر .. إنه أخى .

وقال عبد اللطيف مؤكدا وهو مازال محسكا بيد شهيرة :

— طبعاً .. إن هالة أعز من أخت .

وسحبت شهيرة كفها من يده وقد أحست بشيء من التوريط والأنظار
تحدق فيها . واستقرت على مقعدها . وشد عبد اللطيف مقعدها واستقر
بجوارها .

وعاود الحاضرون اهتمامهم بما كانوا يباشرته قبل وصول عبد اللطيف
.. من شرب ومناقشة والتقاط لقمات المزة من فوق المنضدة .

ونسى عبد اللطيف .. كل ما كان قد أعده من عتاب لهالة .. ونسى
كل مشروعاته التى خططها لعلاقتها المستقبلية .. وبدت هالة وكأنها قد
أرضتها مجرد عودته .. ولم يضايقها إقباله على شهيرة .. بل لقد أحست
بامتنان لها .. وهى تريحها من عناء لهفته وفرط إقباله .. وحرارة جبه .

وأقبلت شهيرة عليه بابتسامتها الحلوة التى تشيع الإشراق فى كل
وجهها وقالت فى فرحة :

— لا أكاد أصدق أنى أجلس معك .

ورد ببساطة :

— ولا أنا ..

وعاد يتأمل وجهها وهى مازالت مبتسمة ثم تسأل قائلا :

— أول مرة أراك هنا .

- لأنها أول مرة آتى إلى هنا
- وكيف حدث ذلك ؟
- محض صدفة .. كنا فى اجتماع على الشاى فى نادى الجزيرة لبدء
الدعوة لحملة التبرعات لجمعية الطفولة المشردة ..
- أنت عضو فيها ؟
- اشتركت منذ بضعة أشهر عن طريق خالتي عليّة ذكرى وكيلّة الجمعية
.. فقد أحسست أن لدى فراغا لا بد أن أشغله .
- ألا تعملين ؟
- تزوجت بعد أن تخرجت فى الجامعة مباشرة .
ولم يحس عبد اللطيف بارتياح عندما علم أنها متزوجة .. وداخله
شعور بخيبة الأمل ..
ولم يستطع أن يخفى دهشته وهو يتساءل :
- أأنت متزوجة ؟
وضحكت شهيرة وتساءلت فى اغتباط :
- ألا أبدرك ذلك ؟
- مطلقا ..
- ماذا تقول إذا عرفت أنى أم ؟
- غير معقول ؟
- لاثنتين .. ولد .. و بنت .
- أنت أم ؟
- ولم لا .
- تبدين وكأنك لم تتجاوزى السابعة عشرة .
وضحكت شهيرة وأجابته وهى تبسط كفيها إلى أعلى :
- ربنا يجبر بخاطرك .
وعاد عبد اللطيف يتساءل وقد أطره أسلوبها البلدى فى الرد عليه :

- متى تزوجت .. ومتى أنجبت .. وما عمر ولدك ؟
 - إلى هنا وكفى .. رينا أمر بالستر .
 - لا أظنهما يزيدان على ستة وسنتين .
 واستغرقت شهيرة في الضحك وهي تقول :
 - يبدو أنى لا أستطيع أن أتستر .. لقد فضحتى القرد الصغير لأنه
 ذهب إلى المدرسة منذ عامين .. وراوية قد لحقت به هذا العام .
 وألقت بشعرها إلى الوراء وهي تعارد الضحك قائلة :
 - المفروض أن أدعى أنى تزوجت فى السادسة عشرة وأن محمود
 لا يتجاوز الخامسة .. فأضع نفسى بذلك فى الواحدة والعشرين .. ولكن
 المصيبة أنى لم أتزوج إلا بعد أن تخرجت فى الجامعة ..
 وقال عبد اللطيف وهو تأملها فى إعجاب زائد :
 - سنك لاتهم .. المهم أنك رائعة .
 وأحسست شهيرة أنها قد تغالت فى تكبير سنها فاستدركت قائلة :
 - على أية حال - مازال أمامى بضعة أعوام حتى أصل إلى الثلاثين ..
 ورد صلاحى وهولتقط حديثها قائلاً :
 - ولا أظنك بعد هذه الأعوام ستبلغينها . إن الثلاثين سن عسيرة البلوغ
 على السيدات .. وإنما يقفن دونها فلا يتجاوزنها أبداً ..
 وقالت هالة مقاطعة :
 - هيا يا جماعة .. إلى العشاء .. إن الطعام موجود على المنضدة ..
 فليغرف كل منكم لنفسه ما يشاء .. أنت لستم غرباء .
 ونهض عبد اللطيف وهو يقول لشهيرة :
 - استريحى أنت .. سأحضر أنا الطعام لكلينا .. هل تريدن شيئاً
 خاصاً ؟
 ووثبت شهيرة من مكانها فى خفة وهي تقول ضاحكة :
 - أهذا معقول ؟ ..

- ولم لا .. الرجال .. قوامون على النساء .
 - يا أستاذ عبد اللطيف . إنى سيدة بيت .. لاتنس أننا فى مجتمع شرقى ..
 تخدم المرأة فيه الرجل ماداما فى البيت ..
 - لست أتصورك تخدمين أحدا .. بل أتصور كل الناس فى خدمتك .
 - الله يخليك ..
 - إنى أتكلم جادا .
 - لاتدعنى أخدع فى نفسى ..
 - بل إنى أعرفك بنفسك ..
 - إنك لطيف .. ألطف مما كنت أتصور .. رغم كل إعجابى بك .
 وأحس عبد اللطيف بنشوة من إطرائها له .
 لقد أراحته كلماتها .. وأزالت عنه كل ماكان يشعر به من تعب
 وإرهاق ..

عجب ماتستطيع أن تفعل به الكلمات الطيبة ! .
 وعجب ماتفعل به الكلمات السيئة .
 رغم أنها .. هذه .. أو تلك .. مجرد كلمات .
 وهم بالاتجاه نحو حجرة الطعام ولكنها أمسكت به من يده وهى ترجو
 قائلة :

- أرجوك .. دعنى أمارس مهمتى الطبيعية ..
 وعاد عبد اللطيف يستقر على مقعده .. وهو يحدق فى الفراغ المنبسط
 أمامه .. الأشجار .. والأنوار .. والقباب .. والأفق الذى يمزج الظلمة فيه
 سماء ه بأرضه .. وتختلط نجوم السماء المرتجفة .. بذبالات الأرض
 المتراقصة .

وود لو أضحى جزءا من هذا الفراغ .. ليتحرك بلا حدود .. ولا قيود
 .. نسمة طليقة .. تسرى بين السحب .. وتنساب بين الدور .. وتنطلق إلى
 أمواج البحر .. حرة .. بلا قيد يشدها إلى الأرض .. وبلا عبء يشغلها عن

الانطلاق والسريان ..

ولكن .. فى الأرض أشياء جميلة .. لا يستطيع أن يمارسها .. إلا هو
فى قيد جسده .. لا بد أن يتشكل .. لكى يكون شيئا منظورا .. ملموسا
.. لكى يلتقى مع هذه الأشياء الجميلة المنظورة الملموسة .. لكى يتبادل
وإياها .. متعة الوجود بالنظر واللمس ..

ومن بين هذه الأشياء الجميلة .. هذه المخلوقة الرائعة .. التى تجسد
أجمل الأشياء المنظورة الملموسة .. أجمل ما يرتبط بهذه الأرض . .
وعادت شهيرة تحمل طبقين فى يدها ووضعتهما على المنضدة الصغيرة
وهى تتسائل :

- أرجو أن أكون عند حسن ظنك فى الانتقاء .

- فتنتك شغلتنى .. عما سواها .. ولم يعد لى قدرة على التمييز بين
هذا الطعام وذاك .. ولاعدت أذكر ما أحب وما لا أحب .

وابتسمت شهيرة وهى تتخذ مقعدها بجواره :

- رويدك على .. أنا لست حملك .

- لست حملى أنا ؟

- أجل .. لا تمارس فى كل قدرتك كشاعر .. فأنا لا أحتمل .

- إنى أتحدث كإنسان .. ولست كشاعر .

- أجمل شيء فىك أنك إنسان ..

وصحتت برهة وهى تتشاغل بطبقها ثم أردفت :

- ولكن مع ذلك .. أسألك الرفق .. فإنى لم أعود كل هذا التدليل ..

- عجيب .. من الذى يدل إن لم تدلى أنت ؟ ..

وردت ضاحكة فى شيء من السخرية :

- قل لهم ..

- لا تدعنى أتهم بالقصور .. أولئك الذين لا يعرفون قدرك .

ومس قوله من نفسها موضعا حساسا .. وشردت برهة .. ثم نفضت

عن نفسها الشرود .. وعادت تقول ضاحكة :

- شاعر الحى لا يسليه .

وتناول عبد اللطيف شيئا من طبقه فى غيراكتراث ثم أقبل عليها فى اهتمام أشد قائلا :

- حدثينى .

- عن ماذا ؟

- عن شاعر الحى .

- حدثنى أنت عن شاعر البلد ..

- لا أظن أن لدى ما أقول عن نفسى .. أكثر مما نشرت .. إنى ..
أحيا حياة علنية .. أعريها أولا بأول على الصفحات أمام عيون القراء .. لم
يعد لدى شىء أخفيه ..

- حدثنى كيف تعيش حياتك فى البيت ..

- يعرف هذا أفضل منى .. عبد الراضى .

- عبد الراضى من ؟

- صديقى فى المجلة وفى البيت .. أول من يوقظنى .. وآخر من
يودعنى قبل الانطلاق إلى حياة الليل .

- وماذا يعمل ؟ ..

- كبير فراشى .. مجلة الزمان ..

وضحكت شهيرة قائلة :

- لا بد أنه مخلوق متميز .. هذا الذى يحظى بصحبتك ؟

- لست أظنه متميزا فى شىء .. سوى أنه إنسان طبيعى تستطيعين أن
تلمسى فيه بوضوح كل خصال الإنسان الطبيعى .. بحسناته وسيئاته ..
يستمتع بحياته بقدر ما تسمح به قدرته .. ويمارس جميع النزوات التى يبيحها
له مجتمعه .. وعندما يرغب فى امرأة يتناولها - كما يقول - على سنة الله
ورسوله .. وقد تزوج حتى الآن ستا .. طلق منهن ثلاثا .. ويحاول الخلاص

من الباقي .

واستغرقت شهيرة في الضحك قائلة :

- يبدو أنه إنسان عجيب .

- إن خيرما فيه .. أنه يتعامل مع المجتمع .. بأسلوب هذا المجتمع .

- لأظن التعامل مع مجتمعنا بالأمر السهل .

وأطلقت شهيرة تنهيدة غمت عما تختزنه في صدرها .

وعاود عبد اللطيف التساؤل :

- لم تحدثيني عن شاعر الحى بعد .

- ماذا تريد أن تعرف .

- شيئا أكثر مما عرفت .

- وماذا عرفت ؟

- عرفت أنك متزوجة .. ولك ابن وابنة .. وأنت ست بيت .

- وماذا أيضا ؟

- شيئا يتناقض مع كل ما قلت .

- وهو ؟

- أن لديك فراغا من الوقت .. لاتعرفين كيف تشغلينه .

- حاولت أن أشغله فى العمل فى الجمعيات .

- هل هذه أشياء تملأ الفراغ حقيقة ؟

- وكيف يمكن أن أشغله ؟

- السؤال الأهم من هذا ؟ .. كيف يمكن أن يوجد فراغ لست بيت وأم

أولاد .. وزوجة سعيدة ؟

ورفعت شهيرة حاجبها فى دهشة وأطلقت ضحكة قصيرة من أنفها

وتساءلت :

- لماذا سعيدة ؟

- المفروض أن تكونى هكذا ؟

- وهل كل مفروض واقع بالفعل ؟
- وماذا يمنع المفروض من أن يقع لك ؟
- ولماذا يتحتم وقوعه ؟
- لأنك .. لأنك جميلة .. وذكية .
- مجرد وجهة نظر ..
- بل حقيقة واضحة .
- لاأظن الطرف الآخر .. يراها بنفس الوضوح ..
- إذا لم يرها .. يكون هو المخطيء .
- عندما يختلف طرفان فى شركة .. تصبح الشركة متعذرة .. بصرف النظر عن أى الطرفين مخطيء .
- وهل أصبحت الشركة متعذرة؟
- ويغير وعى قفز السؤال إلى شفتيه .. وكأننا يتمنى أن تكون الشركة أضحت متعذرة فعلا .
- وتلكه إحساس بتأنيب الضمير.. وهو لايملك إخفاء أمنية السوء التى تحركت فى داخله .
- ولكن الرد .. لم يتحرك فرصة لضميره لكى يارس تأنيبه .. فقد جاء .. أكثر حسما .. مما يتصور .
- قالت شهيرة وهى تهز رأسها فى شىء من الحيرة :
- لم تصبح فقط متعذرة .. بل أضحت مستحيلة .
- كيف ؟
- إننا فى شبه انفصال .
- وحاول عبد اللطيف جهده أن يكبت ذلك الإحساس بالارتياح الذى عاد يراود نفسه .. فقد كره من نفسه أن يسعد بفشل الآخرين وشقائهم .
- وزجر نفسه عن هذا الإحساس الأحمق الذى لا مبرر له . وقال فى صوت غلبه الحزن :

.. شىء مؤسف .

وهزت شهيرة رأسها فى اعتداد قائلة :

.. عندما يصبح ارتباط اثنين سببا للتغيب عليهما .. فخير مايفعلانه .. هو أن يفترقا ..

.. ولكن أليس هناك سبيل للتفاهم ؟

.. التفاهم لم يعد وسيلة للتقارب .. بل أضحي وسيلة لمزيد من الخلاف .. أو للجدل الذى لا ينتهى ..

.. والنتيجة ؟

.. وصلت إلى نقطة اليأس .. وأخذت الولد والبنت وذهبت إلى بيت أبى .. الدكتور عبد الخبير زكى .. أستاذ العلوم فى الجامعة .. لعلك تسمع عنه .

.. أوبرك .. الدكتور عبد الخبير ؟

.. أجل .

.. إنه عالم كبير .. لقد علمت أن له سمعة عالمية طيبة .. وأنه دعى للمشاركة فى أحد البحوث التى أوصى بها مؤتمر العلوم الإلكترونية .

.. أجل .. لقد حضر هذا المؤتمر وطلبوا إليه فعلا المشاركة فى البحث .

.. ألم يحاول أن يتدخل فى مشكلتك ؟

.. حاول كثيرا .. نصحنى مرة .. ونصحه مرة .. وجلس معنا عدة مرات .. ولكنه مل من كثرة الخلاف وكثرة الشكاوى .. وقال لى أخيرا . ليس كل زوجين على ظهر الأرض يمكن أن يتفقا فى حياة واحدة فى بيت واحد .. مدى الحياة .. من الجائز أن يحتمل كل منهما الآخر بعض الوقت ومن الجائز أن يحتمل بعضهم البعض الآخر كل الوقت .. أما أن يتفق كل زوجين على ظهر الأرض كل الوقت .. فهذا أمر مستحيل .. فإذا كنتم قد عجزتما عن أن يحتمل كل منكما صاحبه بعد هذه المدة من الارتباط .. فكفى أنكما قد احتملتما عشرتكما السنين التى مضت . ولن يكون أمرا عجيبا إذا

افترقتما .

— أقال لك أبوك هذا ؟

— أجل .. لأنه منذ خمسة عشر عاما .. يعيش فى شقة وحده ..

— وأمك ؟ ..

— تعيش فى شقة مقابلة فى نفس الدور فى نفس العمارة .. على

النيل فى الزمالك ولقد ظللنا نعيش معها فى الشقة المقابلة لأبى . حتى

تزوج منا من تزوج وسافر من سافر .. وبقي من بقي .

— وهو يعيش فى شقته وحده ؟

— بل يعيش مع زبيدة .

— زبيدة من ؟

— دادة عجوز سوداء .. قامت بتربيتنا ونحن صغار . وعندما بدأ

الخلاف يدب بينه وبين أمى .. قال لها ببساطة .. إنه لم يتعود أن يحتمل

رفقة إنسان أكثر من عشرة أعوام وإنه بعد أن أمضى معها خمسة عشر عاما

رأى - بعد أن طالت عشتريهما - وبدأ الضيق والملل يشيران كلا منهما على

صاحبه .. أن يعيش وحده .. وحتى لا يساء تأويل فرقتهما من الناس .. قرر

أن يقطن فى الشقة المقابلة .

— وماذا قالت أمك ؟

— وماذا كانت تستطيع أن تقول .. إنه يأتى فى مواعيده ويخرج فى

مواعيده .. ولا يرتكب أى شىء يمكن أن يلام عليه .. لاشىء أكثر من أنه

يستمتع بالعيش وحده ..

وضحك عبد اللطيف قائلا :

— لقد انتهى أبوك .. إلى حيث بدأت أنا ..

— أستمع أنت بالعيش وحدك ؟ ..

— ليس بالضبط .. ولكنى فقط أحسست من أول الأمر .. أننى

غير قادر على حمل مسئولية الشركة .. وأنى لا أكاد أحمل مسئولية نفسى

- .. حتى أحملها مسئولية الغير .
- تعنى مجرد هروب من المسئولية .
- شىء كهذا .
- ولكنك مع ذلك .. لاتكف عن حمل مسئوليات الغير ..
- أحملها بإرادتى .. وليس بالإكراه ..
- وضحكت شهيرة قائلة :
- إذا فأنت تجد الشركة نوعا من الإكراه .
- مع الوقت قد تصبح كذلك ..
- ولكننا نستطيع أن نتخلص منها .
- كما فعل أبوك ؟
- هذه طريقة ؟!
- أو كما تفعلين أنت ؟
- وتنهدت شهيرة قائلة وهى تحاول أن تتخلص من رنة الحزن فى صورتها :
- إنى أحاول .
- أليس هناك سبيل لإعادة المياه إلى مجاريها ؟
- لاأعتقد .
- وما هو موقف أمك ؟
- فزعت أول الأمر .. ولكنها تعودت .. وملت من كثرة ذهابى إلى بيتى وعودتى إليها .. واستراحت أخيرا إلى وجودى معها بعد أن ينست من إصلاح الأمر .. إنها تحب الأولاد .. وأننا غلأ عليها البيت .
- ولكن .. ماهو سبب الخلاف ؟
- ونظرت شهيرة إلى الفراغ الفسيح الذى اختلط فيه الشجر بالسماء ..
- وتناثرت فيه النجوم والمصابيح .
- وأطلقت تنهيدة ثم أردفت وكأنها تحدث نفسها :
- إنها قصة طويلة .

– أحب أن أسمعها .

– لماذا تفسد الليلة الجميلة .. بحديث المتاعب والأشجان ؟

– لا أريد أن أضايقك .. ولكنى فقط تمنيت أن أعلم عنك المزيد ..
لعلى أستطيع أن أصنع لك شيئا .

ولقد عرف بعدها عن شهيرة كل شيء .. وصنع لها كل شيء ..
وعندما انطلقت إلى السماء ..

لم يستطع أن يبقى على الأرض لحظة بدونها بل انطلق وراءها ..
فلا شيء يمكن أن يكون له قيمة بدونها فى الأرض .. أو فى السماء .

٦- حب أفضى إلى زواج

أنهى عبد اللطيف جولة ذهنه الشارد عبر ماضيه .. وعاد يحدق من جديد فى الفضاء المنبسط وراء نافذة السفينة .. فى حقل السماء المتراعى الأطراف .. بذرت فيه النجوم كأنها حبات اللؤلؤ .

رائع هذا الفضاء .. لو أنهم تركوه يفلت من هذا الكوكب ؟ .. ليسرى فيه حرا طليقا .. يسبح كما تسبح الكواكب والنجوم .

ولكنه بشر .. مازالت له احتياجات البشر .. وقدرة البشر .

قد يكون أعفى من حمل جسده .. ولكنه لم يعف بعد .. من مطالبه الملحة .. فهو ملزم أمام هذا الجسد البشرى .. بأن يقدم له الطعام والشراب .. والحب ..

وإذا كان يعاف ابتلاع الأكل من الأنابيب .. وامتنصاص الشراب بالشفاطات .. فهو مضطر لقبول ما ليس منه بد .. تحت إلحاح هذا البدن .. الذى إن خلص من عبئه .. فهو لم يخلص من عبء مطالبه .. بأكل يقيم الأرد .. وشرب يطفىء الغلة .

أما الحب .. فهو خير ما تستطيع السفينة أن تقدمه .. بحملها الأنثوى الجميل .. يشيع فيها .. بل فى الفضاء كله .. حلاوة وبهجة .

لقد ترك الأرض سعيا وراءها ..

أمعقول بعد هذا أن يتركها فى السفينة ويسرى وحده إلى الفضاء ؟ وأحس بالحنين إليها .. وأخذ يحرك أطرافه سابحا فى الهواء .. وسرى فى خفة إلى الممر وتوقف أمام قمرتها فوجدتها خالية . وواصل الحركة عابرا حجرة أبيها الدكتور عبد الحبير فلم يجد أحدا .

واستمر يسرى حتى بلغ مقدمة السفينة وعبر الباب إلى مايسمونه
بـ « غرفة العمليات » فوجد شهيرة مع الثلاثة الآخرين حول منصدة مستطيلة.
جلس على رأسها الكابتن عبد المهيمن قائد السفينة وجواره المهندس عبد
القادر ، وأمامه الدكتور عبد الحبير وشهيرة .

وابتسم عبد المهيمن وهو يجد عبد اللطيف مقبلا يحرك ساقيه ويديه
وحياه ببشاشة قائلا :

- أهلا أستاذ عبد اللطيف .. أرجو ألا يكون هناك ما يزعجك .

- مطلقا .. إننى أحس بنشاط عجيب .. أتحرك كالريشة .

وضحك عبد القادر قائلا :

- وتستطيع أن تأكل كما تشاء .. دون أن تحس بتبيل أو وخم .

- أكل كما أشاء ؟ .. وأين منى ما أشاء ؟

وتساءل عبد المهيمن باسم :

- وماذا تشاء ؟

وردت شهيرة :

- ساندوتش فول .

وأخرج عبد الحبير قرصا من زجاجة صغيرة قائلا :

- هذا القرص يحتوى من البروتينات ، وفيتامينات ا ، ب ، ج .. ما

يعادل طبق فول وطبق سلاطة وورطل لحمة مشوية وتفاحة .

وأجاب عبد اللطيف وهو يستقر بخفة على أحد المقاعد المحيطة

بالمنصدة :

- المسألة ليست مسألة بروتينات وفيتامينات .. ليست ملء أنسجة

ودعم خلايا وتقوية عظام وشد عضلات .. فالإنسان ليس بناء أجساد ..

يحتاج إلى مجرد مونة .. وإنما هو مجموعة مشاعر .. تهفو إلى الاستمتاع

بنعم الحياة .. ومن بينها شهى الطعام .. ولذيذ الشراب .. ولو لم يكن

الطعام متعة .. لما كانت به لهفة إليه .. لو أنه مجرد أقراص بروتينات ..

وفيتامينات .. لنسى تناوله .. وهزل .. وذوى .. إنه لايهوى الحياة .. لمجرد الحياة .. ولكن لينعم بما فيها .. وإذا كان يكافح من أجل اللقمة . وإذا كان يأكل ليعيش .. فهو يعيش بعد ذلك لينعم بكل مافى الوجود من نعم .. الطعام والشراب والراحة والحب والجمال بكل صوره .. والعمل من أجل استنباط المزيد من النعم .

ونظر إليه عبد الخبير وكأنه ينظر إلى مخلوق غريب يتحدث بكلام غير مفهوم ثم قال له باختصار وهو يمسك القرص بين أصبعيه :

— أتريد القرص أم لا ؟

— هاته .. أحسن من قلته ..

وقال المهندس عبد القادر :

— ليس هذا وقت استمتاع بالأكمل ..

ورد عبد اللطيف :

— مفهوم .. مفهوم .. أهو كلام .. مجرد كلام .

وأجاب عبد الخبير :

— ولاهو وقت استرسال فى كلام ..

ورفع عبد اللطيف حاجبيه فى دهشة وقال فى احتجاج :

— لاأكل .. ولاكلام .. ماذا أستطيع أن أفعل إذن .. وذلك هو كل ما

أملك فى الحياة .

وقالت شهيرة ضاحكة :

— تكتب ..

— أكتب ماذا ؟

— تكتب عن كل ماتمر به من تجارب .. وتراه من روائع .

— أنا لست آلة تصوير .. إنى أختزن ما أراه . وما أحس به .. وأجتره

وقت الحاجة .. إنه يبقى فى ياطنى رصيда .. أصرفه وقتما أشاء .. وليس

كل ماترونه رائعا .. يمثل عندى بالضرورة شيئا ذا قيمة .. وقد يكون أقيم

ما أنتقطه .. لايلفت نظر أحدكم .. لما قد يبدو لكم من تفاهته ..

وتساءل عبد القادر قائلاً :

— وماذا يكون دورك فى الرحلة إذن ؟

— أرقب وأفكر .

وقال عبد المهيم فى لهجة تأكيد :

— نحن لا نريد منك أكثر من هذا .. أنت فنان .. ولا أحد هنا يلزمك

أكثر من أن ترقب وتفكر .. وتقول ماتريد .. وقتما تريد ..

وقالت شهيرة مقاطعة :

— لقد سجلت أنا كل شيء منذ أول لحظة .. لن يصبر على أحد .. حتى

أرقب وأفكر .. ثم أقول ما أريد وقتما أريد .. ولو كنت أفعل .. لفصلت

من التلفزيون .. ولما نشرت لى الصحافة شيئاً .. إنى أريد أن أحقق سبقاً

صحفياً عالمياً ..

ونظر عبد الخبير إلى أحد الأجهزة ثم قال وقد بدا عليه الشرود :

— المهم أن تجدى شيئاً .. يستحق السبق .

— لقد وجدت أشياء رائعة .

— كل ما وجدته .. ليس فيه جديد .. المهم هو ما يمكن أن تجديه بعد

ذلك .

وقال عبد المهيم وهويرقب الأجهزة :

— أجل .. المهم هو ما سنقوم به فى المرحلة التالية .. مرحلة الهبوط إلى

الكوكب .. ستكون مرحلة مثيرة .. أرجو أن تتم بنجاح .

وقالت شهيرة فى حماس :

— سنكون أول الهابطين إلى الكوكب .. سنخلد أسماءنا فى التاريخ ..

ككولومبس ..

وقال عبد اللطيف :

— ككولومبس .. اكتشف مجرد قارة . نحن سنكتشف كوكباً .

وقال عبد المهيمن فى هدوء :

— سيصبح كوكبنا .

ورد عبد اللطيف ضاحكا :

— لم أفلح فى شراء قطعة أرض أبنى عليها بيتا فى الكرة الأرضية ..

وهنا سأملك كوكبا .. سبحان العاطى ..

ثم التفت إلى عبد القادر متسائلا :

— هل أستطيع أن أبنى عليها فيلا صغيرة ؟

— تستطيع أن تبنى فيه مدينة إذا شئت .. سنصبح فيه أصحاب

سيادة ..

وتساءل عبد الحبير :

— متى ستفعلون كل هذا .. إن التعليمات تحتم أن نعود خلال

أسبوع ..

وقال عبد القادر :

— التعليمات تمنحنا مرونة فى العمل .. إن الاتصال بيننا وبين القاعدة

مستمر .. وهم لا يريدون تقييدنا بجدول زمنى محدد .. وقد تركوا لنا حرية

اختيار وقت الهبوط ..

وقال عبد اللطيف :

— على أية حال .. نحن مقيدون على الأقل بما لدينا من طعام .

وردت شهيرة :

— ومن قال إننا لن نجد طعاما فى الكوكب .. ألايحتمل أن نجد طعاما

كافيا يجعلنا ندبر إقامة أطول .

ونظر إليها عبد الحبير فى دهشة :

— إقامة أطول ؟ .. أتظننها نزهة .. إننا مقيدون ببرنامج محدد .. إن

العالم كله يرقبنا .. أم تظنننا سنهرب بالسفينة إلى الكوكب كالقراصنة ..

ونعلنها هنا دولة مستقلة .

ورد عبد اللطيف ضاحكا :

— والله مسألة تستحق التفكير .

ونظر عبد القادر إلى عبد المهيم نظرة متسائلة . وقال عبد المهيم فى

هدوء :

— دعونا نهبط أولا.. ولنتحدث عن المصير بعد ذاك .

ثم ألقى نظرة سريعة على الساعة قائلا : '

— أوشك الوقت أن يحين .. ليذهب كل إلى موضعه .. وسأعلنكم ببء

المرحلة الثانية .. حتى يستعد كل منكم ..

وأمسك القلم المعلق فى الهواء وضغط على كراسة تعوم فوق المنضدة ثم

أخذ يخطط بضع كلمات .. قائلا لعبد القادر :

— أرسل هذه الإشارة للقاعدة ..

وسارعبد اللطيف وراء شهيرة فى الممر وكان عبد الراضى قد أقبل

يبحث عنه متسائلا :

— كنت أبحث عنك يا أستاذ .

— ماذا تريد ؟

— هل سنبقى هكذا بلا عمل ؟

— وماذا يضايقك فى ذلك .. أأست مستريحا فى فراشك .

— من جهة مستريح .. مستريح .. ولكن أخشى ..

— ماذا تخشى ؟

— أخشى أن يخضم اليرم علىّ .. وأنا راقد هكذا بلاعمل .

— لاتخش شيئا ..

— ولكن إلى متى سأبقى هكذا مستريحا ؟

— حتى نهبط إلى الكوكب ..

— ثم ..

— نشتغل .

— نشتغل ماذا ؟

— الله أعلم .. يتوقف الأمر على ماذا سنجد فى الكواكب .. وإلام
سنمكث ..

وقالت شهيرة فى حماس :

— إذا وجدنا أرضا صالحة .. وجوا معتدلا .. فلا بد أن نقضى فترة
نستكشف فيها الكوكب .

وقال عبد اللطيف :

— وهنا يصبح عليك يا عبد الراضى .. أن تزرع .. وتقلع .. وتطبخ
وتكنس .. وتفعل كل ما كنت تفعله على الأرض .

وقال عبد الراضى :

— وحدى ؟

وردت شهيرة مؤكدة :

— بالطبع لا .. سنساعدك جميعا .. بل على كل واحد أن يتولى
أمر نفسه .

— لأقصد هذا يا ست شهيرة ..

وتسائل عبد اللطيف :

— ماذا تقصد يا غبى ؟

— أقصد .. ألن يكون هناك حريم .. تحضر إحداهن تساعدنى فى
الخدمة .

— وتتزوجها بالطبع ؟

— ليس الغرض .. ولكن ..

— اسمع يا عبد الراضى .. نحن لانريد فضايح فى الكوكب ..

— فضائح لماذا .. ما دامت على سنة الله ورسوله ..

— وتأخذها معك إلى الأرض ؟

وفكر عبد الراضى برهة ثم قال :

— نشوف ..

وضحكت شهيرة وهى تدخل قمرتها قائلة لعبد اللطيف :

— لعلك تجد فى الكوكب أحدا يعجبك .

— ليس فى قلبى متسع لأحد .. فيه من الأرض .. ما يغنيه عن كل ما

فى الكواكب والنجوم ..

ودخلت شهيرة قمرتها ووقفت برهة وراء النافذة المستديرة ترمق الفضاء

ثم استقرت على فراشها .. وأسندت ظهرها .. ومدت ساقها .. وشرد

ذهنها يعث فى دروب الماضى والحاضر .. ويتوآب إلى المستقبل ..

هذا الرجل الذى انطلق وراءها إلى الفضاء .. مصر على حبها فى

إلحاح شديد .

تمتع أن يلقى الإنسان مثل هذا الحب العجيب ..

وبغير مقابل .. فهى تتلقى منه هذا الفيض من الحب دون أن تجد فى

نفسها من مشاعر الحب ما ترد عليه به .. قد تجد فى قلبها المودة .. والعطف

.. والامتنان .. والتقدير له كفنان .. أما الحب إياه فقد بات أمره متعذرا ..

نضب الحب من نفسها .. بعد التجربة الكبيرة التى مرت بها ..

تجربة الزواج !!

بدأت التجربة منذ زمن بعيد .. بعيد .. وهى تقف من الدنيا على

حافة الأمانى الوردية .. والآمال المشرقة .

كانت تقبل على الحياة فى لهفة وثقة .

وكان كل ماحولها يمنحها الإحساس بالأمل ..

فى الكلية .. فى النادى .. وفى البيت .. وفى الطريق .. كانت

تشعر أنها شيء ما .. أهم من كل ماحولها .

ورغم أنها لم تكن راضية عن شكلها عندما تقف لتتأمل وجهها فى

المرآة .. ورغم أنها كانت تكتشف عيوب جسدها عندما ترتدى المايوه

والبنطلون فقد كانت لا تملك إلا أن ترفع كتفها وتقلب شفتها السفلى وكأنها

تقول لنفسها :

« وماذا أفعل إذا كنت أعجبهم هكذا » .

وكان أبوها الدكتور عبد الخبير زكى الأستاذ فى كلية العلوم أول المعجبين بها . كان يقول وهو يشير إليها فى إعجاب :

— هذه البنت .. خسارة .. فى أى زوج .

وملأها الإحساس بأنها خسارة فعلا فى أى إنسان .. وهى تحس بنفسها متربعة على عرش من التميز .. يرفعه إليه كل من حولها .. وانتخبت فتاة الجامعة المثالية .. وبرزت فى كل نواحي النشاط فى كليتها .. فى الدراسة .. وفى الرياضة .. وفى فرقة تمثيل الكلية .

ورآها أحد كبار المخرجين السينمائيين وهى تقف على المسرح لتنشد أغنية مصر .. وقد اتشحت بالعلم ووضعت التاج على رأسها كأنها ملكة فاندفع يعرض عليها بطولة أحد أفلامه .

واستنكرت عرضه .. وقالت فى دهشة :

— أنا أصبح ممثلة؟

— ستكونين بظلة .

— بظلة فى الأفلام المصرية ؟!

ولم تتخيل نفسها .. بكل ماتملكه من قدرات .. وبكل ما يراوه نفسها من تطلع إلى المستقبل المشرق الخافل .. أنها يمكن أن تصبح مجرد ممثلة فى الأفلام المصرية .. حتى ولو كانت بظلة .. حتى ولو نشرت صورها على أغلفة المجلات وغطت جدران الشوارع .

إنها ليست بهذه التفاهة .. إن أحلامها أكبر كثيرا .. والقدر يعد لها مكانة أروع .

والتقت به أول مرة فى نادى الجزيرة ..

كان يخرج من أحد ملاعب الاسكواش وقد أمسك المضرب بيمنه وربط البلوفر حول رقبته وتندى جبينه بالعرق .. واحمر وجهه .. وتساقطت خصلة

شعر على جبينه .

كان شكله سينمائيا رائعا ..

وكان المفروض أنها أعقل من أن يلفت نظرها هذه الأشكال .. فقد كانت تترفع على أولاد النادى .. ولعبة الاسكواش والتنس .

وكانت تحس أن تعاملها لا يمكن أن يكون إلا مع الناضجين من الرجال .. من المفكرين والتميزين من أهل الخبرة والمهبة .

وهفت إحدى زميلاتها فى إعجاب وهى تراه يقبل فى خطى سريعة :
- مدحت ..

والتفت مدحت إليهن وإبتسم .. وردت الفتيات الابتسامة فى ترحاب .. ولكن شهيرة أشاحت بوجهها متشاغلة بالنظر فى اتجاه آخر.
واختفى مدحت فى مبنى الحمام .. والتفتت إحدى الفتيات إلى شهيرة متسائلة :

- لماذا لم تحبيه ؟

- ولماذا أحبيته ؟

- إنه إنسان لطيف .

- أحتم على أن أحب كل إنسان لطيف ؟

وردت أخرى فى دهشة :

- إن أية فتاة تتلف على تحيته أو الحديث معه .

وأجابت شهيرة فى استخفاف :

- أنا لأحب هذه الأشكال التافهة .

- ولكنه ليس تافها .. إنه مدرس فى كلية الهندسة .

- هذا الولد مدرس فى الجامعة ؟

- طبعا ..

- غير معقول .. إنه لا يعدو أكثر من تلميذ .

- إنه نابغة .. لقد كان أول دفعته .. وعين معيدا فى الكلية .. وهوىعد

رسالة للدكتوراه .. إنه صديق أخى إبراهيم وهو يقول عنه إنه إنسان ممتاز .
وأحست شهيرة بأنها ظلمته عندما أخذته بشكله .. وبلهفة البنات
عليه .. وعندما عاد بعد أن ارتدى ملابسه .. تمتت لو أقبل عليهن ومنحها
فرصة الحديث معه .. لعلها تكفر بحسن معاملته عن سوء ظنها به .
واقترب منهن .. اقتربا عن عمد كأنما يود أن يتحدث معهن .. وكانت
نظرته موجهة إليها .. واستغل فرصة وجود الفتاة التى يعرف أخاها فاقترب
منهن وحيها قائلاً :

— أهلا نبيلة .. كيف حال إبراهيم ؟

ولم ينتظر الرد .. إذ كانت شهيرة هى هدفه الأصلي ومد يده يشد على
يدها وهو يقاطع الفتاة التى حاولت أن تعرفه بها :
— من لا يعرف شهيرة ..

وملأها الإحساس بالرضا .. وهى تجده يقبل عليها عن عمد .
وكانت بإحساس الأنثى الذكية .. تعرف أساليب الرجال المختلفة فى
الإقبال عليها .. وكانت تستمتع بها .. وتتعامل معها بالقدر اللائق بهم
وتفتح كلا منهم القدر الذى يستحقه من الاهتمام . وأحست بأن صاحبنا
يستحق مزيداً من الاهتمام .. فهو إلى جانب شكله السينمائى الذى يجذب
المراهقات إليه .. يتمتع بالقيمة المعنوية التى يمكن أن تميز الناضجين من
الرجال ممن ليس لهم وسامة شكله وممن يغلب قدرهم الفكرى نقائصهم
الشكلية التى قد تبدو فى جسد أكرش أو رأس أصلع أو غيرهما من
السمات التى لا تشكل عنصر جذب فى نفوس الباحثات عن فارس
الأحلام ..

ولم يطل الحديث بينهما فى أول لقاء .. ولكن كلا منهما كان قد عزم
فى نفس الوقت على ألا يترك الآخر يفلت منه .

وبدأت قصة حب حارة .. لم يحاول أحد منهما أن يخفيها ..
وحسدها الزميلات .. واعتبرنها مخلوقة ذكية .. قادرة .. عرفت

كيف توقع أؤمن ما فى النادى من صيد .
ولاتذكر هى أنها استعملت شيئا من ذكائها .. كل ما فعلته هو أنها
أحبته .
وأحبها هو ..
وكانت أياما وردية .. مشرقة .. لم تحس من قبلها .. أن الحياة يمكن
أن تكون بهذه المتعة ..
كانت قصة حبها .. أجمل من كل ما قرأت من قصص الحب .
وكما كانت دائما تحاول .. بذكائها وقدرتها .. أن تضع نفسها فى
مكان متميز عن كل ما حولها .. وأن تجعل من وضعها الذى تعيشه نموذجا
لما يمكن أن يتطلع إليه الغير .. اندفعت فى حبها لتجعل منه شيئا باهرا
مشرقا ..
عاشت حبها كأجمل ما يعيشه المحبون .
لاتنام إلا على همسة حبه يهتف بها فى التليفون « أنت حبيبتي » .
وترد عليه هامسة : « وأنت حبيبى » .
وتستيقظ على رنين التليفون . وتمسك بالساعة - بعد أن حذرت على
من فى البيت أن يردوا عليه - لتستمع إلى صوته يهتف بها فى حب :
« صباح الخير » .
وقبل أن تفعل أى شئ تغير المياه لورده التى يمنحها إياها كل يوم
لتؤنس ليلها .. وتمس أوراقها بشفتيها .
وخلال اليوم .. وكل منهما منهنك فى مشاغله فى العمل .. كانا
يتبادلان الحديث ولو لبضع كلمات يحدث كل منهما صاحبه عما يفعل ..
ويُنحه خلال كلماته .. همسة شوق ..
وكانا يلتقيان فى كل لحظة فراغ . يحملها بعريته صباحا إلى الكلية
.. ثم يعيدها إلى البيت إذا كان لديه عمل يشغله أو يصحبها إلى النادى إذا
كان خاليا .. وتجلس لترقبه من الشرفة وهو يلعب الاسكواش .. أو تتناول

معه الشاي .. أو تصحبه إلى السينما ..

وتقدم لخطبتها ..

وجرت مناقشة قصيرة بين أفراد العائلة ..

كان هناك بضعة عرسان .. قريب غنى صاحب أطيان وعمارات ..

وأستاذ فى الجامعة .. وأمير عربى .. و ..

وحاول بعض من أفراد العائلة أن يزكى بعض هؤلاء العرسان .

ولكنها لم تترك فرصة لإطالة المناقشة ..

وقالت فى حزم صارم ..

— أنا التى سأزوج .. وقد قررت أن أتزوج مدحت .

وقال الأب منها المناقشة القصيرة :

— انتهينا .. على خيرة الله ..

ولو لم يتم الزواج ..

لو أن هناك عقبات خطيرة .. حالت دونه ..

لأصبحت قصة حبها خالدة .. كقصة جولييت .. أو ليلى ..

ولكن .. للأسف .. لم يكن هناك ما يحول دونه ..

بل إنها لم تتصور قط حينذاك .. أن قصص الحب الخالدة .. استمدت

خلودها .. من عدم إتمامها من أنها مجرد جزء مبتور من قصة الحياة

الطبيعية .. وإنها مرحلة من الحب انتهت بالفشل فبقيت معلقة فى ذهن

التاريخ بصورتها المبتورة ونهايتها الفاشلة .. ولو كتب بها الاستكمال

والنجاح والاستطراد بطريقة طبيعية .. لحدث الزواج .. وكانت النتيجة

الحتمية .. هونفس نتيجة زواجها .

تزوجت شهيرة ..

كان حفل الزواج رائعا .. حققت به كل ما رسمته فى ذهنها لصورة

الزفاف .. هيلتون . والمدعوين الكبار .. من كل نوع .. والفخامة والأبهة

.. والبرفيه .. والموسيقى والرقص .. والثروة الكبيرة .. وأضواء

الكاميرات تبرق خاطفة .. وصورة الزفاف تملأ الصحف ..

وبدأت حياتها الزوجية ..

أسبوع فى مينا هاوس .. كالسياح .. ثم استقرت فى شقتها الجديدة .. شقة نموذجية . وضعت فيها كل قدرتها فى الاقتناء وفى الانتقاء .. واستقبلت الزوار والمهنيين تدور بهم فى أنحاء الشقة .. تتلقى آيات الإعجاب فى اعتزاز وغبطة .

إنها دائما .. فى موضع التمييز .

قصة حبها .. كانت أروع قصص الحب .

وزواجها .. كان نموذجيا ..

وعندما استقرت فى عش الزوجية .. بدأ العش رائعا . وبدأت تركز كل جهدها .. فى العش .. فى البيت الجديد .. الذى أضحت ربه .. فى الأسرة التى نوت أن تقيمها .

ولم يعد يهمها شىء خارج هذا النطاق ..

إنها ستعرف كيف تشيد أسرة نموذجية ..

طالما عابت على زميلاتهن اللاتى تزوجن قبلها واشتكين من أن

أزواجهن يهجرن البيت .. ويلعبون بذيولهم ..

قالت لإحدى صاحباتها التى تشكو من أن زوجها لم يعد يطيق الجلوس

فى البيت :

- أنت مسئولة .

- كيف ؟

- مامن امرأة .. يمل زوجها البيت إلاوهى السبب .

- ماذا تريدن منى أن أفعل .. أنصب له سيركا فى البيت ؟

- بل تهيتين له الجو المريح .

- فعلت والله .. هيات له كل ما يريد .. طبخت على مزاجه ..

- الأكل ليس كل شىء .

- سجلت له أدوار أم كلثوم التى يحبها .
- ربما كان يحب الهدوء . .
- سكت فلم يعجبه .
- لا بد أن هناك خطأ تعجزين عن اكتشافه .
- وردت على صاحبته التى تشكو من أن زوجها لم يعد يحبها كما كان وأنها تشك فى أن له علاقة بأخريات :
- أنت السبب .
- لماذا ؟
- فقدت جاذبيتك .
- لست أظننى تغيرت عما كنت .
- هل تعدين نفسك فى البيت .. كأنك خارجة ؟
- وهل هذا معقول ؟
- ولم لا ؟
- لأن هناك أشياء لا بد أن أعملها فى البيت تشغلنى عن إعداد نفسى .
- إعداد نفسك لزوجك أهم من كل شىء .
- ولكنى أعد أشياء أخرى أهم ..
- مثل ..
- مثل تنظيف البيت .. والعناية بالولد .. وإعداد الطعام .. هذه كلها أشياء حيوية .. لو أهملتها .. طلقنى ..
- وهل إعداد هذه الأشياء يمنعك من إعداد نفسك دائماً لاستقباله ؟
- أمعقول .. أن أنظف البيت وأنا أرتدى ثياب الخروج .. أمعقول أن أغسل ملابس الولد .. والأحمر فى شفتى والعطرى ثيابى .. أمعقول أن أطبخ وشعرى مصفوف ؟
- لم أقل هذا .. ولكنك تستطيعين دائماً أن تكونى على حال مقبول جذاب .. وأن تنهى كل هذا قبل أن يحضر وتستعدى لاستقباله بشكل

جذاب .. وأن تنهى كل هذا قبل أن يحضر وتستعدى لاستقباله بشكل جذاب ..

- كلام نظرى .. تقوله الجالسة على البر .. إن عندى من متاعب البيت .. ما لايترك لى فرصة لأن أنظر لوجهى فى المرأة .
- ومن أجل هذا فقدت جاذبيتك له . واضطررت إلى أن يبحث عنها فى الخارج ..

- سئرى ماذا تفعلين عندما تتزوجين .
- عندما أتزوج سأعرف كيف أشد زوجى إلى البيت ..
- كلام ..
- وسأعرف كيف أبقى جذابة كما كنت قبل الزواج .
- لابد أنك ستعيشين فى فندق .
- بل سأعمل بيتا نموذجيا .
- بغير أولاد ؟
- بل بدستة أولاد .
- ربما .. فأنت قادرة على كل شئ .
- إن تصرف الزوج حيال زوجته .. نابع من أسلوبها فى التعامل معه .. وطريقتها فى الحياة داخل البيت .
ذلك كان إيمانها بنفسها .. وثقتها بقدرتها .. وبهذا الإيمان وتلك الفقة .. أقبلت على عش الزوجية تبنيه وعلى الأسرة الجديدة تقيمها .
فماذا كانت النتيجة ؟؟

٧ - نزيل فى فندق

بدأت شهيرة تشيد أسرتها النموذجية .
 وكانت الخطوة الأولى بالطبع هى الحمل .
 بغير الحمل لا تكون ولادة .. وبغير الولادة .. لا يكون أبناء .. وبغير
 الأبناء لا تكون أسرة .
 بدأ الحمل بالوحم ..
 والوحم .. يصعب قىء ..
 شيء سخيف .. لا يمكن أبدا أن يكون أحد عناصر الجاذبية التى تسعى
 شهيرة للاحتفاظ بها .
 ثم .. شر من هذا .. سحب الرحم . نفور من أشياء زوجها ..
 ولا سيما الصابون الذى يستعمله .. لم تعد تطبق رائحته ..
 ولم يكن الغشيان الذى يلازمها .. يمنحها من الجهد والوقت ..
 ما تستطيع أن تهيئه للاحتفاظ بالزوج .. بل التفكير فيه .
 وسجل الزواج نفسه .. بحكم الوجود الدائم فى بيت الزوجية .. نوعا
 من الارتخاء العاطفى بين الزوجين ..
 ونسيت كل مظاهر الرومانسية التى تزهى أيام الحب .
 بل وباتت فى مظهرها مضحكة .
 الوردة التى كان يمنحها إياها كل يوم لتضعها فى الزهرية وتغير
 مياهها فى الصباح وقسمها بشفتيها فى وله . نسى أمرها .
 لم يعد لديه من الوقت ما يسمح له باللهاث إلى محل زهور ..
 لإحضارها .. ونبتت فى حياتهما احتياجات ألزم وأشد حيوية .. من

الوردة ..

سألته مرة أن يحضر زجاجة ميركوكروم لأنها جرحت .. فنسى .. وطلبتة فى التليفون ليحضر وهو قادم كيلو بسبوسة لأن أباه سيتغذى عندهم وهو يحب البسبوسة .. فلم يتذكرها إلا وهو على باب الشقة .. ودخل بدونها .

وإذا كان قد نسى الميركوكروم .. وأهمل البسبوسة رغم فرط الحاجة إليها .. فهل معقول أن يذكر الوردة ..

ولم يعد لديها من الوقت ولا من اللفتة ما يدفعها إلى الحملقة فى الوردة أو التمسح بها .

لقد حاولت أن ترتب مع حاتوت الزهور أن يحضر لها الزهور مرتين كل أسبوع .. لكى تتم الصورة التى بدأت فى أول الأمر رسمها لعش الزوجية . ولكن مع مرور الوقت ومغالطة البائع فى الحساب .. أنهت عملية الزهور .. واكتفت بالزهور الصناعية البلاستيك تتم بها الديكور ..

ومن غيرشك حاولت شهيرة منذ بدأ الزواج أن تمارس مسئوليتها كزوجة قادرة فاهمة .. قبل أن تبدأ متاعب الحمل .. وقبل أن تفقد الجهد والقدرة على ممارسة الذكوية التى تجرى بها حياتها من أجل التميز والنموذجية .

وأسلوبها فى تنظيم البيت .. وإعداد الطعام كان نموذجيا .. طبقت به ل ماكان لديها من أحلام .

ومع ذلك لم تغلح فى تغيير السلوك الطبيعى لمدحت .. كزوج .. إلا كلا .. ولم تنجح فى أن تجعل منه شيئا آخر غير يقية خلق الله من الأزواج .. الذين يهجون من بيت الزوجية .. بمجرد الاستقرار فيه .. والذين يحسون بالانجذاب لجميع نساء الأرض .. عدا زوجاتهم .

حاولت شهيرة تطبيقا لنظرياتهما أن تغير القاعدة ..

وأن تربط مدحت بالبيت وتشده إليها بجاذبية ما قبل الزواج ..

وبدا مدحت كذلك .. فقد استطاع لفترة ما أن يمارس واجبه كرجل بيت عاقل .. حياته مكرسة للعمل والبيت .. وخروجه مقصور على زيارة الأصدقاء والأقارب ومشاهدة الأفلام بصحبة زوجته .

وبعد شهر أحس بشغل القيد .. ولم تعد شهيرة شيئا يسعى إليه .. بل يهرب منه .. وكثرت المحاضرات .. والندوات .. وبدأ رسم الخطط .. وتدبير الحجج والأعذار للزوغان من البيت .

وبكل ماقلك من ثقة فى نفسها .. وإيمان برابطة الحب الذى شدها بمدحت .. لم يطف ذهنها أن زوجها يمكن أن يكون ككل الأزواج .. قد ضاق بالبيت وتاق إلى الانطلاق .. وأنها يمكن أن تكون كأي زوجة عادية .. شيئا غير مشيرولا جذاب .

.. وحدث الحمل ودخلت في مرحلة الوحم المزعجة .. وكرهت فيها كل شيء .. حتى الحب ..

وانتهت مرحلة المتاعب الأولى .. وخفت أعراض الوحم .. وأخذ بطنها فى البروز .. وبدأ اهتمامها يتركز فى الإعداد للوليد المقبل .. وكسبت نفسها مظهر أمومة مبكرة بإبرتي التريكو بين أصابعها تجرى فى أعقابها شلة الصوف تتحول بين غرزة وأخرى إلى صديرى للوليد .

وأخذت تعد نفسها لدور الأم النموذجية .. وأعرضت عن كل الأشياء التى كانت تستهويها .. وتناست كل التدابير التى كانت تعدها للاحتفاظ بمدحت .. وجذبه إليها .

وأحس مدحت بالقيد قد أرخى .. ولم يعد يحتاج إلى جهد كبير فى الانطلاق وحده ..

كان فيما مضى لا يكاد يرتدى ملابسه بعد الظهر حتى تهتف به :

— إلى أين ؟

— عندى محاضرة .

— وبعد المحاضرة ؟

- عندى اجتماع .
- أى اجتماع ؟
- مع العميد .
- وبعد الاجتماع ؟
ويبحث مدحت فى ذهنه عن عذر آخر يمكنه من قضاء بقية السهرة خارج البيت ولا تتعذر عليه الحجة فيقول ببساطة :
- هناك ندوة للاتحاد الاشتراكي .
- أضرورى من حضورها ؟
- طبعا .
- إذن نذهب بعدها إلى السينما .
- ولكن قد تتأخر الندوة .
- ليس مهما .. يمكن أن نذهب بعد عرض الجريدة .
ويهز مدحت رأسه .. لاداعى للإصرار على أبعد من هذا .. ويكفى الزوجان حتى العاشرة .. ويقول ببساطة :
- إذن أمر عليك بعد الندوة .
- لا .. سأذهب معك لتوصلنى إلى بيت ماما وعندما تنتهى من الكلية مر على لتوصلنى إلى بيت تانت عليه ثم عد إلى بعد أنتهاء الندوة لنذهب إلى السينما .
لماذا تعقدها هكذا .. ألأنها ذكية .. أم مجرد عبط ؟ ..
ويرد عليها :
- خلى تاكسى إلى بيت عمته فى أى وقت .. لأننى لا أعرف متى ينتهى الاجتماع .
- أنا غير مقيدة بموعد . أى وقت تنتهى مر على .
هكذا كانت تجرى الأمور .. قبل الحمل .. أما بعده فهو يرتدى ملابس .. وقبل أن يهم بالخروج توجه إليه سؤالا بسيطا :

— متى ستعود ؟

— الساعة العاشرة .

— أحضر معك فاكهة لأنه لا يوجد عندنا شيء .

زاد الحمل عليها .. وخف الحمل عليه ..

ولم تعد شهيرة .. تجد أن أهم ما في حياتها هو إعداد البيت ليكون

مقرا مريحا لمذحت .. وإعداد نفسها لتكون مخلوقة جذابة له ..

وجدت الحياة معقدة أكثر من هذا .

الصورة المبسطة التي رسمتها أيام الحب الوردية لعلاقة الرجل بالمرأة ..

لم تعد بسيطة كما كانت ..

لم تعد دعامتها الأساسية .. مجرد رجل وسيم .. يقدم وردة ..

ويهمس بكلمات الحب .

فالرجل الوسيم .. لا تعود لوسامته الثقل المرجح بعد الزواج .

والزوج .. وسيما .. أو غير وسيم لا يقدم الورد .. ولا يهمس بكلمات

الحب .

والمرأة بعد أن تصبح زوجة لا تقتصر حاجاتها على مجرد الورد

وهمسات الحب .. بل هي تحتاج إلى النقود التي تدبر بها أمر البيت

والمعاملة الإنسانية التي تشعرها بكرامتها وهزتها .

لقد وجدت شهيرة نفسها تواجه من المتاعب العادية .. ما يشغلها عن

التفكير في تهينة الجو المريح لمذحت .. وإعداد الجاذبية له .

سنية الشغالة تقبل عليها ذات يوم لتقول بهنساطة وهي تمسك بصره

وضعت فيها ملابسها :

— أنا خارجة ياست .

— إلى أين ؟

— مسافرة .

— لماذا ؟

- سأتزوج .
- ولكن ألم تعدى بالبقاء حتى أضع لتساعديني فى الشهور الأولى ؟
- أُمى أرسلت إلى أن العريس مستعجل .
- وأضحى سفر سنبة للزواج مشكلة يمكن أن تشغلها عن أى شىء آخر..
- وحضر مدحت فوجدها متجهمة وظن أن شيئاً بلغها عنه ضايقها فأقبل عليها يسألها فى حذر :
- ماذا بك ؟
- أبدا .
- ولكنى أراك عابسة .
- البنت خرجت .
- لماذا ؟
- ستتزوج .
- نحضرغيرها .
- من أين ؟
- سأوصى أُمى لتحضرلنا غيرها .
- لقد كانت نظيفة وأمينة .. وكنت أعدها لتربية الطفل .
- ياستى .. عندما ينزل يحلها رينا .
- لا بد أن تستعد من الآن .. لا بد من واحدة مضمونة .
- لا تحملى هما ..
- ولكنها لم تستطع إلا أن تحمل الهم .. لأنه نسى كل شىء عن
- الخادمة بعد ذلك .. وكان عليها أن تهيب له الطعام .. وتعد له البيت
- وحدها .. بحملها الذى يثقل كاهلها وينقض ظهرها .
- مشاكل كثيرة .. تبدو تافهة .. ولكنها كانت تثير أعصابها ..
- انسداد البالوعة .. تلف الحنقية .. قطع الكهرباء .. عطل التلفون .. وكان
- أكثرما يثيرها .. أن عليها أن تتحمل عبثها وحدها .

لقد اكتشفت أن مدحت .. لا يعتبر نفسه مسئولاً عن شيء من هذا .
كان يتصرف كأنه نزيل فى فندق .. وأنه يدفع الحساب .. شاملاً
الخدمة .. وأن شخصاً ما - للأسف كانت شهيرة - عليه أن يتحمل كل
مسئولية خدمته ..

واكتشفت أيضاً .. أنه عصبى .. وأن وراء كلماته الرقيقة وهمساته
الذائبة التى اتسم بها أسلوبه خلال قصة الغرام الناجحة التى أفضت إلى
الزواج .. ألفاظ خشنة وصرخات حادة .. عندما يكتشف أن هناك بعض
التقصير فى تأدية خدماته .. أو إطاعة أوامره .

تنطلق صيحة من حنجرتة :

- أين القميص اللبنى ؟

- عندك فى الدرج .

- لا يوجد .

- لابد أنه عند المكوى .

- لقد خلعته منذ أسبوع .

- جانتز .

- جانتز يعنى إيه ؟

- يعنى مكث فى الغسيل ثلاثة أيام . ويقى عند المكوى أربعة .

ويصيح فى غضب :

- إهمال ..

وتعود صيحته إلى الانطلاق :

- زرار القميص مقطوع .

- البس غيره .

- أريد أن ألبسه .

- هاته حتى أخيطه لك .

- ألم أطلب إليك من قبل أن تخطيه ؟

— نسيت .

— وماذا أفعل لك حتى تتذكرى ؟ .. الحياة أصبحت لا تطاق .

وحاولت جهدها أن تتقى غضباته .. القمصان جاهزة .. والأزرار فى محلها .. والطعام الذى يريده دائما مغد .. ومع ذلك لم يكن يخلو الأمر باستمرار .. من أخطاء مفاجئة .. تشير ..
ويذكائها .. عودت نفسها الاحتمال .. فقد كانت تعرف أنه يعود متعبا من العمل .. وأن عليها أن تريحه .. وتحتمله .
ولكنه لم يحاول .. أن يرد إليها المعاملة الطيبة .. ولأن يقوم بجزء من مسئولياته .

كان رجلا مدللا ..

ربما دللوه فى تربيته ..

وربما ملأه إعجاب الفتيات به فى النادى وفى الكلية غرورا فتدلل .
المهم أنه كان يضع نفسه دائما موضع المخدم .. دون أن يرد الخدمة لحادمه .
وكانت هى دائما الحادم .

يعطل التليفون .. وتكتشف أنه لم يدفع الاشتراك .

وتسأله لماذا لم يدفع ؟

— ليس لدى وقت .

— من يدفع إذن ؟

— ادفعيه أنت .

وهكذا وجدت نفسها أن عليها أن تذهب لتدفع اشتراك التليفون ..
وأن تقوم بكل مسئوليات البيت .. حتى تلك التى كانت تعرف منذ صغرها ..
أنها تدخل فى اختصاص الرجل .

ووضعت طفلها الأول .. ولم تكن الولادة سهلة ولكنها كانت — كما قالوا لها — أسرع الآلام زوالا من الذاكرة ..
أضاعت آلامها .. صيحة الوليد وهم يحملونه إليها قائلين لها :

— مبروك .. ولد .
وسألت بصوت ضعيف :
— حقيقى ؟
— والله العظيم .
— أنتم تضحكون على .
— سنريك حتى تصدقى .
وكشفوا عن الصبى فعلت وجهها ابتسامة مشرقة وقالت :
— سأسميه محمودا .
وقال مدحت ضاحكا :
— سميه إن شئت عتريس ..
ولم تكن الشهور التالية .. بالوقت المريح ..
وكان المفروض أن تتحملها فى صبر ..
ولقد تحملتها فعلا .. كأى أم ..
ولكن الشيء الذى حز فى نفسها .. هو ضيق مدحت بها وبالطفل .
لم تحاول بالطبع أن تشركه فى سهرها بالطفل .. وكانت تغلق الحجرة
عليها لكيلا يصل إليه صياحه بالليل . ولكنه لم يكن يخفى تهرمه بالضجيج
.. وإعلانه فى كل وقت أن الحياة لم تعد تطاق وأن الزواج حماقة .. والخلف
غلطة ..
كانت راحته فوق كل شيء ..
ولم تحاول هى أن تضايقه فى خروجه .. ولم تقصر فى خدمته .. ولكنه
لم يكف أبدا عن الشكوى والتبرم .
وساءلت نفسها كثيرا وهى تأوى إلى الفراش منهكة القوى .. ترى هل
أخطأت فى اختيار شريك حياتها ..
ولكنها أحبته ..
ومن كان يمكن أن تحب خيرا منه بشكله وأدبه وتصرفه ورقته . كيف

كان يمكن أن تكتشف أنه إنسان مدلل ..
ولكن حتى لو أنه مجرد إنسان مدلل .. فلن يكون بالنسبة إليها
مشكلة .

فهى قد دلتته .. وهى مستعدة لمداومة تدليله .. وهى مقتنعة تماما بأن
من واجب كل إنسان أن يدل الأقرين إليه . وليس هناك أقرب من الزوج ولا
أولى منه بتدليل الزوجة .

ولكن المشكلة ليست فى أنه إنسان مدلل .. بل فى أنه يريد أن يأخذ
ولا يعطى .. يدل .. ولا يرد التدليل ..

مشكلته الحقيقية فى أنه يعتبر نفسه مخدوما .

وأنه يدفع ثمن خدمته .. نقدا ..

فهو يعطيها مصروف البيت .. ويأخذ بدله .. خدمة .. من كل نوع ..
بما فيها التدليل ..

وهو يطلب منها .. ما لا يحتمه على نفسه .

تنوى أمه زيارتهما .. فيقول لها :

— حضرى أكل .

— عندنا فى الشلاجة فرخة .. واللحمة الباقية من أمس .

— لا ابعتى أشتري حمام .. واعملى سمك مايونيز ..

— ولكنى متعبة .. والخادمة عندها إجازة .. ومحمود يحتاج دائما إلى

أحد يرعاه .

ويصيح غاضبا :

— عندما تأتى على أمى .. تعقدينها .. أتريدنى أن آخذها للغداء فى

الخارج ؟

— أمك ليست غريبة ..

— معنى ذلك .. ألا نطعمها .

— أبدا .. ولكنها تأكل مما نأكل منه .

- لأنك لا تهتمين بها .
وتهز رأسها فى يأس وتقول :
- سأطبخ ماتريد .. لاداعى لكل هذا .
ورغم كل ماتسوقه إليها أمه من كلام مسموم منذ أن تدخل قائلة :
- البيت ماله .. يضرب يقلب !!
ثم ترفع الولد فى يدها قائلة :
- عينى عليك .. مخطوف ودبلان .
وترفض شهيرة الرد عليها حتى تتجنب الخطأ .. ولكنها لاتلبث حتى
تسألها :
- لماذا لا تكلميننى .. مخصمانى ؟
- أبدا يا تانت .. تعبانة ..
- دائما تعبانة ..
وتقصر شهيرة الشر وتذهب إلى المطبخ .. وتعد كل ما طلب مدحت ..
وعند الغداء .. لاتسمع كلمة حمد .
وعندما تحضر أمها للبيت .. لا يستطيع أن يخفى ضيقه . وعندما
تسأله أن يحضر عند عودته دسنة جاتوه من جروبى يقول فى اقتضاب :
- جروبى ليس فى طريقى .
وتكره شهيرة أن تشير خلافا قد يصل إلى مسامع أمها فتقول
ببساطة :
- إذن سأنزل أنا لأشتريه .
وبعد الغداء تسأله وهو يهم بالنزول :
- ألا تنتظر قليلا . حتى توصل ماما ؟ .
وفى ضيق يقول :
- ليس لدى وقت .
- اجلس ولو لحظة .. على الأقل من باب المجاملة ..

- لقد زهقت من المجاملة .
- وتسأله أن يذهب بها ومحمود إلى النادي .. لتجلس به فى فنا ،
الأطفال ولكنه يرد فى عجلة :
- لدى محاضرة .. ولا بد أن أنزل .
- وتطلب تاكسى وتأخذ الطفل بعريته الصغيرة إلى النادي وتجلس بجواره ..
محيطه نفسها بهالة من الأمومة النموذجية ..
- ويدور الحوار بين أعضاء النادي وهم يرون بها من بعيد :
- أليست هذه شهيرة ؟
- أجل .
- لقد تغيرت كثيرا .. يبدو عليها الإهمال والكبر .
- حمل وولادة .. وقرف
- كانت لها شنة ورنه .
- من كان يصدق أنها ستنتوى هذا الانتواء .
- لعلها سعيدة بحياتها .
- لا أظن .
- لماذا ؟
- زوجها مدحت مقطع السمكة وذيلها .
- وحملت شهيرة مرة أخرى .
- هذه المرة .. لم تقصد الحمل ..
- كانت غلطة .. وساورت نفسها الرغبة فى إنزاله ..
- إنها ليست على استعداد لكى تمر بالتجربة مرة أخرى .
- لم تكن تجربة سهلة .
- إنها سعيدة بمن أنجبت .. فالقرد الصغير كما كانت تسميه يملأ حياتها
بهجة .. بابتسامته الحلوة .. وكلماته المضحكة .. وهو يميزها .. ويحبها ..
- ويرفع ذراعيه إليها لتحمله كلما رآها ..

إنها سعيدة به .. ولكنها ليست على استعداد لأن تكرر التجربة ..
إنها سعيدة به لذاته ..

ولكن ليس لأنه جزء من أسرة كانت تخطط لتشييدها .. لأن عماد الأسرة نفسه .. ناشز .. يرفض الانطواء فى هيكلا .

لم يحقق مدحت حلمها . الذى كان تنوq إلى تحقيقه .. كانت تحاول أن تشيد أسرة نموذجية .. وكانت تستعد لأن تقوم فيها بدور الأم النموذجية .. وكانت على استعداد للتضحية بكل شئ من أجل هذه الأسرة .. التى ستضرب بها للعالم مثلا يحتذى به .

ولقد حاولت بكل ما تملك من جهد وقدره ..

كانت تريد أن تتحدى بها الفاشلات من زميلاتها .. اللاتى كن يشكون من هيجان الأزواج .. وفراغة عيونهم .. وكانت تريد أن تثبت كما كانت تقول دائما .. أن خطأ الزوج دائما .. نابع من سوء تصرف الزوجة .. ومن أجل هذا أحسنت التصرف .. واحتملت كل مشقة .. متحدية كل صعب .

ولكن خطتها باءت بالفشل .. ووجدت نفسها .. ككل زوجة تنطوى فى متاعب الحياة الزوجية .. وتفترق فى المرحلة المعقدة .. من مراحل العلاقة بين المرأة والرجل .. التى تلى مرحلة الأمانى والأحلام .. والتى تحتاج لحل عقدها إلى الفهم الذكى المتبادل .. والحمل المشترك الشجاع لمسئولية الحياة .

ومن أجل هذا حاولت أن تنزل حملها الثانى فى بدايته .
ولكن أمها جزمته .. ونهاها أبوها فى حزم قائلا :
— لماذا ؟ ..

— يكفى ما عندنا .

— عندكم واحد ..

— إن تربيتهم متعبة .

.. كأن عندك دسطة .

وكان موقف مدحت حيا ديا .. كأن الأمر لا يعنيه . .. قال لها كما
كان يقول دائما :

.. تصرفى .. افعلى ما يحلو لك .. أنت لست صغيرة .

ولقد ضاقت بقوله حتى لقد خيل إليها أنها لو قالت له إنى أريد أن
أأخذ عشيقا لقال لها :

.. افعلى ما يحلو لك .. أنت لست صغيرة .

ولم تكن فترة الرحم . بنفس المشقة السابقة .

وكانت الولادة أسهل كثيرا .

ووضعت راوية .

هذه المرة لم تكن حريصة على أن تلد ولدا .. ففى المرة الأولى كانت
تخشى من لوم أهل زوجها .. وكانت تحرص على الاستجابة لرغبة مدحت فى
أن تحضر له ولدى عهد .. وكانت هى نفسها تتمنى ولدا .

ولكن هذه المرة .. لم يكن إرضاء أهل زوجها .. بالمسألة التى تحرص
عليها .. ولم يكن مدحت يهمل الأمر فى قليل أو كثير .. أما هى فقد
أنجبت الولد الذى تريده .

وفرحت براوية .. وأحست بالراحة .. لأنها ستكون خاتمة حملها فقد
علمتها التجربة أن اللواتى ينجبن أولادا يواصلن الحمل حتى ينجبن البنت
واللواتى ينجبن البنت يواصلن الحمل حتى يريحهن الله بالولد .

وما دامت قد أنجبت الولد والبنت .. فقد أدت مهمتها .

ولم يكن الفارق بين الاثنين كبيرا .. كان عامين وبضعة شهور ولم تكن
المهمة سهلة .. فقد كان محمود مازال يحتاج إلى رعاية مستمرة وكانت
الشغالات تسبب لها مشكلة كبرى .. واحدة مهملة .. والأخرى سارقة ..
والثالثة تشاغل الباعة والبواب . والرابعة طيبة وبنت حلال .. ولكنها على
وشك الزواج ..

ومدحت .. فى واد آخر..

يطالب بكل حقوقه .. ويتنصل عن كل مسئولياته ..

حتى الطبيب عليها أن تحضره للأولاد إذا مرض أحدهم ..

وزاد غيابه عن البيت بعد أن عين مديرا لأحد المصانع .. ويات عليه

أن يسافر بين آونة وأخرى .

وانهمكت شهيرة فى تربية الولد والبنت .. متحملة كل مايصاحب

تربيتهما من آلام وسعادة .. تخوض التجربة بكل ماملك من جهد .. وأمانة

وإخلاص ..

وإذا كانت قد فشلت فى أن تقيم الأسرة النموذجية .

فهى على الأثل حققت أحد شطريها .. بنفسها .. وبأولادها . وهى

على أية حال لا تستطيع إلا أن تقبل مدحت على علاقته .. ومن من الرجال

بلا علات ؟ .. وهو على أية حال .. خير من غيره .. فهو ليس مقامرا .. وهو

ليس سكيراً .. وهو لم يقصر قط فى التزاماته المادية نحوها . وإذا كان قد

كف عن واجباته الرومانسية ..فهى قد اقتنعت بأن هذه الواجبات سابقة

للزواج .. وليس لها القدرة على اللحاق به والإتيات فى أرضه الصلبة ..

وإذا كان يتسم بالأنانية فالأنانية شيمة الإنسان .. وليس عليها إلا أن

تحتمل حياتها كما هى .. مادام يؤدى واجباته نحوها ومادام مشغولاً بعمله

.. ومادام لا يفعل مايمس كرامتها كزوجة .

ولكن .. حتى هذا الإحساس بالاستكانة .. أخذ يتبدد .. عندما

أحست أن كرامتها بدأت تجرح ..

وبدأ الأمر فى يوم جمعة وهو يرتدى ملابس خفيفة ويهم بالخروج

فتساءلت :

- إلى أين ؟

- عندى شغل .

- يوم الجمعة ؟

- ولم لا .
- أى شغل هذا ؟
- فى المصنع .
- المصنع مغلق .
- عندى عمل لابد أن أؤديه .
- إلى متى ؟
- لأعرف .
- ألن تخرجنا اليوم ؟
- إلى أين ؟
- أى مكان لمجلس فيه مع الأولاد .. ألم يوحشوك ؟
- قلت لك عندى عمل .
- ألاستطيع أن تؤجله ؟
- وهل حبكت الفسحة اليوم ؟
- أنت لاتخلو غيريوم الجمعة .
- سأخرجكم الجمعة القادمة .
- إذا سأذهب بالأولاد إلى ماما ..
- وستغدى هناك .
- وكعادتها أنهت المشادة .
- وبعد أن خرج .. أحضرت تاكسى وذهبت بالأولاد والدادة إلى النادى .
- وجلست مع الأولاد فى الفناء المخصص لهم .. ولكن محمود انطلق
- يعلو إلى الخارج .. ووثبت شهيرة وراء « صائحة خوفا من أن يذهب فى طريق
- العربات .
- وأمسكت به وهو يوشك أن يخطو إلى الطريق . وقبل أن تعود به
- لمحت مدحت يخرج من ملعب الاسكواش ويجواره فتاة شقراء ترتدى
- « شورت » .

ولم تملك أن توقف قلبها من أن يدق بعنف ..
أهذا هو العمل الملح فى المصنع ؟
يرفض الخروج بالأولاد .. لكى يلعب « اسكواش » .
ولو أنه مجرد لعب .. لاحتملت .. فهى غلطة أنانية مما تعودتها منه .
ولكن أن يلعب مع فتاة .. ويخرج وإياها بهذا المنظر فى وسط النادى ..
فهو أمر يتعدى الأنانية .. إلى العدوان وجرح الكرامة .
إنها تقبل أن تنطوى فى البيت لكى تكون أما نموذجية .
ولكن ليس لكى تصبح زوجة مخدوعة .. مهانة أمام كل الناس .
وقبل أن يراها انسحبت بولديها إلى ساحة الأطفال ..
لقد كانت تكره مشاهد الغيرة .
وتكره أكثر أن تقف فيها .. موقف المعتدى عليها ..

٨ - رغبة فى التحدى

عاد مدحت إلى البيت ليلقى أول صدام عنيف بينه وبين شهيرة .
سألته عندما دخل :

- أذهبت إلى المصنع ؟

- أجل .

- فقط ؟

وأدرك مدحت أنها لابد أن تكون قد عرفت شيئا .. ربما من إحدى
صاحباتها اللواتى ينتشرن فى النادي فأردف قائلا ليغضى مرقفه :

- ذهبت بعد ذلك إلى النادي .

- لماذا ؟

- لعبت اسكواش .

- مع من ؟

- مع الممرن .

- فقط ؟

ومرة أخرى أدرك أن هناك وشاية .

- ومع فتاة ألمانية .

وانفجرت شهيرة صارخة فى وجهه :

- إنى أستطيع احتمال كل سيئاتك .. وأنايتك ..

وقاطعها فى حدة :

- أى سيئات ؟

- إنك لا تريد أن تحمل أية مسئولية من مسئوليات البيت .. إنك

تعيش كسيد متفطرس .. مفروض على كل من فى البيت أن يخدموك ..
ويتحملوا متاعبك .

— إنى لا أجد شيئا مريحا فى البيت .

— إنك لانتستقر فى البيت إلا لتأكل وتنام .. وتقل أدبك على من فيه .
ومع ذلك .. احتملتك .. وصدقت أنك تقضى كل وقتك فى العمل وتعود
مرهقا ..

— أليس من حقى أن أذهب إلى النادى لألعب .. هل تستكثرين على
هنيهات أريح فيها ذهنى .. أية حياة هذه ؟ ..
وصرخت فيه مقاطعة :

— كفى كذبا وادعاء .. لاتقلب الآية فتجعلنى مذنبه كعادتك .. إنى لم
أضق أبدا بذهابك للنادى .. ولكن أن تتركنا وحدنا يوم الجمعة وتذهب لتسير
مع فتاة فى النادى أمام الناس .

— إنها ابنة الخبير الألمانى .. وقد طلبت منى أن ألعب معها .. كيف
أرفض ؟ ..

وصمت لحظة ثم عاد يصيح فى غضب :

— هذا أمر غير معقول .. إنى لأقبل الحجر على حريتى ..

— حريتك فى مصاحبة البنات فى النادى .. وأنت زوج وأب .. إنى لم
أكن أصدق ما يقال من شائعات ..

— شائعات !؟

— أجل .. لقد قالوا لى إنهم رأوك بضع مرات مع فتيات فى عربتك .

— وماذا فى ذلك .. ربما كنت أوصل أحدا من أخواتك أو أخواتى .

وأطلقت شهيرة زفرة يأس قائلة :

— لقد قلت لهم هذا . ولكنى الآن أشعرأنى كنت بلهاء .. إن الحياة

لايمكن أن تستمر على هذا المتوال ..

— وماذا تريدین ؟

— لا أريد منك أكثر من أن تقوم بواجباتك كزوج وأب ..

— وما الذى قصرت فيه حيالك أو حيال الأولاد ؟

— إنك لاتستقر فى البيت لحظة .. وقد تمر بضعة أيام .. دون أن يراك أولادك .. تخرج قبل أن يستيقظوا وتعود بعد أن يناموا .. ولقد حملتني مسئولية كل شىء .. إنك لاتكلف نفسك مشقة الانتظار حتى يأتى الطبيب عندما يمرض أحدهما .. إن أحدا لا يشعر أن بالبيت رجلا .. إننى أفعل كل شىء .. لقد أرهاقت .

— هل تريدنى أن أبقى فى البيت لأطبخ وأغسل ؟ ..

— إنك تعرف جيدا ما أريد منك .. فلا تكابر ولا تخادع .. إننى احتملت منك كل هذا الإهمال .. بدعوى أنك مرهق فى العمل .. ولكن .. أن تتركنا لتذهب للعب مع البنات .. فإن هذا أمر لا يحتمل .. إن هذا أمر مهين لكرامة أية زوجة .. وأؤكد لك أنى لا يمكن أن أحتمل هذا ..

— هل تريدنى ألا أذهب إلى النادى ؟

— تذهب عندما تفرغ من واجباتك نحونا .. أو تذهب فى صحبتنا ..

— إذن فأنا لأستطيع أن أذهب إلى النادى وحدى ؟

— أجل ..

— أهذا معقول ؟

— ولم لا .. هل تقبل أنت أن أذهب إلى النادى وأجلس مع رجل آخر ؟

ونظر إليها مدحت نظرة استخفاف وتساءل قائلا :

— وهل تستطيعين ؟

— وماذا يمنعنى ؟

وهز مدحت رأسه وقال محاولا إنهاء المناقشة :

— افعلى ما تشائين .

— تقول هذا لأنك واثق أنى لن أفعله .

— ربما .

.. ولكننى عندما أبأس منك قد أفعله
.. لا أظنك قد بت تصلحين له .
.. أنظن هذا ؟
.. يكفيك البيت والمطبخ والأولاد ..
وأحسنت شهيرة بشعور مذل لكهرياتها .. وساءها أن تنبع ثقة زوجها ..
من يقينه بفقدانها القدرة على الإغراء ..
وانتهت الزوينة بينهما .. وقد رسب هذا الشعور فى أعماقها .. مذلا
.. جارحا ..
انتهى بك الأمرياشهيرة .. إلى أن تصبحى مجرد زوجة وأم .. أو
مديرة بيت .. ومربية أولاد ..
انتهى إحساس الرجل بك .. كأننى ..
ريات مدحت واثقا من عجزك .. عن إيقاظ شكوكه .. أو إثارة
غيرته ..
أحقا أصبحت كذلك ؟
ربما ..
فلقد مضت عليك سنون .. وأنت قابعة . فى قوقعتك المنزلية ..
وعندما تتركين القروقة .. تغادرينها فى موكب .. من الأمومة .. يسبقك
محمود .. يتوائب .. أمامك معلنا عن قدوم الموكب .. وتتبعك حميدة الدادة
.. تحمل راوية .. كحرس المؤخرة .
ولم يساورك قط إحساس بالتواضع ..
على النقيض .. كنت فخورة بنفسك وبموكبك .. بهذا القرد الجميل
يتوائب أمامك .. ملؤه النشاط والصحة .. وتلك البطة الصغيرة .. المتوردة
الرجنتين ..
كنت تشعرين أنك أنجبت أشياء جميلة .. تستحق الفخر .. ولم يكن
يعوزك الإحساس بالثقة ، والشعور بأنك مازلت كما كنت دائما .. مخلوقة

رائعة ..

ولم تتخيلي قط أنك قد فقدت قدرتك كأنتى .. كل ما كان يساورك .. هو أنك لم تعودى فى حاجة إلى ممارستها .. فالإنسان الذى يهلك أن قمارسيها معه .. لم يعد يبدو فى حاجة إليها .. بكل مظهر لك من استغرافه فى عمله .. وانهماكه فى محيط بدا أبعد مايكون عن جو الإغراء .. والأثرثة .. محيط العمل ومشاكله وتطلعاته .. ومنغصاته .

حتى فوجئت مرة واحد .. بأن مدحت . لم يتوقف عن تطلعاته كرجل .. إلا بالنسبة لها .. لأنها ببساطة قد فقدت - فى نظره - قدرتها على أن تكون أنتى ..

ولم تكن تلك هى المرة الوحيدة التى يداخلها هذا الشعور .
لقد استمرت الأحداث تؤكده لها ..

حاولت هى بغير إرادة أن تستعيد لنفسها وجودها الأنثوى .. أبدلت حامل الصدر بآخر مبطن .. بعد أن أحست بانكماش صدرها بمرور السنين وفقد النضارة .. وغيّرت المشد بآخر أقوى .. لتخفى بروز بطنها وزوائد فخذيه .. وبدأت تلاحق مودات الشعروالثياب باهتمام أكثر .

و ذات مرة وهى ترتدى ثيابها استعدادا للذهاب إلى السينما مع مدحت قال يستعجلها فى ضجر :

- ياللا يا شهيرة الفيلم ابتدا .

وردت وهى تحاول أن تشد سوستة المشد :

- دقيقة واحدة ..

واستمرت تحاول جذب السوستة .. ولكنها انفلتت فجأة وفتح المشد ..

وصرخت شهيرة فى يأس :

- غير معقول !!

وأقبل مدحت يتساءل فى ضيق :

- ماهو هذا غير المعقول ؟

— هذه السوست التى نصنعها هنا .. لاتكاد نشدها حتى تنفلت .
وزفر مدحت قائلا :
— وبعدين ؟
— لا بد أن أغير الثوب ..
— لماذا كل هذا .. كأنك ذاهبة إلى عرس !
— إن الثوب الأزرق ..
وقاطعها فى قرف قائلا :
— الأزرق .. الأحمر .. ارتدى أى شىء .. من الذى سينظر إليك ؟
وازدردت شهيرة ريقها وهى تحس أنه قذف بكسوم من المرارة فى
حلقها ..
أحقا .. لم يعد هناك من ينظر إليها ؟
لماذا هو واثق كل هذه الثقة ؟
والفتت إليه متسائلة :
— أحقا لم أعد ألفت النظر ؟
— وهل تريد أن تلتفتى النظر ؟
— ما من امرأة إلا وتحب أن تلتفت النظر .
وقال وهو يغادر الحجرة :
— هذه مسألة قديمة .. فات أوانها ..
أحقا فات أوانك يا شهيرة ؟
مرير .. أليم .. أن يكون الأوان قد فات حقا ..
بل هو أمر غير معقول .. هذه السنوات القلائل .. لا يمكن أن تفقدك
مواهبك الأصيلة فى التميز .
إن وجودك كأم .. لا يمكن أن يلفى وجودك كأنتى .. فأنت أنثى قبل
أن تكونى أما .. ولن يحجب تميزك كأم .. التميز الذى كنت تتمتعين به
دائما كأنتى .

ولم تستطع شهيرة أن تمنع نفسها من بضع محاولات اختبار .. لقدرتها
على الجذب .. فى نطاق معقول .. ومحيط ضيق ..
فى إحدى حفلات الاستقبال التى تعودت أن تعتذر عنها لأنها
مشغولة بالبيت والأولاد .. وتعود مدحت أن يذهب إليها وحده سألت مدحت
وهو يهم بالخروج قبل المساء :

ـ إلى أين ؟

ـ إلى استقبال فى السفارة الفرنسية ..

ـ أهى دعوة مفردة ؟ .

وأخرج مدحت البطاقة من جيبه ثم قال ببساطة :
ـ بل مزدوجة .

ـ إذن لماذا تذهب وحدك ؟ !

ورفع مدحت حاجبيه فى دهشة متسائلا :

ـ ومنذ متى كنت تذهبن إلى حفلات الاستقبال ؟

ـ أيضايقك ذهابى ؟

ـ مطلقا .. ولكنك فقط عودتنى دائما على الرفض معتذرة بالأولاد ..

ـ نصحب الأولاد إلى ماما .. ثم نأخذهم بعد عودتنا
وأجاب مستسلما :

ـ أمرك .. ولكن لاتتأخرى فى اللبس .

ـ ماهو موعد الاستقبال ؟

ـ من الساعة السابعة .. إلى التاسعة .

ـ سأرتدى ملابسى بسرعة .

وكانت فرصة لارتداء ثوبها الجديد .. وكان شعرها مصففا .. وأعدت
زينتها بعناية .. ونظرت إلى نفسها فى رضاء ثم خرجت إليه فى خطى
خفيفة .. ورأس مرفوع .. وملء نفسها إحساس بكبرياء ما قبل الزواج
ونادت الخادمة قائلة :

— أعددت الأولاد يا حميدة ؟

ثم نظرت إلى مدحت قائلة :

— أنا جاهزة ..

ونظر إليها مدحت .. ولم يرتح إلى منظرها .. الجذاب .. ولكن لم يستطع أن يقول شيئا ..

وفى الاستقبال .. ملأها إحساس بأن أوانها لم يفت .. وهى تجد نفسها موضع الإقبال والاهتمام .

أقبل عليها الكثير ممن تعرف ولا تعرف من الصحفيين ورجال السلك الدبلوماسى وأحست بشعور الأنثى .. إن نظرات الرجال تعبر الأكتاف وتصل إلى عينيها .. وردت الإيماءة بالإيماءة والابتسامة بالابتسامة . ولازمها البعض من وقت أن وصلت حتى دخلت .

وكان أكثرهم التقاصا بها .. الأستاذ فتوح صاحب مجلة الزمان . أقبل عليها متهللا يقول فى ترحاب :

— أهلا شهيرة هانم ..

وأطربها أن يعرفها وردت عليه مرحة :

— أهلا وسهلا .

— ما هذا الاختفاء .. غير معقول أن يختفى هذا الرجل الجذاب طوال هذه المدة .. أين تعملين ؟

وأجابت شهيرة مغتبطة :

— فى البيت ..

— تعملين ماذا فى البيت ؟

— زوجة .. وربة أسرة .

— غير معقول .. أنت يغلق عليك جدران بيت .. أيا كان هذا البيت ..

— لماذا ؟

— لأنك موهبة كبيرة .. كنا نتنبأ لك بأشياء مشيرة .. كانت لديك

موهبة الكتابة .. والغناء ، والتمثيل .. ولم يتخيل أحد منا أنك ستنتوين
فى البيت .. ألم يعرض عليك وأنت فى الجامعة أن تكونى بطله أحد
الأفلام ؟

— أجل .. ورفضت .

— معك حق .. لم نتوقع أن تكونى مجرد ممثلة .. ولكننا لم نتوقع
أيضا .. أن تصبحى مجرد ست بيت ا

ونظر إلى عينيها متسائلا :

— ترى هل أنت راضية ؟ .

ولم تملك سوى أن تجيب فى ثقة واعتزاز :

— طبعا راضية .

— خسارة .. كان يمكن أن تكونى شيئا ..

— أتظننى لم أصبح شيئا ؟

وقتم فى لهجة اعتذار :

— لا أقصد .. وإنما قصدت أن تكونى شيئا فى الحياة العامة .. على

أية حال إنى أرجو أن نلتقى ثانية .. إن رقم تليفونى فى الجريدة سهل الحفظ
.. وإنى موجود حتى الحادية عشرة .

واستمر الرجال يحيطون بها .. وأحست هى بأن تجربة استعادة الثقة

قد نجحت .. وخيل إليها أنها لابد ستتلقى لوما من مدحت .. وأنه سيكف
عن اتهامها بأنها لم تعد أنثى وبأن أوانها قد فات .

وعندما عادا إلى البيت .. أدركت من حديثه أنه ينوى الخروج بعد أن

أوصلها هى والأولاد .

وسألته :

— لماذا لاتمكث معنا ؟

— لأن لدى موعدا مع رئيس مجلس الإدارة .

— فى الليل ؟

- ولم لا ؟
- متأكد ؟
- ماذا تقصدين ؟
- أعني أمتأكد أنت أن الموعد مع رئيس مجلس الإدارة ؟
- لاداعي لهذه الأسئلة السخيفة .
- سخيفة لماذا ؟ .
- لأنك تشككين في قولي وتسخرين من موعد عمل .
- ألا يمكن أن يكون موعد تسلية ؟
- وأطلق زفرة ضيق ولم يجب .
- وعادت وهي تقول محاولة أن تعود بالحديث إلى اختبار لتجربة الليلة :
- أنا مثلا .. دعيت إلى موعد الليلة .
- ورد في استخفافا :
- محن ؟
- الأستاذ فتوح !
- فتوح من ؟
- صاحب مجلة الزمان .
- موعد لماذا ؟
- ربما كان موعد عمل .
- عمل مع صاحب مجلة ؟
- ولم لا ؟
- بأية مناسبة ؟
- قال عنى .. إنى موهبة كبيرة ..
- أنت ؟
- أجل ..
- فى أى شىء ؟

- فى الكتابة والتمثيل والغناء .
- وصدقته ؟
- ولماذا لا أصدقته .. لقد أكد لى أنه غير معقول أن تغلق على جدران بيت .. أيا كان هذا البيت .. وسألتى أن أذهب للقائه .
- لماذا ؟
- لم يحدد بالضبط .. ولكنه قد يمنحنى فرصة لإظهار مواهبى .
- وهل تريدان الفرصة ؟
- ولم لا !
- وهل تصدقان أن لديك مواهب .
- ولماذا يكذب الرجل ؟
- لأنه يجاملك .
- إلى حد أن يطلب منى لقاءه ؟
- لا شك أنه كان يغازلك ؟
- قالها مدحت ببساطة أثارت غيظها فتساءلت فى دهشة :
- ألا يضايقتك هذا ؟
- لا يضايقنى مجرد كلمات عابرة .. تقال من باب المجاملة .
- ودعوتى للقائه ؟
- مجرد كلام .
- وإذا ذهبت ؟
- الظاهر أنك جنت .
- لماذا ؟
- هل تريدان حقا أن تظهرى ماتخيلينه بك من مواهب خفية ؟
- أليس هذا من حقى ؟
- أتريدان أن تمثلى ؟
- لقد سنحت لى الفرصة وأنا طالبة فى الجامعة ورفضتها .

- وتريدين أن تعوضيهما الآن ؟ ..
- لا أظن .. ولكننى قد أكتب إذا أتيت لى الفرصة .
- ماذا تكتبين ؟
- كنت أكتب الشعر والقصة وأنا طالبة فى الجامعة .
- وضحك مدحت فى سخرية قائلا :
- وستواصلين الآن إنتاجك الخطير ؟ .
- سأحاول .. هل لديك مانع ؟
- مطلقا .
- وسأذهب للقاء الأستاذ فترح .
- أفعلى ما يحلو لك .
- وصمتت برهة ثم تساءلت :
- ألن يضايقك هذا ؟
- ولماذا أتضايق ؟
- أعنى ألن تغار على
- ويدا كان هذا هو السؤال الذى أرادت أن تسمع إجابته عليه من كل حديثها . ونظر إليها متسائلا :
- أغار عليك ؟ . ممن ؟
- كنت فيما مضى تغار على
- ربما !
- والآن ؟
- ورفع كتفيه فى ملل قائلا :
- يعنى !!
- واندفع إلى الخارج قائلا وهو يغادر الغرفة :
- ربما أتأخر ..
- ولم ترد عليه .

مرة أخرى أحست بكبريائها تدمى .
وتملكتها رغبة جارفة فى التحدى .. وأحست أن قيمتها كأنتى قد
هانت ..

وعزت عليها نفسها .. وهى تجد أنها لم تعد تستحق حتى مجرد
الغيرة .

جرت على نفسك يا حمقاء .. جرفك تيار الأمومة فلم يبق منك سوى
مجرد شغالة .. وسخرمنك مدحت عندما عرف قول الرجل عنك أنك موهبة
كبيرة .. ونسى كل ما كان يقوله هو نفسه عنك أيام الحب .. من أنك رائعة
فى كل شىء ..

ذهبت عنك الروعة .. وخبا الضياء المشرق الذى كان يحيط بك ..
من أجل الأسرة التى شيدتها .. ومن أجل الطفلين الجميلين .
ولكن ألا يستحقان منك التضحية ؟
- تضحية بنفسك .. بقيمتك الذاتية ..

بحقك كامرأة .

بأن تصبحى مجرد قطعة فى البيت .. كأملك وخالتك .. وبقية النساء
اللاتى تحولن إلى مجرد تابعات ..

وبدأ صراع شهيرة مع واقعها .. صراعها كى تستعيد ذاتها المتميزة ..
وبدأ الصدام بينها وبين مدحت ..
لم تعد تسلم له بالتأخير والغياب .. ولإعادته تستسلم لأساليب
الخداع التى كان يمارسها معها ..
وأخذت تفحص ثيابه وتعد نقوده .. وتطارده بالتليفونات فى كل
مكان ..

وفى نفس الوقت بدأت تخلص من قيود الأسر الذى فرضته على
نفسها فى بيتها ومع أولادها
لم تقصد العبث وإنما قصدت أن تستعيد شخصيتها المستقلة التى

تعودت أن تكونها دائما.. وأن تخلص من تبعية الأسرة التى ألزمت نفسها بها .. وأن تعود المخلوقة المتميزة التى يعجب بها الناس .
ولم يكن الأمر هينا .. فقد كان عليها أن تحطم قيدها دون أن تعرض نفسها للشائعات .. والأقاويل . وكان عليها أن تعاود الخوض فى غمار المجتمع .. مع تجنب كل المزالق والمضايقات .
والتحقت بالجامعة الأمريكية .. والتحقّت بمعهد الرسم .. واندفعت فى عملية دراسات تحاول بها أن تستعيد شخصيتها الأولى لفتاة جامعية متميزة .

ولم تجد ما كانت تشوهم .. من مجد ..

انتهت دراساتها .. بلاشئ .

وحاولت أن تجد عملا يلائم طموحها .. فلم تجد سوى التدريس ووظائف الحكومة التى تزج بها فى قطيع من الموظفين والموظفات ليس بينهم أى مجال للطموح أو احتمال للتميز .

وزاد التوتر بينها وبين مدحت .. واشتد الخلاف .

لم يعد أحد منهما يغفر للآخر زلة .. أو يحتمل منه خطأ .. لقد بدأت تواجه أنانيته بأنانية مماثلة .. وإهماله بإهمال أشد ولم تعد تحس بأن هناك شيئا يمكن من أجله أن تغفر له أو تحتمله .

وتحول الخلاف إلى مشادات ..

وتحولت المشادات إلى تراشق بالشتائم .

وانتهت إحدى المعارك بأن تركت له البيت وأخذت الأولاد وذهبت إلى بيت أبيها .

وحاول الأب مرة بعد مرة أن يصلح ما بينهما .. حتى أصابه اليأس فقال لها :

— إذا لم تحتلمى العيش معه .. فاتركيه .. لست أول زوجة تطلق .

ولم تفزعها فكرة الطلاق .

وبدأت تطالب به .
واستقرت أخيرا بالأولاد فى بيت أبيها .. وهى مصممة أن تكون
الفرقة نهائية .
واستمرت تحاول أن تجد طريقها .. إلى التميز مرة أخرى ..
حتى التقت بالأستاذ عبد اللطيف .. المخلوق الذى طالما بهرها
بكتابات..
فأحست أن الطريق قد فتح أمامها على مصراعيه .
لقد أحبها الرجل ..
واستقرت منه فى موضع المهمة التى طالما شغت من كتاباته ..
ولم تدع الفرصة تفلت منها .
بل أطبقت عليها بكل ماتملك من قدرة .. وذكاء ، وحذق .

٩ - نحو الأضواء

توالى لقاء شهيرة بعبد اللطيف عقب أول تعارف فى سهرة العشاء بعد
أن وجد كل منهما فى الآخر بغيته المنشودة
وجد عبد اللطيف فى شهيرة .. ملهمة من نوع جديد .. أو مفجرا قويا
فعالا لطاقت حبه بكل ماتحوى من أحاسيس وانفعالات .
كانت شهيرة بالنسبة له .. تركيبة ممتازة من شتى الجاذبيات المضمونة
الأثر فى نفسه .

جاذبية الشكل العام . التى لاتعرف بالتحديد موضع الجمال فيها ..
ولكنها - على بعضها - بنظرة عينيه .. وبسمة شفتيه .. وإيماء رأسها ..
ولفتة وجهها .. وحركة جسدها .. تشكل شيئا جذابا .. يشد الأبصار ..
وجاذبية الذكاء .. الذى يعرف كيف يستغل مالمديه من قدرات .. دون
أن يفرضه على الغير .. أو ينفره منه .
وجاذبية الحديث .. بقدر من النفاق معقول .. وبقدرة على الإنصات
عندما يكون الإنصات ألزم من الحديث . وعندما يتمتع الغير أن تنصت له ..
أكثرما تتحدث إليه .

وتعاون ذكاؤها .. مع لهفته المفرطة عليها .. على إخفاء مايمكن أن
يوضع من صفاتها فى كفة العيوب .. عندما توزن بالنظرة المجردة .
أصبح إحساسها بالتميز الذى يمكن أن يوصف بالغرور أو التعالى ..
يعتبر فى نظره ثقة فى النفس .. خلوا من مركبات النقص .

أصبح طموحها الشخصى .. الذى أيقظه فى نفسها إصرارها على
التحدى .. وعلى أن تكون هى نفسها شيئا هاما .. يعتبر فى نظره أصالة

فى الشخصية .. واستقلالاً للذات .
وهكذا شكلت شهيرة لعبد اللطيف .. ملهمة جديدة .. سرايا براقا
يعود وراءه .. لاهثا .. بكل ما يطلق من أشعار .. وينثف من آهات ..
ويؤدى من خدمات ..
وتلقته شهيرة .. فى لهفة .. بأشعاره .. وآهاته .. وخدماته . لقد
وجدت فيه هى الأخرى بغيتها المنشودة .
اليد القادرة التى تذلل لها العقبات .. وتيسر لها المصاعب .. وتدفع
بها إلى الأضواء ..
وأقبلت عليه فى مكتبه بالمجلة بعد حديث تليفونى قصير أكد لها
لهفته على الاطلاع على بعض ما كتبت .
ودخل عليه عبد الراضى ينبئه فى تشاقل وملل :
— واحدة تقول إن اسمها شهيرة .. هل أخبرها أنك مشغول ؟ ووثب
عبد اللطيف من مكانه صائحا .
— مشغول ياغبى .. أدخلها بسرعة .
— ألم تقل لى ألا أدخل عليك أحدا .. عندما تكون منهمكا فى
الكتابة .
وضحك عبد اللطيف قائلا :
— إلا هذه .. أدخلها بسرعة .. وعندما تأتى بعد ذلك .. افتح لها
الأبواب .. وأدخلها بلا استئذان ..
— وأفرش لها الرمل .. وأعلق الأعلام ..
وضحك عبد الراضى ضحكة العارف الفاهم وأردف قائلا :
— من عيني يا أستاذ .
ثم اتجه إلى شهيرة يدعوها .
— أهلا وسهلا .. أهلا وسهلا .. اتفضلى يا ست .. الأستاذ منتظر .
وسار وراءها وهو يقول مرحبا :

- المجلة نورت .

والتفتت إليه شهيرة باسمه وهى تتسائل :

- أنت عبد الراضى ؟ ..

وسر عبد الراضى أن يكون مشهورا إلى هذا الحد .. واندفع فى ترحيبه

متهللا :

- محسوبك . وخدامك .. داحنا زارنا النبى .

ودخلت شهيرة المكتب .. فى زفة عبد الراضى .. خفيفة الخطى ..

رشيقة القوام .. أنيقة المظهر .. وسرت معها .. إلى جانب تهاليل عبد

الراضى نسمة عطرة .. تعمدت أن تكون دائما .. مقدمتها لدى عبد

اللطيف .

ونهر عبد اللطيف عبد الراضى لهذه الضجة التى ساق بها شهيرة

وطلب منه - بعد أن رحب بها وسألها عما تشرب - أن يحضر قهوة مضبوط .

واستقرت شهيرة على أحد المقاعد المريحة فى الغرفة ورفع عبد

اللطيف سماعة التليفون مناديا تهاى عامل التليفون :

- اسمع ياتهاى .. أنا مشغول .. لأريد أن تقلقنى كل دقيقة

بالمكالمات الهايفة .. مفهوم ؟ .

ووضع السماعة ثم أقبل على شهيرة يعاود الترحيب :

- أهلا .. أهلا ..

ثم تساءل السؤال التقليدى :

- كيف الحال ؟

- الحمد لله .

- أرجو أن تكون الأزمة قد انتهت .

- فى طريقها إلى الانتهاء .

- هذه أنباء طيبة .. فالفرقة ليست سهلة .. ولاسيما مع وجود

الأولاد .

ورفعت شهيرة حاجبيها بشيء من الدهشة .

ثم قالت مؤكدة :

— إنها فى طريقها إلى الانتهاء .. بالفرقة .

وتساءل عبد اللطيف فى أسف :

— ألا فائدة من التفاهم ؟

— لقد تفاهمنا على الطلاق .

— شيء مؤسف .

— إذا كان هو الشيء الوحيد الذى أمكن التفاهم عليه .. فلا بد من

الإقدام عليه .

وأحسن عبد اللطيف أنه قد ساق اللقاء إلى جو عكر .. وحاول أن

يخلص منه فقال متمتما :

— كل شيء نصيب .. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .. عوضك

الله خيرا .. وهباً لك السعادة دائما ..

وقبل أن يسمع ردها أردف بسرعة :

— المهم الآن .. هو أن نسمع شيئا من إنتاجك .. قلت لى إن لديك بضع

تقص وقصائد .

— ليس بالمعنى المفهوم .. إنها مجرد خواطر .. لأعرف حتى إذا كانت

شعرا أم نثرا .. لقد كنت أكتب فى مجلة الكلية .. ولكنى لم أحاول النشر

منذ أن تركت الجامعة .. شغلنى البيت والأولاد .. وإن كنت فى كثير من

الأحيان أحس أنى أريد أن أقول شيئا .. وأجلس لأخرج أفكارى ومشاعرى

على الورق . ولكنى أطويها .. دون أن أحاول مجرد عرضها على الغير ..

ذات مرة .. قرأت لمذحت بعضها فقال لى ببساطة « لقد كبرت على هذا

العيب » . ورد عبد اللطيف فى حماس :

— كل ماكتبناه كان عبثا فى أول الأمر ..

ثم مد يده قائلا :

- أرينى ما كتبت .

وأخرجت شهيرة كراسة من حقيبتها وناولتها إليه قائلة :

- أريد رأيك بصراحة .

وتناول الكراسة ثم قلب أوراقها بسرعة .. فوجد ما بها من نوع الشعر المنثور .. كلمتين فى سطر . ثم كلمة .. ونقط .. وثلاث كلمات ثم سطر خال .. وعلامة تعجب .. ثم علامة استفهام .

كلام تسهل قراءته ..

وبدأ القراءة من الصفحة الأولى :

دقات الساعة تتوالى فى رتابة

وقطرات من صنبور تالف

تطرق الأرض ..

قطرة .. قطرة

فى إلحاح .. وعناد

وقطة .. قموء .. وكلب يعوى

والريح تصفق ضلفة النافذة

وتسحبها !!

ثم تصفقا ثانية بعنف أشد

كأنها تلطم وجه مخلوق بغیض ..

وباب مفتوح يهتز .. ويتأرجح

ومن مفاصله .. ينبعث أنين

والليل جاثم لا يتحرك ..

يبتلع دقات الساعة ..

ودموع الصنبور التالف ..

واللظمة على الصدغ .. والأنين .. والعيول ..

لا يتململ .. ولا يعبأ ..

وهى تنتظر ..
لا تعرف ماذا .. ولا متى ..
لا شيء يوحى بأن هناك شيئاً ..
لا شيء قبله .. ولا شيء بعده ..
كل شيء جمد فى حركته .
حركة الشلل .. واليأس .. والملل ..
دقات الساعة .. وطرقات الصنبور ..
مواء القطّة ..
وعواء الكلاب .. وصراخ النافذة .. وأنين الباب ..
والليل أسود .. جاثم .. يثقل الأنفاس ..
وهى تنتظر ..
لا تعرف ماذا .. ولا من .. ولا متى ..
النافذة مفتوحة تقرعها الريح ..
والباب يترنح .. وصرير مفصلاته .. أنين .
ولا أحد يدخل ..
فتنتظر أويته ..
ولا أحد يخرج لتتوقع رحيله ..
ومع ذلك ..
ترهف السمع ..
هذه أصوات أقدام .. تطرق أرض الطريق ..
تقترب .. تقترب أكثر ..
ولكنها لا تلبث أن تتباعد .. وتخفت ..
ويبتلعها الليل .. ويطويها الملل الرتيب ..
دقات الساعة ودموع الصنبور التالف ..
ولكنها تنتظر .. لا تعرف ماذا .. ولا من ولا متى ..

الباب مفتوح ..
فلماذا لا تخرج هي .. تهرب .
تنطلق !!
إلى أين ؟
وهي لا تعرف سوى هذه الجدران ..
وهذه الأرض .. والسقف والنجوم المرتجفة من وراء .. إلى أين ؟
إلى أين .. فى هذه الظلمة المطبقة ؟ ..
والليل جاثم ..
إن عليها أن تبقى وتنتظر ..
ترهف السمع ..
لصوت جديد ..
لقادم .. أو راحل ..
ترقب الظلمة والليل والبأس والملل الرتيب ..
وتنتظر ..
ماذا ؟!!
لعله ضوء الفجر .
يطوى كل هذا .. ويجرفه ..
ويقبل ..
بعصفور .. يغنى ..
ويقطرة ندى ..
تنلأ .
على وردة .. تتشاب .. وتفتح ..
وأشياء جميلة .. كثيرة ..
بيضاء .. مشرقة .. واضحة .. لطيفة عذبة .. تشيع الأمان ..
والسلام .. والجمال .. ليس فيها قبح الليل .. وسواده .. وقويهه ..

وخداعه .. وإيواؤه للضعيفة .. والشر .. والحقد .. والظلم .. والعدوان ..
 أشياء كثيرة .. جميلة ..
 طواها الليل الجاثم ..
 الأسود الخائئ ..
 وأبعدها اليأس .. والرتابة .. والملل .. دقائق الساعة الرتيبة ..
 ولطومات الريح ..
 تجذب النافذة .. وتصفعها على الوجه ..
 تجذبها وتصفعها .. فى عنف .. وحقد ..
 بلا شعور .. ولا رحمة .. ولاتدم ..
 فإذا لم يطلع الفجر ..
 إذا ظل بعيدا كالسراب .. وهما كاللحم ..
 ماذا يجدى الانتظار ؟
 إذا كانت دقائق الساعة .. إيذانا بالعدم ..
 وهبات الريح .. نواحا ..
 والانتظار .. احتضارا .. والاستسلام .. فناء ..
 ستندفع .. ومرارة اليأس فى فمها ..
 لتواجه الريح ..
 تخلع النافذة .. وتقلع الباب ..
 وتقتل الليل قبل أن يقتلها ..
 وتنتزع الفجر من جوف الأفق ..
 بكفها تطلق النهار ..
 وبراحتها تفتح الأزهار ..
 وتحقق انتصار الإنسان على البغضاء والحقد ..
 وتعيد إلى الحياة .. الحب والجمال .. والسلام ..

وانتهى عبد اللطيف من القراءة ..
وضع الكراسة على المكتب .. ونظر إليها فى شىء من الدهشة
وتساءل :

- أنت كتبت هذا ؟
- ألا يعجبك ؟
- بالطبع يعجبنى .
- ماذا تعتبره .. أهو شعر ؟
- فيه شاعرية .. وإن لم يتخذ سمات الشعر .
- لماذا ؟

وضحك عبد اللطيف قائلا ببساطة :
- لأنه ليس شعرا .. أعنى ليس موزونا ولا مقفى ..
- إنه شعر حديث .

- الشعر الحديث قد لا تكون القافية .. ضرورة فيه ... ولكن لابد أن
يتوافر فيه نوع من الوزن يمنحه موسيقية الشعر .. وإلا أضحي مجرد نثر ..
ولما كان هناك ضرورة لإدخاله فى إطار الشعر .

وتناول عبد اللطيف الكراسة وأجرى بصره بين السطور ثم تمتم قائلا :
- على أية حال هى خير فى نظرى من كثير من القصائد التقليدية أو
العمودية التى هى مجرد رص كلمات .. والتى أسميها .. هذيانا موزونا
مقفى .. وهى خير أيضا من كثير من قصائد الشعر الحديث التى لا معنى
لها .. ولا وزن ولا قافية .

- أتقول هذا مجاملة ؟
- بل أعنيه .. فهى على الأقل .. صورة متكاملة .. تعبر عن شعور
.. وتحمل معنى .. وتبدو لى أنك يمكن أن تكونى قصاصة جيدة .
وهزت شهيرة رأسها قائلة :
- لا أظن ..

.. لماذا ؟

.. لقد حاولت كتابة القصة فلم أفلح .

وأطلقت ضحكة قصيرة وأردفت قائلة :

.. إن هذا هو أفضل ما استطعت أن أتوصل إليه .. ولا أظننى أستطيع

أن أكتب شيئا أكثر من هذا .

وهز عبد اللطيف رأسه مؤكدا :

.. ولكن هذا جيد ..

.. هل يمكن نشره ؟

.. ولم لا ؟

.. مجاملة .

وضحك عبد اللطيف قائلا :

.. النشر ليس مشكلة .. إن نصف ما ينشر .. إن لم يكن ثلاثة أرباعه

ليس له قيمة حقيقية .. ولا أظن الناس يمكن أن تفقد شيئا إذا لم ينشر .

.. ولماذا إذن ينشر ؟

.. جزء منه لأن أصحابه .. محترفون للكتابة .. ولا بد أن يواصلوا

الكتابة حتى يعيشوا .

وقاطعته شهيرة وهى تتسال ضاحكة :

.. وهل تفعل أنت هذا ؟

.. أحيانا ..

.. لا أظن .. لأننى أحس دائما أنك تكتب من قلبك .

.. وهل تعرفين ما بقلبي ؟

.. يخيل لى .

.. إذن على أن أبذل مجهودا .. لكى أستره .

.. ولماذا ؟ .. إن ما به دائما .. مشرق نظيف ..

.. هذا خيرا ما يمكن أن أمدح به ..

- إني أقرر حقيقة .

- يسعدنى أن يكون هذا فهمك لى ..

وساد فترة صمت مقلقة سرعان ما قطعها قائلا :

- ماذا كنا نقول .. إن جزءا مما ليس له قيمة مما ينشر .. هو مجرد أداء

واجب .. والجزء الآخر .. أصحابه .. يعتقدون .. أنهم يقولون شيئا ..

ولأظن أحدا فهم أى شىء .. ما يحاولون أن يقولوا .. وما يملأون به أعمدة

الصحف .. هذا بالإضافة إلى ما ينشر من باب المجاملات .

وضحكت شهيرة قائلة :

- والذى سأنصوى أنا تحته .

وقهقهة عبد اللطيف قائلا :

- لا .. لا .. لم أقصد هذا ..

وعاد يمسك الكراسة وهو يردف :

- إنى واثق أن بك شيئا .. من هذا الكلام الذى تكتبينه يمكن أن

تخرج أشياء لها قيمة .. إذا ما صيغت فى شكل فنى متقن .

- وكيف ؟

- أعنى أن تصاغ هذه المعانى فى قصيدة .. أو توضح فى قالب

قصصى .

- ولكننى لا أعرف .

- أنا أستطيع أن أعاونك .

وهكذا بدأ عبد اللطيف أول مساعداته لشهيرة .

صاغ لها خواطرها فى قصائد ..

ونشرت فى المجلة باسمها .

وأثارت القصائد .. شيئا من الاهتمام .. ولاسيما بعد أن نشرت

صورة لشهيرة ..

اهتم القراء .. والنقاد والكتاب بها ..

هاجمها البعض .. ومدحها البعض ..

ولكن الكل اجمعوا على أن عبد اللطيف هو الذى يكتب لها قصائدها .. واشتهرت .. كملهمة شاعر .. أكثر منها شاعرة .. ودخلت شهيرة فى دوامة الشهرة .. واستمراتها .. وأصبح اهتمامها بالصحافة مركزا فى البحث .. عن صورتها بين الصفحات أو اسمها بين السطور ..

واستطاع عبد اللطيف .. أن يرضى عندها . ما كان يسميه « متعة الاسم المطبوع » بخبر هنا .. وحديث هناك .. وكان يعد لها كل ما ينشر باسمها .. أو ينشر عنها .. حتى استطاع أن يفرضا كإنسانة شهيرة .. وأن يضعها فى نطاق من يروى عنهم .. فى صفحات الأخبار .. ويؤخذ رأيهم .. فى الأحاديث والريبورتاجات .

وأحست شهيرة .. أن الهالة التى أحاطها بها عبد اللطيف والنابعة من مشاعره الخاصة .. أكبر منها .. وأنها لا تستند إلى قدرتها الحقيقية وأنها يجب أن تعمل عملا ما .. يمكن أن تستغل فيه مواهبها .. وتنتفع بأجره .. فى المعاونة على مواجهة أعباء الحياة .. بعد أن انفصلت عن زوجها واستقرت فى بيت أبيها .

وبدا لها أن أفضل عمل يمكن أن يحقق لها مطالبها .. هو مذبةة تليفزيون .. إنها تستطيع أن تكون فيه مخلوقة متميزة .. بشكلها .. وجاذبيتها وذكاؤها .. وقدرتها على الحديث ..

وهو يحقق لها .. بلا جدال مزيدا من الشهرة . وفاتحت عبد اللطيف فى الموضوع .

كانت قد دعتة لتناول الشاى فى بيت أبيها الذى انتقلت إليه بعد انفصالها عن زوجها .

وكان البيت فى إحدى العمارات المطلة على النيل فى الزمالك فى منطقة السفارات ..

وكانت شهيرة قد استقرت بأولادها فى شقة أمها مكان إحدى أخواتها التى تزوجت ..

وكان أبوها يشغل الشقة المقابلة فى حياة شبه مستقلة .
 والتقى عبد اللطيف بأبيها لأول مرة فى ذلك المساء .. وأحس وهو يحادثه .. أن الرجل قد أورث ابنته الكثير من شخصيته وذكائه .
 وانطلق الدكتور عبد الحبير يتحدث عن الفضاء وتجارب الفضاء ..
 حديث العالم الحبير .. وقارن بين التجارب التى أجريت حتى الآن لغزو الفضاء بواسطة أمريكا والسوفييت .
 وتحدث عن محاولة دولية مشتركة توشك أن تتم بالتعاون بين الدولتين الكبيرتين ..

واستوعب عبد اللطيف ما أمكن أن يستوعبه للنشر مما قاله عبد الحبير ثم سأل :
 - لماذا لا تنشر فى مجلتنا شيئا من هذه المعلومات ؟
 - لا أظن مكانها يمكن أن يكون مجلة خفيفة .
 - إننا ننشر بعض الآراء والبحوث العلمية .
 - أليست ثقيلة على القارىء ؟
 - إننا ننشرها بشكل مبسط .
 - أخشى أن تفقد قيمتها وتصبح نوعا من التهريج الدعائى .
 - على أية حال إذا سمحت لى .. سأكتب أنا ما استطعت أن أفهمه منك .. هل تأذن لى ؟
 - طبعاً ..
 - وسأعرضه عليك قبل نشره .
 وأقبلت شهيرة تجر منضدة الشاي وهى تتسأل :
 - ما هذا الذى ستعرضه عليه قبل نشره ؟
 - حديث عن غزو الفضاء .

وتوقفت شهيرة وقالت وهى تصب الشاى فى أحد الفناجين :
- ياسلام .. لو أتيح لى أن أصعد إلى الفضاء ..
وتساءل أبوها ضاحكا :
- هل ضاقت بك الأرض ؟
- لقد قرأت ماكتب رواد الفضاء عما رأوه .. إنه شىء جميل حقا ..
أن ينطلق الإنسان حرا .. طليقا فى هذا الفضاء الفسيح الرائع ..
- من يدري ربما تسنح لك الفرصة ..
وقال عبد اللطيف باسما :
- لقد قال الدكتور إن هناك اتجاهًا لعمل مشترك بين علماء الفضاء توحد
فيه الجهود .. وسيقيمون القاعدة فى مكان محايد .. من يدري .. ربما تكون
هنا .. وربما تسنح لك الفرصة ..
- حلم ..
- ربما تحقق ..
- دعونا نتحدث عن الأحلام القابلة للتحقيق .
- مثل ماذا ؟
- مثل البحث عن عمل التحقق به .
- هذا حلم .. ليس أسهل من تحقيقه .
- إننى أريد أن أعمل فى التلفزيون .
والتفتت إلى أبيها متسائلة :
- ألدريك مانع ؟
- أبدا .
وقال عبد اللطيف :
- هذه مسألة سهلة .. اعتبرى حلمك قد تحقق ..
وتساءلت شهيرة فى دهشة :
- أتكلم جادا ؟

- طبعا .. إن مدير التلفزيون صديقى .. ولا أظنه يمكن أن يجد خيرا منك .. شكلا.. وموضوعا ..
- إنك تحسن الظن بى .
- إنى واثق أنى أقدم للتلفزيون .. هدية أستحق أن أشكر عليها .
- ومتى تحدثه ؟
- الآن .. أين التلفزيون ؟
وفى اليوم التالى كانت شهيرة تتجه إلى هذا المبنى الشاهق على النيل ..

ولم يبد أن هناك مشكلة .. بل بدا الأمر سهلا ميسورا .
كان التلفزيون يطلب مذيعات ..
وطلب المدير من عبد اللطيف .. أن يرسلها لتأدية الاختبار .
وقال عبد الطيف مؤكدا فى ثقة :
- إنى واثق أنها ستنجح .. إنها مخلوقة ممتازة .. شكلا وذكاء وثقافة ..

وأقبلت شهيرة على المسئولين عن الاختبار وأحست أنهم يتناولونها ..
كأنها خصم يشكل عدوانا عليهم وسألته إحدى الرئيسات :
- أتريدى أن تعملى مذيعة ؟
- أجل ..
- ولماذا ؟

ولم تعرف شهيرة كيف تجيب .. ولم تظن أن السؤال جزء من الاختبار وردت ببساطة :

- لأنى أرغب أن أعمل مذيعة .. وأعتقد أنى أصلىح .
- لماذا تعتقدين ؟
- هذا اعتقادى .. وأنا حرة فيما أعتقد .
- ألأنك جميلة ؟ . إن الجمال ليس كل شىء .. ثم إنك قد لا تكونين

- وجها صالحا للكاميرا ..
- ولم تعرف شهيرة بماذا تجيب .. وأحست بالدم يتصاعد إلى وجهها ..
- ولكنها حاولت أن تتمالك ..
- وأقبلت أخرى تسأله في شيء من السخرية :
- لقد أوصى بك المدير ..
- ربما ! ..
- هل تعرفينه ؟
- لا ..
- إذن لم أوصى ؟
- لا أعلم .
- على أية حال المهم هو الاختبار .
- وسقطت شهيرة في الاختبار ..
- ربما لأنها لم تكن صالحة .. وربما لأن المدير أوصى عليها .. وذهبت إلى
- عبد اللطيف وأنبأته بما حدث ..
- وهز رأسه ببساطة وقال ساخرا :
- يبدو أني قد أخطأت التوصية ؟
- كيف ؟ ..
- كان على أن أنجبه مباشرة إلى الذين أسقطوك في الامتحان ..
- إذ يبدو أنهم أصحاب السيطرة الحقيقية .
- ماذا تقصد ؟
- في بعض الجهات يجب أن يكون لدى المرء .. الحس لأن يعرف من ..
- يفعل هذا . فبعض الناس تراه قادرين على كل شيء .. يبرزون من يشامون
- ويخفزون من يشامون .. يفرضون ما يريدون ويرفضون ما لا يريدون .. إن
- شاعرا مجهولا يلقي قصائده يوميا في الإذاعة .. والشعراء الحقيقيون
- محجوبون .. لأن القيم تحددها الأمزجة الشخصية ومصالح الشلل وأحيانا

تشكل الرئاسات الصغرى .. دولة .. داخل دولة .. لقد أشاعوا أن أحد المؤلفين سئل أن يوافق على مد حلقات إحدى مسلسلاته حتى يزداد أجرها بشرط ألا يقبض إلا نصف الزيادة فقط .

— وماذا فعل ؟

— فضل أن يترك المسلسلة كما هي وأبدى استعداداه الكامل للتنازل عن أجرها .. ومن الفكاهات التي يطلقونها أن أحدهم طلب من إحدى الممثلات عمولة عن عملها .. فلم تدفع .. فلم يكن منه إلا أن أرسلها في المسلسلة .. للحج .. وظلت حتى النهاية محرومة من التمثيل ومن الأجر .. لوجودها في الحج .. حتى استنجدت بالمستولين لإعادتها من بيت الله إلى الأستوديو!

وضحكت شهيرة .. قائلة :

— الحمد لله أنى سقطت في الاختبار ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا في ثقة :

— ستنجحين .. وتعينين في التلفزيون .

ثم رفع السماعرة وطلب رقما في التلفزيون وبعد بضعة شهور .. أعادت شهيرة الاختبار .. ونجحت .. وأصبحت مذيعة في التلفزيون . وفرضت الشاشة وجهها .. وابتسامتها .. في كل بيت .. وأصبح اسمها على كل لسان ..

١٠ - ثلاثة أرناب

بدأت نبوءة عبد الحبير تتحقق .. وشيدت القاعدة العالمية الكبرى لأعمال الفضاء المشتركة .. وشارك في العمل فيها هو وغيره من العلماء والمهندسين وملاحى الفضاء من كل أنحاء لعالم واستمرت البحوث وتعددت التجارب .. وانطلقت السفينة وراء السفينة تجوب الفضاء فى عمليات الاستكشاف ومحاولات الهبوط .

وكانت شهيرة قد استقرت فى عملها فى التليفزيون .. تخوض معركة الشهرة بكل ماتملك من مواهب شكلية وذهنية . واستطاعت أن تفرض شخصيتها فيما تقدمه من برامج وأن تثير اهتمام الناس بها بالسخط أو بالرضا .. وواصل عبد اللطيف دفعها بإحساس المسئول عنها كجزء من كيانه .. لاتكاد تخلو صحيفة من خبر عنها أو حديث لها وكان هو نفسه صانع الخبر .. وكاتب الحديث .. فجعلها تتحدث عن الاشتراكية والحياة الإيجابية والفن الهادف .. بأشياء لم يخطر ببالها قط أن تتطرق بها .. وبين آونة وأخرى .. يحول بعض شعرها المنثور إلى قصائد .. لتوالى تأكيد شخصيتها كشاعرة خلاقة .

وألفت هى ارتباطها به .. والتصاقه بها .. ويات حبه لها جزءا من حياتها .. وإذا كانت لم تستطع أن تمنحه الحب بفهمه المصطلح عليه .. والذى يمنحها هو نفسه إياه .. فقد منحه اعترافا بوجوده .. وأنست إلى هذا الوجود واطمأنت إليه .. وامتدت جذوره فى حياتها الطبيعية .. بحكم حاجتها إليه .. فى قضاء الاحتياجات اليومية الدائمة .. والتى لم يحاول

زوجها يوما أن يساعدها فى قضائها.. والتى تبدو تافهة .. إذا أخذت كل على حدة .. إلا أنها تشكل عبئا ثقيلا فى مجموعها .. تسديد رخصة التلفزيون .. دفع فاتورة التلفون .. تصليح العربة .. إحضار طبيب بسرعة لأن أحد الأولاد حرارته ٣٩ .. إصلاح الثلاجة .. إرسال أكلية كباب من الدهان (لأن الطباخ فى إجازة) .. الذهاب إلى قسم الشرطة لأن هناك طلبا لا يدرى أحد سببه .. إحضار عامل لإصلاح كالون الدولاب لأن المفتاح كسر داخله .. إرسال بعض الملابس للتنظيف . التوصية على سمن هولندى لأنه غير متوافر فى الجمعيات الاستهلاكية .. وطلبات كهذه أخرى .. متعددة .. ومتجددة .. ولا تنتهى .

وكان عبد الراضى عنصرا حيريا فى المساعدة على قضاء تلك الاحتياجات .. بل .. لقد كان هونفسه فى بعض الأحيان .. العنصر الرئيسى .. عندما يدق التلفون فى مكتب عبد اللطيف .. وتقول له شهيرة باختصار: - ابعث لى عبد الراضى .

ويذهب عبد الراضى .. ويقضى اليوم .. بعد توصيل الأولاد إلى المدرسة .. وشراء اللحمه وإحضار النجار ومراقبته وهو يعلق أحد الرفوف فى الحائط .

وطبعى أن يصبح عبد اللطيف وتابعه .. جزءا من الأسرة الكبيرة .. أسرة الدكتور عبد الحبيب .. الأب فى شقته .. تخدمه الدادة العجوز زبيدة .. وأولاده بما فيهم شهيرة وأولادها فى الشقة المقابلة ..

ولم تعد الخدمات التى يؤديها عبد اللطيف مقصورة على شهيرة وحدها .. بل أضحت من حق أمها أن تطلبه فى التلفون ببساطة وتسأله أن يرسل لها .. حبهان أو فلفل .. لأنه غير موجود فى السوق .. وبات من حق أبيها أن يسأله أن يحضر له زجاجة فيتين .. لأن ماله قد نفذ .. وأن يمر عليه لأن لديه موضوعا مهما يريد أن يحدثه فيه ..

وأصبح عبد اللطيف .. هو المرجع الذى يرجع إليه فى أمر شهيرة ..

تشكوها إليه أمها وهي تسأله أن يحضر إليها فورا .. وتلقاه في لهجة
ثائرة :

- شهيرة أصبحت لا تحتمل .

- خير ؟

- لم تعد تطيق كلمة من أحد ..

ويحاول عبد اللطيف أن يطيب خاطرها قائلا :

- لماذا .. ماذا فعلت ؟

- بالأمس أتت قبل الغداء .. وقالت إنها فى عجلة لأن لديها تسجيلا ..
.. ولم يكن الطعام قد أعد فثارت .. وقالت إن البيت مهمل .. وغضبت لأن
ملابس الأولاد لم تحضر من عند المكوجى .. ماذنبى أنا فى كل هذا .. لقد
كبرت ولم تعد فى عافية .. وإذا كان لا تعجبها الخدمة فى البيت .. فعليها
أن تستقر فيه لترعى أموره بنفسها .. إنها لا تكاد تستقر فيه لحظة واحدة
.. حل تصدق أنها لم تعد مساء أمس إلا والساعة تدق الثانية عشرة .

ورغم أن عبد اللطيف كان يحضر فى ذهته دفاعا عن شهيرة ..
ومحاولة لتهدئة أمها .. إلا أن ذهنه اتجه فجأة .. اتجاها مخالفا .. فقد
لسعته مسة شك عندما .. أنهت شكواها .. بأن شهيرة قد حضرت أمس فى
منتصف الليل .

كان عبد اللطيف يغار على شهيرة ..

وكانت شهيرة تعرف هذا .. ولم تكن تكثرث لغيرته .. لأنها لم تكن
تفعل فى الواقع مايمكن أن يسبب هذه الغيرة .

ولكنها كانت تكره أن يبالغ فى الغيرة أمام الناس حتى لا يضعها فى
موضع الحرج .. لقد استطاعت بذكاؤها وقدرتها أن تطويه بكل مالمديه من
مشاعر وانفعالات فى إطار عائلى .. بحيث لم يعد ازدياد الصلة بينهما
يعنى إلامزيذا من الارتباط العائلى .. ويات كل ما تفرضه الصلة من حقوق
وواجبات .. يبدو أمرا طبيعيا .. بحكم ارتباطه الواضح بالأسرة كلها .

وكان هو سعيدا بهذا الوضع المتميز .. الذى يجعله أقرب إليها من أى مخلوق آخر ..

كان سعيدا بوضعه .. على كل ما فيه من عائلية .. وعلى بعده من كل ما يهفو إليه محب ولهان .

كان سعيدا .. حتى يقع ما يشيرشكوكه . وما دفعه إلى التوهم بأن إنسانا ما .. يمكن .. أن يدخل الميدان فيزاحمه .. أو ليحتل مركزا أفضل .. ويتمتع بمالم يستطيع هو أن يصل إليه .

وسأل الأم فى شىء من الحدة :

- هل أتت أمس فى منتصف الليل ؟

- أجل ..

- ولماذا ؟

- قالت إنها انتظرت حتى تختتم البرنامج .

- أهى قالت هذا ؟!

- أجل ..

- ولكنها كانت تعمل أول أمس .

- ألما لأدري شيئا عن مواعيدها .

وغلبت الوسوس تفكيره .. ولم يجد فى نفسه القدرة على أن يهدىء

الأم .. ويسايسها .. فقد كان هو نفسه فى حاجة إلى التهدئة والمسايسة .

والتقى بشهيرة .. وحاول جهده ألا يلقى إليها بشكوكه .. فقد كان

يعرف أنها تكره مظاهر الغيرة .. وجعل الحديث يدور ببساطة حول مافعلته

بالأمس .. فأكدت له ببساطة أنها اضطرت إلى البقاء حتى تختتم الإرسال

لأن زميلتها التى كان عليها الدور فى العمل كان مريضة .

وببساطة زالت شكوكه .. واندفع يسر لها ما قالتها أمها .. ويحاول

إصلاح الأمور بينهما .

وهكذا سارت الحياة بشهيرة .. مشدودة .. إلى عبد اللطيف .. حتى

فوجئت ذات يوم بأبيها يناديهما قائلاً :

- اسمعى يا شهيرة .. حلم من أحلامك يوشك أن يتحقق .

وقالت له فى غير اكتراث :

- وما هو ؟

- هل تحبين الصعود إلى الفضاء ؟

- أنا ؟ ..

- أجل ..

- غير معقول .

- لم يعد هناك شيء غير معقول فى هذه الأيام .. إن التجارب تتوالى

.. وعمليات الانطلاق فى الفضاء تتتابع يوماً بعد يوم .. بعد أن نجحت

عمليات الهبوط إلى القمر والزهرة .. وبعد أن بدأت المحاولات للهبوط على

المريخ .. والأقمار المحيطة به .

- أعلم أن غزو الفضاء قد اتسع نطاقه .. وتعددت عملياته .. ولكن

كيف أستطيع أنا أن أذهب فى إحدى هذه الرحلات ؟ .

- كما سأذهب أنا .

وهتفت شهيرة صائحة :

- أتتكلم جادا ؟ .

- بالطبع .. لقد كنا نعد لإحدى الرحلات طول الشهور الماضية ..

لتجربة الهبوط على سطح أحد الأقمار المحيطة بالمريخ .. إن البحوث قد دلت

على إمكان الهبوط المباشر على سطحه كما دلت على وجود كميات من

الأكسجين بكميات تكفى لتنفسنا .. والطقس على سطحه محتمل وهناك

ماء فى بعض مناطقه .. إذ أمكن رصد الثلوج كما أمكن التأكد من وجود

بعض النباتات .. ويشك فى أن توجد بعض مظاهر أخرى للحياة .

- ألم يهبط أحد هناك من قبل ؟

- مطلقاً .. إنها أول رحلة إلى هذا القمر .

- وهل أستطيع حقا أن أرافقكم ؟
- اعتقد هذا .. إن طاقم السفينة يتكون حتى الآن من قائد السفينة والمهندس وأنا..
- وهل لى مكان معكم ؟
- هناك مكان لثلاثة ..
- أيتحتم أن يكونوا .. فنيين ؟
- مطلقا .. إن الرحلة .. رحلة استكشاف واختبار .
- استكشاف ماذا واختبار لماذا ؟
- استكشاف لمظاهر الحياة التى يعتقد بوجودها .. واختيار لقدرة البشر على الوجود فيها .. والمطلوب .. غير الثلاثة اللازمين لقيادة السفينة .. أناس عاديون .. تختبر قدرتهم على العيش على سطح القمر .. وإلى أى مدى يمكنهم الحياة فيه .. وما هو انعكاس تجربة البقاء على سطحه لفترة ما .. على تركيبهم الجسدى .. والذهنى والنفسى .
- إذن أستطيع أنا أن أكون أحد هؤلاء الثلاثة .
- إذا كنت تريد .
- بالطبع أريد .. إنها فرصة العمر .
- وشردت شهيرة برهة .. تتخيل وقع صعودها إلى الفضاء على من حولها .. فى التليفزيون .. ستجن رئيسة القسم الذى تعمل به .. وستحاول أن تؤكد لأهل الكواكب كما أكدت لأهل الأرض أن شهيرة مغرورة وتافهة ولا تصلح لشيء .. وتحذروهم من أن صدرها عيرة .. وأن شعرها باروكة . ويصبح على شهيرة أن تشد شعرها لسكان الكواكب لتؤكد لهم أن ما فى رأسها هو شعرها هى .. وليس شعر إنسان آخر .
- وسيناديها مدير الأخبار .. ويحذرها من أن تتعامل مع أية صحيفة لأن المفروض أنها مرسلة مندوبة للتليفزيون .. وأنها ستأخذ بدل سفرها من التليفزيون .

وسيوخشاها بعضهم .. ليقينه أنها لابد أن تكون متصلة بجهات عليا .. وإذا
لما اختاروها دون غيرها للسفر إلى الفضاء .
وستنشر الصحف أخبارها ..

وفى الصفحة الأولى .. ماتشيت .. ومعه صورة .
يجب أن تسرع باختيار الصورة وإرسالها إلى عبد اللطيف حتى
لا ينشروا لها هذه الصورة السخيفة التى تبدو فيها كالبهائم .
أية صورة تختار ؟

الصورة التى تبتمس فيها ؟ .. أم الصورة التى تبدو فيها وهى جالسة
على المكتب .

لا هذه .. ولا تلك .. ستختار الصورة التى تلوح فيها بيدها فهى
تبدو طبيعية .. وكأنها تودع أهل الأرض .

أجل .. لابد أن تسرع بها إلى عبد اللطيف .. لكى يطبع منها ويرسل
إلى بقية الصحف .

ولكن ماذا سيقول عبد اللطيف .

سبصدم ولا شك .. فهو لا يطيق مجرد سفرها إلى الإسكندرية .. ويظل
يلاحقها .. طوال الصيف بين القاهرة والإسكندرية .

وهى تسعد بملاحقته .. لأنها لم تعد تستغنى عنه .. هو الذى يحجز
المقاعد فى القطار .. وهو الذى يعد التذاكر .. وهو الذى يأخذها إلى المحطة
.. وهو الذى يحضر احتياجات الأولاد .. واحتياجات أمها وأبيها ..
وهو الذى يشتري سبت المانجو .. وأقراص العنب .. والبطيخ .. والفراخ .
وفوق هذا .. يشكل أكبر حافز لكل ما يملؤها من أحاسيس التميز ..
والكبرياء والغرور .

وإذا كانت كارثة له أن يعيش بدونها .

إنها كارثة أكبر أن تتحرك بغيره .. وبغير معاونته الدائمة .

ولكن .. ماذا يمكن أن يفعل لها .. فى الفضاء .. أى خدمات يمكن

أن تحتاج إليه فيها .

إنه سيكون أقل منها حيلة .. وأشد عجزا .. لن يكون هناك فواتير نور ولا اشتراك تليفون .. ولا رخصة تليفزيون .. ولا أطباء للأولاد .. لن يكون هناك ثلاجات تتعطل .. وأحنفيات تتلف .. ولن يكون هناك أزمات تمرين تحتاج فيها إلى خدماته ..

ولكنها سترسل أنباء .. وستكتب موضوعات .. وهى فى حاجة إليه لكى يصوغها لها .. إن ما يمكن أن تكتبه لن يكون له أثر غير جاذبية تعبيره .. ولكن هل يمكن أن تصحبه معها ؟ .

ألم يقل أبوها إن هناك ثلاثة أمكنة .. لبشر تجرى عليهم تجربة الوجود فى الكوكب .. وتختبر قدرتهم على العيش فيه ؟
لماذا لا يكون أحدهم ؟

ونظرت إلى أبيها وتساءلت فجأة وهى تستعيد ذهنها الشارد :
- أقلت لى إن هناك ثلاثة أماكن .. لأناس عاديين .. تجرى عليهم تجربة الوجود فى الكوكب ؟

- أجل .

- وأنا سأكون أحدهم .

- إذا شئت .

- وهل يمكن أن يكون الأستاذ عبد اللطيف بينهم ؟

وتساءل الأب فى دهشة :

- الأستاذ عبد اللطيف ؟

- أجل .

- ولكن هل يريد ؟

وتساءلت شهيرة فى دهشة :

- ومن الذى يرفض فرصة كهذه ؟

- لا أظن كل إنسان .. يمكن أن يرضى بمغامرة الانطلاق إلى الفضاء .

- أظنها لم تعد الآن مغامرة .. بعدما تعددت عمليات الصعود .. حتى أضحت كأنها مجرد رحلة طائرة .

- حتى الطائرة .. ما زال البعض يعتبر ركوبها مغامرة .. كما كان البعض يعتبر ركوب البحر مغامرة .. ويقول « أنل قدمي ظهرا الأرض » .

- لا أظن الأستاذ عبد اللطيف يرفض فرصة كهذه .

- ولكنني أعرف أنه لا يحب ركوب الطائرة .

- ربما .. ولكن الصاروخ شيء آخر .

- أيركب الصاروخ .. ويخشى الطائرة ؟

- اعتقد أن ركوب الصاروخ .. كعمليات البنج .. يغمض الإنسان عينيه .. ويفتحهما .. فيجد أن كل شيء قد انتهى .

- إنك شديدة التفاؤل .. فهل تظنينه كذلك ؟

- أعتقد أنه إذا كانت هناك فرصة لسفره .. فسأعرف كيف أقنعه باغتنامها .

وفكر الدكتور عبد الحبيب برهة ثم أجاب :

- إنني واثق أنهم سيرحبون بسفره إذا كان هو يريد ذلك .

- وأنا واثقة أنه يريد .

- أسأليه أولا .

واتجهت شهيرة إلى التليفون فسألها الأب :

- ماذا ستفعلين ؟

- سأسأله .

- ستسألينه في التليفون .

- ولم لا ؟

- سيقول عنك مجنونة .. أو يظنك تمزحين .

- إذن سأسأله أن يحضر .

- هذا أفضل .. حتى نشرح الأمر له في هدوء .

وطلبت شهيرة الرقم الخصوصى فى المجلة . وأجابها صوت عبد الراضى
متسائلا :

- ألو .

- عبد الراضى ؟

- من ؟

- أنا شهيرة يا عبد الراضى .

- أهلا وسهلا .. ست شهيرة .

- أين الأستاذ ؟

- موجود فى اجتماع .

- أى اجتماع ؟

- اجتماع اللجنة القيادية .. واللجنة الـ ...

وقاطعته فى دهشة :

- وماله وبها ؟

- حدثت معركة بين اللجنة القيادية .. واللجنة النقابية .. ولجنة
الشباب ومجلس الإدارة ومجلس التحرير وعمال المطبعة .. وذهب هو
لقضها ..

- اذهب وناده سريعا .

- وكيف أحصل عليه فى هذه الهيصه؟

- قلت لك اذهب وناده بسرعة .. لأننى أريده حالا .

- ياساتر .. ألاستطيع أنا أن أفعل شيئا .. إذا كان هناك أى طلب
أقضيه؟.

- ليس هنا طلب .. إننى أريده هو .

- حاضر .. رينا يوفق .

ومضت فترة بدأت شهيرة تحس بالقلق .. وأخيرا سمعت صوت عبد
اللطيف يتسائل فى جزع :

- شهيرة . ماذا حدث ؟
- هل تستطيع أن تأتي الآن ؟
- خير .. أحدث شيء ؟ ..
- أبدا .. أريدك أن تأتي .
- هل تعاركت مع ماما ؟
- لا .
- هل أحد من الأولاد مريض ؟
- لا .. لا ..
- إذن لماذا هذه العجلة ؟
- أريدك في أمرهام .. تعال وكفى تساؤلا .
- وفى دقائق كان التاكسى ينطلق به فى الطريق إلى بيت شهيرة .
- ووقف يدق جرس الباب فى قلق ..
- وفتحت شهيرة فسألها لاهثا :
- ماذا حدث ؟
- ادخل .
- قولى لى أولا .. طمأنينى ..
- أطمئنك على ماذا ؟
- لماذا طلبتنى بهذه العجلة ؟
- لأستشيرك فى أمرهام .
- بخصوص مدحت ؟
- مدحت ؟! لقد انتهيت تماما من مدحت .. هناك شيء أهم .
- وخشى عبد اللطيف أن يكون هناك إنسان فى الأفق .. وانتابه القلق
- وعاد يتسائل فى جزع :
- ماهو هذا الشيء الهام ؟
- اسمع .. هل تريد أن تنطلق فى القضاء ؟

ونظر إليها فى ذهول .. وخيل إليه أنه لم يسمع ما قالت .
فتساءل ببساطة :

— نعم ؟

— أقول لك .. هل تريد أن تنطلق إلى الفضاء ؟

— فضاء ؟

— أجل .

— أنا ؟

— أجل .. أنت .

— أطلبتنى بهذه الطريقة المفزعة .. لتسألينى إذا كنت أريد أن أنطلق
إلى الفضاء ؟ ..

— أجل .. أليس هذا أمرا هاما؟

— أمر هام .. أن أنطلق أنا إلى الفضاء ؟

— طبعا

— كيف أنطلق .. أرأف .. كالحمامة .. بجسمى هذا .

وضحكت شهيرة .. قائلة :

— أقترح ؟

— أنا الذى أترح ..

— طبعا .. إنى أسألك إذا كنت تريد أن تنطلق إلى الفضاء .. فتقول

لى .. إنك ترفرف كالحمامة .

— إذن كيف تريدتنى أن أنطلق ؟

— فى صاروخ .

— أنا ؟

— أجل .

— أنا أنطلق فى صاروخ .. وطلبتنى لكى تقولى لى هذا ؟

— اسمع يا عبد اللطيف .. أنا لا أترح .. تعال لأبى حتى يشرح لك .

- يشرح لى ماذا ؟
- إن هناك ثلاثة محلات .
- وحجزت لى واحدا .. فى عربة التكييف .
ونظرت إليه وقالت ناهرة :
- عبد اللطيف .. كفى سخرية .. إنى أتكلم جادة .. إن أبى سيذهب
فى رحلة إلى أحد أقمار المريخ .. وهناك ثلاثة أمكنة .. لبشر عاديين ..
تجربى عليهم تجربة الوجود هناك .
- ومادخلى أنا فى هذا ؟
- هل تريد أن تكون أحدهم ؟
- أحد الذين تجربى عليهم تجربة الوجود .. فى المريخ ..
- أجل .
- كأى أرنب .. أو فأر .. أو ضفدعة .
- يعنى لا تريد ؟
- طبعا .
- شىء مؤسف .. لقد ظننتك ستصعد معى .
- معك .. ومالك أنت ؟
- إنى صاعدة .
- صاعدة إلى أين ؟ إلى المريخ ؟ ..
- ليس بالضبط .. سنصعد إلى أحد أقمار المريخ .
- يعنى .. فى الضواحي .. يعنى غزية النخل مثلا أو شبرا الخيمة .
- أجل ..
- ومتى قررت هذا ؟ ..
- الآن .
- الآن .. الآن .. ولماذا هذه العجلة ؟
- قال لى أبى إنه سيصعد مع طاقم السفينة .. المكون منه ومن القائد

والمهندس . وأن هناك ثلاثة محلات .. لأى أناس يختارون لمصاحبة طاقم السفينة . وسألتني إذا كنت أريد أن أذهب فى الرحلة .. فقلت له أجل .
.. هكذا ببساطة ؟ ..

.. طالما تمنييت أن أنطلق إلى الفضاء . ولقد سحنت الفرصة لى .. فلم أتردد فى انتهازها .. وفكرت فيك .. وسألت أبى إذا كان يمكن أن نحجز لك أحد المكاتبين الباقيين ..

.. ووافق أبوك .. كأنها رحلة .. إلى الفيوم .
.. لم يقبل الموافقة قبل أن أسألك .. وكنت أظنك .. ستوافق فوراً ..
.. وماذا دفعك إلى هذا الظن ؟
.. لأنى .. لأنى .. ظننت أنك تريد الانطلاق إلى الفضاء ..
.. أقلت لك هذا ؟

.. قلت لك إنى ظننت .. مجرد ظن .
ونظر إليها عبد اللطيف .. نظرة حاول أن يخفى ما بها من وله ثم
تمتم قائلاً :

.. وأنا لا أستطيع أن أكذب لك ظناً .
.. إذن ستأتى .
.. أجل .

.. ولماذا إذن رفضت فى أول الأمر ؟
.. كانت مفاجأة .. لم يخطر ببالى أن الأمر يمكن أن يكون جاداً .. وحتى الآن لا أستطيع تصوره .. ولكن مجرد ذهابك إلى أى مكان .. يجعلنى بلا تردد أتبعك إليه ..

.. لقد كنت واثقة أنك سترحب بالذهاب .. مؤمنة أنها ستكون رحلة رائعة .. ولقد قال لى أبى إنهم سيرحبون بك أيما ترحيب .
.. هيا بنا إليه إنه ينتظرنا فى حجرة مكتبه .

وسار عبد اللطيف يتبع شهيرة إلى مكتب أبيها .. وقبل أن ينهض

الرجل للقائه .. هتفت شهيرة :

— لقد رحب الأستاذ عبد اللطيف بالذهاب معنا .

وتساءل الأب فى شىء من الدهشة :

— هكلدا بسهولة ؟

وأجاب عبد اللطيف :

— إنها رحلة مثيرة .. ولكنها بالنسبة لكاتب يمكن أن تكون تجربة رائعة

تفتح له آفاقا جديدة .. وأى فنان أصيل لا يمكن أن يتركها تسنح دون أن يقتنصها ..

وتساءلت شهيرة :

— هل حدد موعد للرحلة ؟

— ليس قبل بضعة أشهر .. فإن الركاب الجدد فى حاجة إلى تدريبات

مخصصة .. إن الإنطلاق فى الصاروخ .. أضحى الآن أسهل كثيرا .. ولم يعد يحتاج المسافر فيه إلى التدريبات الشاقة التى كان يحتاج إليها الرواد الأوائل .. ولكنه مع لك يحتاج إلى نوع من المرن .. والتدريب ..

وتساءل عبد اللطيف :

— ولكن أنحتمل نحن هذا المرن ؟

— سيجرى كشف طبى أولا .. تختبرفيه قدرة المسافر على الانطلاق ..

ولن يكون التدريب أبدا فوق طاقتك .

وتساءل عبد اللطيف فى شىء من الرهبة :

— ومتى نبدأ كل ذلك ؟

— بمجرد أن نستقر على الشخص الثالث .. تبدأ الإجراءات .. ولعلها

لا تتأخر بعد هذا الأسبوع .

— وهل اختيار الشخص الثالث ؟

— يمكن أن يكون أحد العمال .. بعد الحصول على إقرار منه بقبول

الانطلاق .

- وفكر عبد اللطيف برهة ثم سأل فجأة :
- أبصلح أى فراش عادى ؟
- أجل مادام .. يقبل السفر.
- ولماذا لاتأخذ عبد الراضى ؟
- وهتفت شهيرة :
- أجل .. فكرة مدهشة .
- وتساءل الأب :
- هل تظنونه يصلح ؟
- وأجاب عبد اللطيف متسائلا :
- هل تريدون به مزايا معينة؟
- أبدا .. مخلوق عادى .
- إنه نموذج لجميع البشر ..
- وتساءلت شهيرة :
- أترأه سيقبل السفر ؟
- دعى هذا الأمر لى .
- وزوجاته الأربع ؟
- سيكون الخلاص منهن .. أول دافع له إلى السفر .
- وسألت شهيرة أباهما فجأة كأنما تذكرت أمرا :
- هل قلت لماذا ؟
- ليس بعد .
- متى تخبرها ؟
- بعد أن ننطلق .
- لماذا ؟
- لتتجنب المناقشة ..
- ولكن أنا .. لابد أن أعد كل شىء للأولاد قبل السفر ..

— وماذا يمنعك ؟
— لا بد أن أخبرها عن سفرى فماذا أقول ؟
— قولى إنك مسافرة إلى بيروت .
— ولكنها ستقرأ الصحف .
— لا تدخل الصحف إلى البيت .
— هل يمكن هذا ؟
— افعل ما يحلو لك .. ولكن لا تدعيها .. تكلمنى .
رنهض الأب من مقعده وهيردق قائلا :
— عندنا اجتماع الآن .. وأرجو أن ننهى فيه بعض أمور مازالت
معلقة ..
وخرجت شهيرة .. وعبد اللطيف .. وعند الباب وقف يودعها .. وقد
بدا شارد الذهن وهمس قائلا :
— أهذا معقول ؟
— أنادم أنت على قرارك ؟
— مطلقا .. ليس المهم .. أين أكون .. ولكن المهم .. أن أكون معك .
وضغطت على كفه هامسة :
— شكرا .. دائما أجذك .. حيث أظن .. وحيث أرجو .. وحيث أريد .
وعاد عبد اللطيف إلى المجلة ، وقال لعبد الراضى .. ووافق عبد
الراضى على قوله .. موافقته على نوع من الهذيان .
ولكن الأيام مرت .. وبدأ الكشف والتدريب .. وأصبح الهذيان حقيقة
.. والحلم .. واقعا . وانطلقت السفينة بطاقمها .. القائد والمهندس والعالم
.. ومعهم الثلاثة .. ثلاثة أرانب (كما قال عبد اللطيف « تجرى عليهم
تجربة الوجود فى الكواكب يحلقون فى الفضاء .. فى الحقل الأزرق .. تبرز
فيه النجوم .

١١ - أسياذ الأرض الجديدة

استردت شهيرة نظرتها الشاردة فى الفضاء الأزرق الفسيح تبرق فيه
فتات النجوم المبعثرة فى أرجائه .. ومطت فطفا جسدها متأرجحا فى خفة ..
وأخذت تتلوى فى فراغ القمرة وهى تشعر بمتعة من قدرتها على أن تفعل أى
حركة فى أى اتجاه .. وكأنها لاعبة أكروبات تقوم بحركاتها بغير جهد
ولامشقة . وهذأت أخيرا على حافة الفراش محاولة جهدها أن تستقر فى
وضع الجلوس المعتاد .. وهى تجذب الفراش إليها حتى يلامس مقعدها
سطحه .

ومدت يدها تضغط على الكراسى الطافية على المنضدة محاولة
تشبيتها فى مكانها . وباليد قلمها المعلق فى الهواء .. وأفلتت الفراش فعاد
جسدها يصفو من جديد .

وأخيرا ثبتت نفسها فى وضع الكتابة ووضعت طرف القلم على حافة
الكراسى .

اكتبى يا شهيرة .. فإن عليك أن تفعلى شيئا .. خيرا من هذه الحلقة
والتمطى والشقلبة ..

حقيقة أن عملك الأصلى فى الرحلة .. أنت والفردتين الآخرين هو أن
تكونوا موضع اختبار للوجود الإنسانى على ظهر الكوكب الجديد .. وأن كل
ما هو مطلوب منكم هو مجرد الوجود ..

يكفى جدا للمستولين عن الرحلة أن توجدوا .. أن تعيشوا وتتغنسوا .
وتأكلوا وتشربوا .. وأن تبقوا بعد ذلك على قيد الحياة .. إذا تيسر لكم
العيش ..

مجرد أن توجدوا هو مهمتكم الأولى .. أما غير هذا فليس عليكم مسئوليته .. كل ما هو مطلوب منكم أن تقبلوا الوجود وتخضعوا لتعليماته .. وتأثروا - أو لاتأثروا به ، ويرقب الناس بعد ذلك .. ما حدث لكم .. فى دنيائكم الجديدة . بكل ما قد يكن فيها .. من نعيم أو جحيم .

ومع ذلك ياشهيرة .. ورغم أنك - كما قال عبد اللطيف - مجرد أرنب تجربة .. أو فأر اختبار .. فإن عليك أن تفيدى من مغامرتك الكبرى .. يجب أن تفعل شيئا من أجل نفسك .. يجب أن تحققى المجد الذى تتوقين إليه .. يجب أن تهبطى إلى الأرض .. ليس كمجرد تجربة ناجحة .. ولكن .. كفاتحة .. أو بطلة ..

ولكن كيف ؟ ..

بالكتابة ؟ !! وماذا يمكن أن تكتبى أكثر من أنك انطلقت بالصاروخ . مسمرة إلى مقعدك .. وأنت وصلت إلى الفضاء القسيح .. كل ما حولك فراغ .. فى فراغ .. فى فراغ .. فراغ أزرق داكن تتلألأ فيه النجوم وتبدو فيه الأرض رمادية تحيطها زرقة خفيفة تتحول إلى لون الفيروز ثم البنفسج . ولقد قاله من قبلك جاجارين .. وفالتينا وغيرهما من رواد الفضاء .. ولا أظنك ممكن أن تضيفى إليه شيئا .

أتكتبين .. أنك تعومين على فراشك .. وتلهفين القلم من الهواء .. وماذا يمكن أن يكون العيش فى منطقة اللاجاذبية .. سوى هذا ؟ أكتبين شعرا ؟ حديثا ؟ مدغدا . يرمه لك عبد اللطيف لكى يجعله شعرا .. موزونا .. ثم يضع اسمك تحته ..

مللت هذه اللعبة ياشهيرة ..

وهى لعبة أراضية .. لاداعى لها فى الفضاء ..

إذن اكتبى .. أى شىء .. كل ماترينه وتحسين به .. اكتبيه .. وصورى بكاميرتك كل ما تستطيعين أن تصوريه . وعندما تهبطين إلى الأرض سيكون له ولاشك قيمة .. وسيعرفون كيف يجعلون منه شيئا فى

التليفزيون وفى الصحافة .. وإذا كنت لا تجددين الآن شيئا جديدا بالنسبة لهم .. فعندما يبدأ الهبوط .. وعندما تستقر بكم السفينة على ظهر الكوكب .. سيختلف الأمر .. وستصادفون أشياء لاجدال أن أحدا من قبل لم يسبقك إليها وهنا سيكون الشغل .. ستكون الحظبة التليفزيونية .. والسبق الصحفى ..

وعلقت القلم فى الهواء وهمت بالاستلقاء عندما أبصرت عبد اللطيف يقبل نحوها محركا ساقيه وقدميه .. عائنا فى الهواء وتوقف بباب القمرة متسائلا :

— كتبت شيئا ؟

— كنت أحاول .

— ونجحت ؟

— ولا كلمة ..

— أليس فى كل مارأيتك ما يستحق الكتابة ؟

— ليس به جديد مما يمكن أن يكتب ..

— كل هذه الروعة !

— هذه الروعة تستطيع أن تعبر عنها أنت بما تشيره فى نفسك من

أحاسيس .. ولكن أنا .. لأملك إلا وصفها بالكلمات المجردة .. أنا لا

أملك جديدا بالنسبة لها .. ولكن الجديد منها يمكن أن ينبع من نفسك .

— تبالغين فى تقديرى .

— أنت فتان ..

— وضحك عبد اللطيف .

— هذه صفة لم تعد تنفع الآن .. كنت أفضل أن أكون طيارا .. أو حتى

بهلوانا ..

— لاأظن الأمر سيحتاج منا إلى شيء من هذا ؟

— من يدري .. فى رحلة الهبوط قد يختلف الأمر .

وكان عبد الراضى قد أقبل يضبش فى الهواء .. يحرك ساقيه بحذر..
ولا يخطو خطوة إلا بعد أن يتأكد أن قدمه قد وصلت إلى أرض السفينة ..
صاح به عبد اللطيف :

- مالك تمشى هكذا كأن الأرض ستغوص من تحتك ؟ .

- كأنها !! إنها فعلا كذلك ..

وضحكت شهيرة قائلة :

- دعها .. ولا يهملك .

- كيف !! .

- لم تعد الأرض مهمة فى السير .

وهز عبد الراضى رأسه غير مقتنع وأجاب :

- طول عمرى أسير على الأرض .. وإذا لم توجد أرض تحتى لأستطيع

السير .. لم أسر أبدا على الماء .. أو فى الهواء .

ووضع عبد اللطيف يده على كتفه قائلا :

- اسمع يا عبد الراضى .. ليس هنا أرض .. أزل من ذهنك .. كل

ماتعرفه عن الأرض .. نحن فى الفضاء يا بنى آدم .. فى الهواء .. ننام فى

الهواء .. ونسير فى الهواء .

وهز عبد الراضى رأسه فى قلق وتساءل :

- وإلى متى .. سنظل هكذا بعلقين فى الهواء .. متى سنركز على

الأرض ؟ .

وردت شهيرة :

- هانت يا عبد الراضى .. لقد قرب موعد الهبوط .

وتسال عبد الراضى فى فرحة :

- إلى الأرض ؟

- يعنى ..

ولم يفهم عبد الراضى وعاد يتساءل فى إلحاح موجه السؤال إلى عبد

اربع :

- هل سنهبط إلى الأرض يا أستاذ ؟
- وأجابه عبداللطيف :
- سنهبط والسلام .. إلى الأرض .. إلى القمر ..
- القمر !!؟ وهل هذا هبوط ؟
- أجل ..
- طول عمرنا نعرف أن القمر يطلعون إليه .
- إذن سنطلع إلى القمر .
- وقال عبد الراضى فى ضجر :
- ألم يكفنا طلوعا .. نريد أن ننزل .. ياناس .. حرام عليكم .
- وسمع صوت عبد القادر يتساءل وهو يقبل فى الممر :
- ماذا بك يا عبد الراضى ؟
- وضحك عبد اللطيف قائلا :
- زهق من العوم .. يريد أن يستقر على أرض .
- انتهينا .. بعد ساعات سنبدأ عملية الهبوط ..
- وتساءلت شهيرة فى حماس :
- هل تقرر الموعد ؟
- أجل ..
- أنستطيع أن نأخذ فكرة عما سيحدث ؟ .
- ليست مجرد فكرة .. ستعرفون كل شيء عن خطة النزول .. فهيا بنا .. إن الكابتن سيعقد لنا اجتماعا قصيرا يشرح فيه كل شيء .
- وسار عبد القادر يتبعه الثلاثة متجهين إلى غرفة العمليات وكان عبد المهيم قائد السفينة قد اتخذ وضع الجلوس هو وعبد الخبير حول منضدة مستطيلة فى الغرفة المليئة بالأجهزة والأزرار . وقال عبدالمهيم مرحبا :
- أهلا .. تفضلوا .

والتفرو حول المتضدة وأمسك كل منهم بطرفها محاولين الهبوط على المقاعد المثبتة فى أرضية السفينة .

واستطرد قائد السفينة يقول :

- أرجو أن يكون كل شىء على مايرام ..

ثم نظر إلى عبد اللطيف متسائلا فى رقة :

- كيف الحال يا أستاذ عبد اللطيف ؟

- محتمل .. رغم غرابته .

- غرابته من أية ناحية ؟

- يعنى .. العوم الذى نحن فيه .. والذى يجعل كل شىء سائبا

لا يعرف له مستقر ..

- كنت أظنك سعيدا بالخلاص من وزنك ..

- استمتعت بخفتى بعض الوقت .. ثم أحسست بأنى ثائه .. سائب ..

بغير انضباط .. وبدا لى أن وزن الأشياء له قيمة .. فهو يمنح الإنسان

الإحساس .. بأنه قادر بإرادته على أبسط أنواع التغيير .. وهوتغيير الوضع

.. وأن التطبيق الإرادى لقانون الحركة .. يهيمىء للإنسان الشعور بأول

مظاهرقوة .. ويمنحه المتعة بالقدرة على تغيير أوضاع الأشياء التى تظل

على حالها من الثبات أوالحركة حتى تطرأ عليها قوة .. تغير حالتها .. إن

انعدام وزن الأشياء .. يفقدنا الإحساس بأبسط مظاهرقوة .. بعد أن

أضحى كل شىء يتطوح ويتمرجح .. من مجرد اللمس .

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا وهويبتسم :

- مفهوم ..

ولكن عبد الراضى لم يبد عليه أنه قد فهم شيئا ، وكان منهمكا .. فى

محاولة الجلوس .. وهو يحس بتعذر التصاق مؤخرته بالمقعد .. ويتوهم بأن

لاشىء يحمله .. وأنه معرض للسقوط فى أية لحظة .

ولم يجد خيرا من الوقوف .. فرغم إحساسه بأن الأرض لاوجود لها

تحت قدميه .. وأنه قد يقع فى أية لحظة .. فقد فضل الوقوع - كما يقول
المثل - واقفا ..

وسأله عبد القادر :

- لماذا لا تجلس با أسطى .. عبد الراضى ؟

- هكذا أريح .

- غير معقول أن تظل واقفا فى الاجتماع .

ورد عبد المهيمن

- أنا متعود على الوقوف .

ورد عبد المهيمن فى حزم :

- اجلس يا عبد الراضى .. فنحن هنا على قدم المساواة ..

وقال عبد اللطيف محاولا إنهاء المناقشة :

- اجلس يا عبد الراضى .. كأنك فى مجلس إدارة .

وتساءل عبد الراضى :

- أهذا مجلس إدارة ؟

ورد عبد المهيمن ضاحكا :

- تقريبا ..

- هل ستنظر فى المكافآت والعلاوات ؟

وأجاب عبد اللطيف :

- مكافآت إيه يا عبد الراضى . اجلس .. أمسك بطرف المنضدة .. كما

أفعل أنا واضغط جسدك لأسفل .. وألصق نفسك بالمقعد .

- كل ما أفعل هذا .. أجد نفسى أقرب ثانية !

ورد عبد القادر بصبر نافذ :

- قب اغطس .. المهم أن تجلس الآن .. حتى ننتهى مما نود أن نقوله

فليس لدينا وقت كثير.

وجذب عبد الراضى نفسه إلى أسفل حتى مس المقعد .

وبدا عبد المهيمن حديثه قائلاً :

- لا أريد أن أضايقكم بالكثير من التفاصيل التى قد تزحم ذهنكم بلا فائدة .

وقاطعته شهيرة قائلة :

- إننا نحب أن نعرف كل شىء ؟

ونظر إليها أبوها فى ضيق قائلاً :

- لا تستطيعون أن تفهموا كل شىء ..

وقال عبد اللطيف :

- بل لن نستطيع أن نفهم أى شىء .. المهم أن نعرف متى سنبدأ

الهبوط .. وماذا يمكن أن يصيبنا خلاله .. حتى نأخذ فكرة مسبقة عن متاعب العملية .

وقال عبد القادر :

- لن يصيبكم أى أذى .

- إذن ما هو المطلوب منا ؟

- لاشىء .. سوى أن تبقوا فى أماكنكم ؟

وقال عبد الراضى :

- بسيطة .. هذا .. أفضل مانستطيع أن نفعل .

وتساءلت شهيرة :

- هل الهبوط متعب ؟

ورد عبد القادر :

- ليس أسوأ من الصعود .

وقتم عبد الراضى لنفسه :

- « استطعنا أن نحتمل الصعود بالبلبوعة .. ولكن ما العمل الآن ..

نحرب مشروب الأستاذ عبد اللطيف .. فقد يعيتنا .. على متاعب الهبوط ؟ » .

ونظر إلى عبد اللطيف .. ومال عليه بجسده فكاد يتقلب على رأسه ..
لولا أن دفعه عبد اللطيف فى كتفه دفعة عدلته .. ثم سأله فى دهشة :
- مالك يا عبد الراضى ؟
- أبدا .. كنت فقط أتساءل ..
- عن ماذا ؟
- عن .. عن ..
وخفض صوته حتى بلغ حد الهمس ثم استطرد يقول :
- .. عما إذا كان لديك .. شىء فى الزجاجة .
- أية زجاجة ؟
- الزجاجة إياها .. التى هربت بها معك ..
وانفجر عبد اللطيف ضاحكا وتساءل فى صوت عال :
- لماذا يا عبد الراضى ؟
وبدا الخجل على عبد الراضى وقتم قائلا :
- لا شىء .. لا شىء .. كنت فقط أظن أنها قد تعيننا على الهبوط؟.
وتساءل عبد المهيم :
- ما الحكاية ؟
ورد عبد اللطيف :
- أبدا .. مسألة بسيطة بيننا .. سنحلها فيما بعد .
ونظر عبد القادر إليهما فى ضيق وقال :
- يا جماعة .. دعونا نتهى عملنا ..
وعاود عبد المهيم حديثه .. شارحا عملية الهبوط .
- بعد ساعة سنبدأ الهبوط .. سيعود كل منكم إلى مكانه بعد
الاجتماع .. ويتناول كل منكم طعامه من إحدى الأنايب الموجودة فى
صندوق الطعام ..
وقال عبد القادر محذرا :

- أرجو أن نكرن حذرين فى المحافظة على كمية كل وجبة .. لأن لدينا
 من الطعام ما يكفى شهرا .
 وتساءل عبد اللطيف فى جزع :
 - شهرا .. هل سنمكث شهرا ؟ !
 - إنه طعام احتياطى للظروف .. ويجب أن نحافظ عليه .. لأننا
 لاندري ماذا يمكن أن يحدث .
 وتتم عبد الراضى :
 - إن شاء الله لانتحتاج إليه .
 وعاد عبد المهيمن يقول :
 - خلال ساعة .. يجب أن نكن على استعداد فى أماكننا .. يجب أن
 يستلقى كل منكم فى فراشه ويشد الأحزمة .. وبعد ساعة سنبدأ الخروج من
 مدارنا حول الأرض .
 وتساءل عبد اللطيف :
 - نحن ندور الآن حول الأرض ؟
 - طبعا ..
 - كنت أظننا فى حالة توقف تام ! .
 - نحن لانشعر بالحركة لأنه ليس هناك كائنات مجاورة تشعرنا بالابتعاد
 عنها والاقتراب منها .. ولكننا ندور فى فلك خاص حول الأرض .. نحن
 كالقمر ..
 ولم يملك عبد الراضى إلا أن يتساءل باسما فى غبطة ؟ :
 - أول مرة أسمعها .. أنتى كالقمر ؟
 ورد عبد المهيمن مستمرا فى شرحه :
 - فى حركته حول الأرض .. نحن فى مدار متزن مع جاذبية الأرض ..
 بحيث لانميل نحوها .. فنسقط عليها بحكم الجاذبية ولا نتبعد عنها فنندفع
 فى الفضاء بحكم جاذبية أى كوكب آخر .. وسنترك بعد ساعة هذا المدار ..

ونحاول الاقتراب من قمر المريخ الذى نقصده .. حتى نصل إلى منطقة
جاذبيته .. فتبدأ الهبوط .. بقوة هذه الجاذبية .. وهى أضعف كثيرا من
جاذبية الأرض .. ولن نحتاج إلى قوة كبيرة لمقاومتها .. وعندما نستقر فوق
أرضه الجديدة .. وقبل أن تغادر السفينة ..

وأحس عبد اللطيف بقلبه يدق فى شىء من الجزع .. وتساءل وهو يجد
أن المسألة قد دخلت فى دور جاد :

— هل سنخرج من السفينة ؟

— طبعاً ..

وتساءلت شهيرة :

— أولاً هل تستطيع السفينة أن تهبط ؟

ونظر أبوها إليها فى ضيق متسائلاً :

— ماذا بك يا شهيرة .. هل تظنين أننا خرجنا إلى الفضاء .. لكى نهبط

إلى قمر المريخ .. بسفينة لا تستطيع الهبوط ؟

— لقد كنت أظن أن الهبوط يحتاج إلى تجهيزات فنية فى مركبة أخرى
ملتصقة بالسفينة .

ورد عبد القادر :

— إن السفينة نفسها معدة بهذه التجهيزات .. إنها قادرة على الهبوط
مباشرة على الأرض الجديدة .

واستطرد عبد المهيمن يقول :

— قبل أن نصل إلى منطقة الجاذبية الجديدة .. سندور دورة حول القمر
الذى سنهبط عليه .. وسنبدل ملابسنا .

وقال عبد الراضى فى ارتياح :

— سنخلص من هذا الهم الثقيل .

وقال عبد القادر :

— لتضع أثقل منه .. سيرتدى كل منا البدلة الموجودة فى قمرته .

وتساءل عبد اللطيف :

- هذه البدلة الشبيهة بملابس فرسان القرون الوسطى ؟

وأردف عبد الراضى فى استنكار :

- هذا القزان والقصعة سنحشو فيها جثتنا ؟

وقال عبد القادر فى لهجة مقتضبة :

- أجل إننا لانعرف نوع الهواء ولادرجة الحرارة .. ربما واجهنا الشمس

.. فأحرقتنا .. أوصادفنا الوجه الظليل فتجمدنا من البرد .

ورد عبد اللطيف فى جزع :

- ياساثر ..

وهز عبد الراضى رأسه وتمتم فى أسى :

- شورتك المهبية .. تعال ياعبد الراضى إلى فوق ..

واستطرد عبد القادر يقول :

- وقد يكون الجوعغيرصالح للتنفس .. المهم أننا سنجد داخل البدل .. ما

يمنحنا الجو الذى نحتمل العيش فيه ..

وسألت شهيرة :

- إلى متى ؟

- إلى أن نكشف خارجها .. جوا صالحا ..

- فإذا لم نجده ؟

- نعود إلى السفينة .. لكى نعيد شحن البدل .. بما تحتاج إليه من

هواء وتكييف .

وتساءل عبد اللطيف :

- معنى هذا أننا لن نستطيع السير على الأرض الجديدة إلا بالبدل ..

- بصفة مبدئية .. أجل .

- وكيف نعيش بهذا الهم الثقيل ؟

- سنعمل ما نريد أن نعمله ..

وَيَقْتَمِعُ عَبْدُ الرَّاضِي :

- لن استطيع أبدا أن أعمل ما أريده ..

ماعلينا .. ربنا ينهيها على خير .

وتساءلت شهيرة :

- ألايحتمل أن نجد جواصالحا للمعيشة العادية ؟

وقال عبد المهيمن :

- محتمل جدا .. إن البحوث قد أكدت وجود الأوكسيجين .

والتفت عبد الراضى إلى عبد اللطيف متسائلا :

- الأوكسيجين هذا .. يؤكل .. أم يشرب ؟

- يتنفس .

- يتنفس .. وماله الهواء الذى نتنفسه ؟؟ . طول عمرنا .. نتنفس

هواء ..

- إنه هو نفسه الأوكسيجين .

- وما الغرابة فى وجوده .. أمعقول ألا يوجد هواء ؟؟

- قد يوجد هواء .. ولكن ليس كالذى نتنفسه .

- رائحته وحشة ..

- ليس رائحته .. ولكنه خائق .

- ياساير ..

نظر عبد القادر إلى الاثنين فى غيظ وتساءل :

- ويعدين .. أرجوكم .. نريد أن تنتهى .

وعاد عبد المهيمن يقول :

- وغير الأوكسيجين .. يوجد بعض النباتات .

وتساءل عبد اللطيف :

- مثل ماذا ؟

ورد عبد الراضى :

— يعنى ها يكون ماذا ؟ . بالكثير .. خيار .. سريس .. كرات .. لا
أظن هذه الأرض المخسوفة سيكون بها أكثر من هذا .
— قد يوجد نباتات كبيرة .
وتساءل عبد الراضى فى دهشة :
— جميز ؟
— أقصد نباتات غير طفيلية .. وقد يكون هناك صوراً أخرى من الحياة ..
لا تعرفها على وجه التحديد .
وقالت شهيرة فى فرحة :
— إذن نستطيع أن نتحرك بسهولة على أرضها .
— يجب أن نحتاط ببدة الفضاء أولاً . ثم نرى .. ماذا يوجد على
الأرض .. من مظاهر الحياة التى نألفها ؟ .
وصمت عد المهيمن برهة ثم قال وهو ينظر بالقلم على المنضدة :
— أعتقد أن هذا هو كل مالى لكم . وتستطيعون الآن أن تنصرفوا إلى
قمراتكم .. وتستعدوا للهبوط .
ترك عبد اللطيف جسده يقف وهو يتساءل :
— ومتى سنرتدى هذا الترمس .. الذى سنحفظ به جسدنا من الموت
حرقاً .. أو التجمد برداً :
— عندما نصل إلى مدار القمر . ونبدأ فى الدوران حوله ..
— ومتى نعرف ذلك ؟
— سنخبركم بالطبع .
وسار الثلاثة يشجون بأذرعهم وسيقانهم متحركين فى جوف السفينة .
غادر الأرناب الثلاثة غرفة العمليات .. متجهين إلى أسرتهم يستلقون
عليها .. فى انتظار التجربة .
وبقى الثلاثة المسيطرون .. فى الغرفة .
وشد عبد المهيمن ذراعيه وساقيه متمطياً .. ثم عاد يشبث نفسه وراء

المنضدة قائلا :

- والآن .. أمستعدون نحن؟

ورد عبد القادر :

- أنا مستعد .

وروجه عبد المهيمن إلى الدكتور عبد الحبير:

- وأنت يادكتور؟

- أعتقد أن كل شيء معد .

- لكل احتمال ؟

- مثل ماذا ؟

- لو اضطررنا للبقاء مدة أطول .

- أظن أن لدينا احتياطا لكل شيء لمدة شهر .

- وإذا قضينا أكثر ؟

- وله ؟

- من يدري ؟

- أظن الترتيبات قد عملت من الأرض للبقاء مدة أسبوع .

- وإذا انقطعت الصلة بيتنا وبين الأرض ؟

- ومن الذى يقطعها ؟

- نحن .

وتسأل عبد الحبير فى دهشة :

- ولماذا ؟

ورد عبد القادر :

- ربما نجد فى الأرض الجديدة .. مايفرئنا بالبقاء .

- وحدنا ؟

- ربما لم نجد أنفسنا وحدنا .

- ماذا تعنى ؟

- وأجاب عبد المهيمن :
- إن هناك بغير شك مظاهر للحياة .. وربما نجد هناك بشرا .
- وهب أننا وجدنا ..
- سيكون لدينا ما يغرى بالبقاء .
- أمجرد وجود بشر يغرينا بالبقاء ؟
- قد نجدهم فى حاجة إلينا .
- إلينا نحن ؟
- أجل .. بكل ما معنا من معدات . واختراعات وكل قدرتك على استنباط وسائل جديدة للحياة ..
- قد لا يكونوا فى حاجة إليها .
- نعلمهم كيف يحتاجون إليها .
- ولماذا ؟
- فنحنهم الحضارة .. والتقدم .
- وإذا رفضوها ؟
- ورد عبد القادر فى ضيق :
- أمعقول هذا ؟
- وقال عبد المهيمن ببساطة :
- نفرضها عليهم .
- وإذا ثاروا ؟
- دع أمرهم لنا .. إننا نعرف كيف نتعامل معهم .
- ولكن ماذا يجبرنا على ذلك ؟
- وقال عبد القادر :
- يجبرنا .. إننا سننظم أموره .. ونرعاهم .
- ماذا ماذا ؟
- ونحكمهم .. نصبح نحن .. أسياد الأرض الجديدة بكل ما عليها ..

وهز عبد الحبير رأسه فى دهشة وعاد يتسائل :
- ويعدين ؟

ورد عبد القادر :

- ولأقيلين .. دعنا نمارس التجربة .. وابق أنت فى ميدان عملك .

ونفض عبد الحبير وهو يهز رأسه :

- لم أكن أظن أن التجربة ستصل إلى هذا المدى .

وقال عبد المهيم فى هدوء :

- دعنا نر ..

وقال عبد الحبير :

- أجل .. على رأيك .. دعنا نر .. فربما لانبج أى مظهر للحياة .. وربما

لانبج سوى النباتات .. تمارسون عليها سلطانكم ..

وغادر عبد الحبير الغرفة عائداً إلى قمرته .

وعندما خلا عبد المهيم يعبد القادر سأل فى صوت خفيض :

- لقد سأل الرجل السؤال الذى تشغلنى إجابته ..

- ما هو ؟

- وإذا ثاروا « ماذا سنفعل ؟

- إن لدينا من أدوات الردع ما يكفى ..

- أمتأكد من سلامتها .. وصلاحياتها ؟ ..

- جهاز إطلاق الغاز السام موجود .. كذلك جهاز الجراثيم .. ومولد

الشعاع الصاعق الذى ولفه هو نفسه .. معد للاستعمال ..

وغيرها من الأجهزة التى يعرفها هو جيداً .. يمكن أن تتحول ببساطة

إلى أجهزة الموت ..

وصمت عبد القادر ثم أردف فى نفسه :

- إن لدينا كل أدوات الحضارة .. إذا قبلوها .. ولدينا كل أجهزة

التأديب .. إذا قاوموها .

- حسن .. لتبدأ الاستعداد للهبوط .

١٢ - ظهر القمر

خرجت السفينة من مدارها حول الأرض لتندفع فى الفضاء مرة أخرى متجهة نحو الكوكب المنشود واستلقى عبد الراضى مشدودا على فراشه بالأحزمة كأحد الطرود .

لم تفلح معه الكأس التى جرعها من زجاجة الأستاذ .. كانت البلوعة أفضل كثيرا .. فقد ظل مفتوح العينين مشدود الأعصاب وأحس بجسده يضغط فى الفراش حتى كادت عظامه تسحق ..

مالك ولكل هذا العذاب يا عبد الراضى ؟ ..

كانت الأرض لك سترة .. تجدها تحت قدميك ثابتة فى أى وقت تطوُّها .. وكان أقصى ماتركبه فيها هو السكة الحديد .. تخرجك وتهزك .. ولكنها توصلك فى آخر الأمر .. سليما ٢٤ قيراطا .

أنت تصعد إلى السماء ؟ .. وبالحياة ؟ ..

لو أنك صعدت ميتا .. لكان الأمر أهون كثيرا ..

هذه حكمة الله فى أن يأخذنا إليه أمواتا . حتى يسهل علينا الصعود ..

لو أنك ميت لما أحسست بكل هذا .

أو لو كان معك بلوعة أخرى ..

أو لو كانت هذه الجرعة التى أعطاهها لك الأستاذ .. ذات مفعول .. لدوختك .. وألقتك على الفراش بلا حراك .

ولكن الحق عليك .. كان يجب ألا تسمع كلام الأستاذ من أول الأمر .. يريد هو أن يصعد إلى السماء .. فليصعد وحده .. أنت لست مكلفا بخدمته

فى السماء ..
ثم وأنت بهذا الشكل الذى ترقد فيه بلاحرك .. غير قادر على خدمة
أحد .
وفوق ذلك كله .. إن أحدا هنا .. لا يحتاج إليك وإلى خدماتك .. التى
تعجز عن تأديتها .
لأنت قادر على أن تفيد أحدا .. ولأحد قادر على أن يفيدك .
وكان عبد اللطيف ملقى على فراشه .. متلاحق الأنفاس مغمض
العينين .
إلى أين تنتهى هذه التجربة العجيبة ؟
- إلى أين يمكن أن يذهبوا ؟ أسيهبطون حقا على الكوكب ؟
وكيف يمكن أن يجدوا الحياة فيه .. هل يمكن أن يمارسوها .. بطريقة
طبيعية ؟ . يسرون على أرضه ويتنفسون هواءه ؟ .
وما شكل مخلوقاته .. آدمية .. بأذرع وسيقان ورعوس تفكر أو
وحوش ضارية .. تشابه مخلوقات ما قبل التاريخ .
ما الذى دفعه إلى هذه المغامرة العجيبة ؟ ..
ملاحقته لشهيرة ؟ .. وعجزه عن فرقتها .
ولكن ألا يمكن أن تضع هذه المغامرة .. حدا .. ليس لقربه منها .. بل
لوجوده فى هذه الحياة ؟ .
أيمكن أن يعود وإياها سالمين إلى الأرض ؟
ألا يحتمل أن تجد ما يجذبها فى الكوكب الجديد .. لتبقى به ؟
أترأه سيبقى معها ؟ .. ولم لا ؟ .
أمعقول أن يتركها وحدها ؟
ولكن ألا يمكن أن يجد من ينافس فى حبها فى الكوكب الجديد ؟
مشاكل جديدة تزحم رأسه .
ولكن ماله يشغل نفسه بها .. المهم أن يصلوا سالمين إلى الكوكب ..

وعليه أن يفكر بعدها فيما يمكن أن يحدث ..
 وكانت شهيرة .. مصلوبة على فراشها .. مفتوحة العينين .. مزومة
 الشفتين .. وقد ضغطت ضروسها .. فى جزع ..
 متى ينتهى هذا الاندفاع المزعج .. الذى يكاد يحطم جسدها على
 الفراش ؟

متى سيصلون إلى حالة العوم التى كانوا فيها ؟ .
 إنها على غرابتها أكثر أمنا .. وأبعث على الطمأنينة والارتياح ..
 لقد ضاقت برقدها .. المشدودة .. ولكن عليها أن تحتمل .. بعد برهة ..
 سيبدأ الهبوط على الكوكب ..
 ستبدأ المغامرة الحقيقية ..
 ستكون أول امرأة على الأرض الجديدة ..
 ولكن من يديرها أنها ستكون الوحيدة هناك .
 ألم يقولوا إن هناك مظاهر للحياة .. أيمكن أن تكون هناك مظاهر حياة
 بغير امرأة .

ولكن أى نوع من النساء ستلتقى هناك .. وأى نوع من الرجال ..
 لعلها لا تجد هناك شبيها ببعض رؤسائها وزميلاتها .. حتى لا تدخل
 من جديد فى صراع .. تلهيه الغيرة والأحقاد .
 وكيف ستكون الحياة هناك .. أتراها سهلة ميسورة .. كيف ستأكل ..
 وماذا ستلبس .. ؟ وأى المواد تنتشر هناك .
 ولكن هل سيكون هناك وقت .. لكل هذا .
 بل هل ستها لها الفرصة للخروج من هذه البذلة الشبيهة بالقنص ..
 لتمارس أنوثتها على الأرض الجديدة ..
 تجربة مثيرة .. هذه التى توشك أن تخوضها وعليها أن تنتظر ما يمكن
 أن تأتى به الساعات القادمة ..
 وفى غرفة العمليات كان عبد القادر يجلس مشدودا إلى مقعده وعينه

معلقة بالأزرار والأضواء .

كل شيء .. يسير على ما يرام .. ياعبده .

السفينة تسير فى طريقها المرسوم .. وبعد فترة ستصل إلى نهاية منطقة الجاذبية .. وسيبدأ الدوران بعد ذلك حول القمر المقصود من أحد أقمار المريخ .. وبعد بضع دورات .. تبدأ عملية الدخول فى منطقة جاذبية القمر.. لن يكون الهبوط شاقا .. ولن يصعب توجيه السفينة إلى منطقة الهبوط الملائمة .. والتي يمكن رصدها من غرفة المراقبة ..

وبعد ذلك .. يتحقق الحلم .

ستهبط السفينة إلى الأرض الجديدة .

أرض بأكملها ستكون تحت سلطانهم ..

سلطان هائل .. هذا الذى يوشك أن يتحقق لك .. سلطان .. ليس على مجرد محافظة .. أو جمهورية .. أو اتحاد ولايات .. أرحتى على قارة .. بل على أرض بأكملها بكل مافيها من قارات وبحور .. وأجواء ومخلوقات ..

كنت تحاول أن تكون محافظا .. وكدت تصل .. ولكن المؤامرات المضادة أبعدتك .. نجحت فى التغلب على مؤامراتك .. وخططك .

.. وكنت تحلم فى أعماق نفسك بالوصول إلى الوزارة .. فرئاستها .

.. وتتطمع فى أكثر من ذلك .

لم يكن هناك حد لطموحك ..

والآن .. يوشك .. أن ينطلق الطموح .. فى فسحة لا حدود لها .. فى أرض كاملة ..

سيتقدمك صاحب السلطان الشرعى .. الكابتن عبد المهيمن .. وستكون أنت عونه .. ووريثه .. فأنت فى حاجة إليه .. فى مرحلة السيطرة على الحكم .. فهو أكثر خبرة بالتعامل مع الناس .. وأشد تأثيرا عليهم .. ولكن أى ناس هؤلاء الذين ستعاملون معهم .. أبشر يقطنون الأرض

الجديدة؟ ..

لابد أنهم ناس .. ككل الناس .. لن تتعذر قيادتهم .. بالدين أو بالقوة ..

وليس عليك إلا أن تتقدم خطاهم .. وتفهم أفكارهم .. وتعبر عن مشاعرهم .. وتقضى حاجتهم وتسعى لتحقيق أمانهم .. فيتبعوك .. ولكن ماهى أفكارهم ومشاعرهم .. وما هى احتياجاتهم وأمانهم ؟ .. لابد أنهم يفكرون . كما يفكر الناس الذين نعرفهم .. ويحسون بمشاعر من عرفت من أهل الأرض . ولن تختلف احتياجاتهم .. عن احتياجاتكم .. وأمانهم عن أمانكم .. من يدري ؟ ..

— ألا يمكن أن يكونوا مختلفين ؟

— ولكن ألا يمكن ألا يكون هناك ناس أصلا ؟

مشكلة ..

سيصبح عليك .. أنت نفسك .. أن تصنع ناسا .. ولقد كنت من الذكاء .. وبعد النظر أن أحضرت معك أنثى .. وهى أنثى صالحة للتكاثر .. لقد ألحيت من قبل .. ويمكن أن تفرخ لك .. مواليد .. تصنع بها عالمك فى أرضك الجديدة . ولكن من الذى سينجب منها ؟ .. أنت طبعا ..

فأحدهم أبوها .. لا يصلح .. والكابتن رجل عف ومتزوج .. وهو يجب أن يظل متصرفا .. والأستاذ عبد اللطيف من أصحاب الهوى العذرى .. وعبد الراضى .. سيقوم بالخدمة .. إنه هو الذى سيكون صاحب النسل الجديد .. سيكون آدم الدنيا الجديدة ..

ولكن أى دنيا هذه التى ستقتصر على هذا العدد المحدود من

المخلوقات ؟ ..

لماذا لا يطلب من عبد الخبير أن يبحث عن وسيلة جديدة للتكاثر ..
لبذر المخلوقات .. كما تبذر الغلة .. فتثمر الأرض .. بسنايل الآدميين ؟
أترى ستصبح مشكلته فى الأرض الجديدة .. هى مشكلة التكاثر ؟
وأطلق تنهيدة من صدره .
لماذا يتعجل المشاكل ؟ ..
— لماذا لا ينتظر حتى يصل إلى الأرض الجديدة .. ويرى مشاكلها
الحقيقية ؟ ..



وعلى مقربة منه كان يتمدد الدكتور عبد الخبير يفكر فى قلق .
ماذا ينسوى أصحابه .. وأى خطة يرسمونها . وأى هدف يريدون
تحقيقه ؟ ..

أيريدون حقا البقاء فى الكوكب ؟
هل يريدون أن يستولوا عليه ؟ أتراهم قد جنوا ؟
— ولم لا ؟ ..
ألا يحتمل أن يكون جنون الطموح قد دفعهم إلى هذه الخطوة ؟ ..
فى الأرض كان يدفع جنون الطموح بالقادة إلى غزو قارات شاسعة
ووضع شعوبها تحت سيطرتها .
فأى غرابة فى أن يحاول هذان المجنونان غزو كوكب بأكمله ..
والسيطرة عليه ..
ولكن كيف يحكمونه ؟ ..

بل ومن يحكمون .. أى نوع من البشر يمكن أن يعيش فى هذا
الكوكب الذى يريدون إخضاعه لسيطرتهم .
وأى مخاطر يمكن أن يلقوا بأنفسهم إليها .. وسط نوع مجهول من
الكائنات .. وماذا يدفع به هو إلى مشاركتهم فى هذه الحاطرة المروعة ؟ ..

لقد قبل المخاطرة على أنها نوع من الاستكشاف .. لأرض جديدة ..
ومعرفة جزء من الكون الهائل الذى نعيش فيه .. ولكنه لم يخطر بباله قط
أنها مغامرة غزو .. وسيطرة ..

إن كل مايقويه هو المعرفة ..

كل مايبذله من جهد يعتصره نفسه وذهنه إنما هو خطوات نحو حقائق
جديدة .. وانتزاع لها من باطن ظلمات الجهل إلى أضواء المعرفة .
ولكن الحقائق لايمكن أن تكون لها قيمة فى حد ذاتها إن لم تضاف
جديدا إلى حياة الإنسان .

الحقائق ليست تحفا .. ولا أدوات زينة .. يستخدمها الإنسان ..
لوضعها فى فاترينات التاريخ .. وإنما يستفيد منها فى تحقيق مزيد من
الرخاء والسعادة ..

ولكن أحقا .. يفيد الإنسان دائما .. بما يكتشف من حقائق ؟
أيستعملها دائما لخيرهِ وسعادته ؟ ..

أم يختلط عليه الأمر .. وتتحول الحقائق فى يده إلى أدوات تخريب
وتدمير ..

ولكن ماذا يستطيع كاشف الحقيقة أن يفعل .. أيجيبها .. حتى لا
تتحول إلى أداة تدمير؟ ..

إذا كان لايملك ضمانا لأسلوب استعمالها أ يحتفظ بها لنفسه .. أم
يطلقها .. يفعل بها الإنسان مايشاء ؟ ..

وهل يملك غيرذلك ؟ ..

إذا كانت إساءة استعمال الحقيقة .. جريمة .. فحجبها جريمة أكبر ..
وليس على كاشف الحقيقة سوى أن يطلقها .. ولتتصارع فى استعمالها قوى
الشر والخير .. ويبقى مصير الإنسان معلقا فى أيهما تنتصر فى استعمالها
.. وإلى أى مصير تنتهى .. أ تكون عنصرا من عناصر سعادة الإنسان .. أو
أداة من أدوات إشقائه ؟ ..

وهو هنا .. لا يستطيع إلا أن يعمل .. وأن يكشف ما استطاع من الحقائق .. وأن يكون بعد ذلك إحدى القوى المتصارعة من أجل وضعها فى سبيل الخير والسلام .

وفى حجرة المراقبة .. كان عبد المهيمن مشدودا على مقعده .. وعيناه تحمقان فى الفضاء الذى تندفع إليه السفينة .
هذا هو الكون مفتوح أمامك يا عبد المهيمن .. بلا حدود ولاسدود ولاقيود ..

آمالك فى أن تكون كبيرا .. عظيما .. لا يحول بينك وبينها حائل ..
عظيم .. ليس فى فصل دراسى .. ولا على رأس مظاهرة .. ولا فى قيادة حزب .. أو رئاسة بلد ..
فكل هذا .. مهما بدا من كبره قبل أن تبلغه .. يضيق بطموحك ..
عندما تصل إليه .. وتحقق آمالك فيه ..
طموح المجد لا حدود له ..

وعندما لا يملك الإنسان القدرة على الوصول لا تكون هناك مشكلة ..
أكثر من محاولات متكررة للوصول .. وجهود لتحقيق آمال .. تبقى دائما مجرد آمال ..

ولكن المشكلة الكبرى عندما يملك المرء مواهب الوصول ... عندما يكون لديه القدرة على التميز .. وعلى تقدم الغير .. وعلى أن تتفق آماله مع
بات المجموع .. وعلى أن يستمد أسباب مجده من تحقيق آمالهم .. هنا
السباق بين طموحه .. وتحقيق آمال الغير ..

هنا تضيق الرقعة المحدودة .. الطموح غير المحدود ..
هنا تتجاوز آمال العظمة غير المحدودة بمجالها المحدود .. وتتخطاها
مجال أكبر يسمح بتحقيق مدى أكبر من الآمال ..
هنا تصبح المشكلة بين الآمال المطلقة .. والمجال المحدود ..
لتحقيقها ..

مشكلة سباق دائم .. بين طموح غير محدود .. فى نطاق .. لا يملك إلا أن يكون له حدود ..

ولكن هنا يا عبد المهيمن .. يبدو المجال غير محدود ..
بانطلاقك فى قضاء .. فسيح .. فسيح .. وإقبالك على مجال ..
للآمال .. بغير حدود .. ليس قرية .. ولا مدينة .. ولا بلدا .. ولا قارة ..
ولكنه .. أرض كاملة .. دنيا واسعة .. واسعة .. ببجورها وجبالها ..
وسهولها .. وهضابها ..
ومخلوقات .. خام ..
قابلة للصياغة .. والتحوير .. والتطوير .

دنيا واسعة يا عبد المهيمن .. بعبلها .. وبدانيتها .. تشكلها كما تريد ..
وتصنع منها شيئا نموذجيا .. تنافس به .. أى عالم آخر .. وتحقق به كل ما تخزنه من آمال وطموح .. فرصة لم تتح لبشر غيرك ..
أقبل عليها بكل ما تملك من ذكاء .. وقدرة .. وجهد ..
ولكن ماذا .. إذا لم تكن .. كما تتصور .. شيئا خاما ؟ .. ماذا إذا كانت تحمل كل ما بعالمك من تعقيدات .. ومشاكل ؟ ..

ستصبح المهمة أشق ..
ولكنك ستقدر عليها ..
قد تحتاج إلى القوة .. ولكنها لا تنقصك ..
إنك تملك كل أساليب الحكم والسيطرة ..
فأقبل على التجربة الكبرى .. وأطلق طموحك .. الذى لا حدود له ..
فى مجال .. يبدو بغير حدود ..

وفجأة بدأت السفينة تخف سرعتها .. وخف الضغط الذى يطبق على الأجساد .

وتنفس عبد اللطيف الصعداء .. وهو يهمس :

— الحمد لله .. يبدو أننا وصلنا أخيرا ..

وأحس بجسده يعاود الطفو فوق الفراش .. ولم تعد للأحزمة التى تشده إلى
الفراش قيمة .. فمد يده وفكها .. وأخذ يحرك أعضائه بخفة .. متجها إلى
خارج القمرة ..

ووقف بباب قمرة عبد الراضى الذى بدا مغمض العينين ترسم على
وجهه علامات الجزع .

وهتف به عبد اللطيف :

- عبد الراضى .. اصح يا عبد الراضى .

ورد عبد الراضى وهو مغمض العينين :

- أنا صاح يا أستاذ .. هل تظن إنسانا يستطيع النوم فى هذا
المشوار المهبب ؟

- إذن انهض .

- كيف ؟

- فك الأحزمة وحرك نفسك ..

- هل وصلنا ؟

- أجل ..

وفك عبد الراضى الأحزمة فوجد جسده يطفو على الفراش . فتملكه
الفرح وصاح :

- كيف وصلنا .. إذا كنا مازلنا نعوم فى الهواء .

- قد وصلنا إلى آخر منطقة اللاجازبية . ونوشك على النزول إلى القمر .

وهز عبد الراضى رأسه فى يأس قائلاً وهو يتنهد :

- القمر !! القمر الذى أثار لياطينا السود .. سننزل إليه ؟

- ليس إلى القمر إياه .. ولكنه قمر آخر .

- يبقى ضحك على العقول ..

- لماذا ؟

- عندما كنت تسهر الليالى .. هل كان هناك قمر غير قمرنا ؟

- لم نكن نراه بالطبع .
- ولماذا كنا نرى قمرنا ؟
- لأنه كان قريبا .
- وضحك عبد الراضى :
- قمرنا كان قريبا .
- أجل .
- حلو !! ولماذا لم نصعد إليه ؟
- غيرنا فعل .
- ولماذا لا نفعل نحن ؟
- نريد قمرا جديدا ..
- بخيره !!!
- بالضبط .. قمرا .. لم يسبقنا إليه أحد .
- وهز عبد الراضى رأسه وهو يتأرجح فى الهواء .
- والله ما احنا جايبينها البر. ربنا يستر .
- وقبل أن يرد عبد اللطيف سمع صوت حفيف خفيف .. ثم أبصر شهيرا
- تسير فى عم السفينة مقبلة عليهما وكانت علامات الدهشة تبدو على وجهها
- وهى تتسائل :
- أرايتما ؟
- ورد عبد اللطيف :
- ماذا ؟
- ألم تظلا بعد من النافذة ؟
- وهز عبد اللطيف رأسه فاستطردت تقول :
- يخيل إلينا أننا اقترنا كثيرا .. لقد أبصرت من النافذة منظرا يكاد
- يشبه مانراه من الطائرة فوق الأرض .
- ماذا تعنين ؟

— أعنى أنى أرى مسطحا مجعدا .. به نتوءات وظلال تكسوها طبقة
من الضباب .
— أمعقول أننا اقتربنا إلى هذا الحد
— تعال انظر .
وجذبتة تجاه النافذة . ونظر عبد اللطيف عبر الزجاج قائلا :
— لا أرى سوى زرقة السماء الداكنة تبرىّ فيها النجوم .
— انظر إلى أسفل .
ومد عبد اللطيف عنقه وألصق وجهه بالنافذة ونظر إلى أسفل فأبصر
سطحا رماديا منبسطا تبدو به أشياء كالحفر الصغيرة .
وتساءل فى دهشة :
— أهذا هو القمر الذى سنهبط إليه ؟
وأجاب صوت من ورائه قائلا :
— أجل . هو بعينه .
وبدا عبد القادر وقد علت شفثيه ابتسامة غبطة واستطرد يقول :
— إننا نستطيع أن نرى سطحه بالعين المجردة .
وتساءل عبد اللطيف فى دهشة وهوىحرك يديه وساقيه بخفة قائلا :
— ولكننا .. كما ترى .
— أجل .
وعاد عبد اللطيف يؤكد :
— إننا بلا وزن .
— هذا أمر واضح .
— يعنى فى منطقة اللاجاذبية .
— طبعا .
— ولكننا قريبون من الأرض .. إنها واضحة لأعيننا . كيف نكون مع
هذا القرب فى منطقة اللاجاذبية ؟

وضحك عبد القادر قائلا :

— إننا لسنا قريبين كما تتصور.. ونحن نرى الآن السطح الذى يواجه الشمس .. وهذه النقر الصغيرة التى تراها قد تكون بحيرات كاملة .. ومازالت أمامنا فرصة للاقتراب أكثر.. لأن جاذبية هذا القمر.. أخف كثيرا من جاذبية الأرض ..

وصمت عبد القادر برهة ثم قال :

— إن الرحلة تسير بنجاح كامل حتى الآن ..
وتمتم عبد الراضى قائلا :
— رينا يتم بخير .

وعاد عبد القادر يتساءل :

— أأنتم على استعداد للنزول ؟

وهمت شهيرة بالاندفاع إلى قمرتها قائلة :

— إننا لم نرتد بعد ملابس النزول . وتساءل عبد اللطيف :

— أمفروض أن نرتديها الآن ؟

— لا .. لا .. ليس بعد .. إن إجراءات الهبوط ستأخذ بعض الوقت ..

ونحن نحاول الاقتراب ببطء إلى أكبر مدى فى منطقة اللاجاذبية .. قبل أن يبدأ الدوران حول القمر استعدادا للهبوط .

وتساءلت شهيرة :

— وما المفروض أن نفعل الآن ؟

— تستطيعون أن تستريحوا .. وتتناولوا الطعام .

وهز عبد الراضى رأسه وتمتم متسائلا :

— نستريح كيف .. ونحن معلقون فى الهواء ..

ألا نستطيع أن نريح جسدنا على قطعة أرض ؟..

وقال عبد اللطيف وكأنه يتم شكواه :

— ونأكل ماذا .. سوى ابتلاع هذه الأتاييب ؟

ورد عبد القادر :

- تحملوا .. هانت .. كلها ساعة ونبدأ الهبوط .

وضحك عبد اللطيف :

- وننحشر فى القزانات .. ونهبط إلى الجليد لنجمد أو إلى النار لنحترق .

- ستحميكم حلة الفضاء .

- حماية السجن لسجينه .

- نأمل ألا يطول .. وأن ننطلق بعدد إلى دنيا جديدة رائعة ..

وأمنت شهيرة على قوله :

- أجل .. إنى أتصورها .. جنة ..

وعلق عبد اللطيف باختصار:

- أو جحيما .

وتركهم عبد القادر عائدا إلى غرفة العمليات .. حيث وجد عبد المهيمن

يقف بجوار عبد الحبيب وهم يطلون من النافذة .

وقال عبد القادر منتشيا :

- كل شيء يسير على ما يرام .. هذه أرضنا الجديدة .. تبدو تحت

أقدامنا .. أشعر كأنى أستطيع لو مددت يدى أن أمس أطراف جبالها .

وقال عبد المهيمن :

- ما زالت أمامنا فرصة للاقتراب أكثر .

وقال عبد الحبيب :

- لا تريد أن تقترب كثيرا .. حتى لا نتجاوز منطقة اللاجاذبية فننجذب

إليه فجأة قبل أن نستعد للنزول ..

وضحك عبد القادر قائلا :

- لا تحمل هما .. فهذا القمر يبدو بلاجاذبية .. حتى ليخيل إلى أننا

نستطيع لو شئنا أن نلقى بأنفسنا عليه فنهبط كما تهبط أوراق الشجر .. أو

ريش الطير .. تنهارى فى الهواء فى خفة حتى نلمس سطح الأرض .

وأجاب عبد المهيمن قائلاً :

— على أية حال إن علينا أن نعد معدات الهبوط .

وقال عبد القادر :

— جاهزة .

والتفت عبد الحبير إلى لوحة الأزرار التى تملأ الحائط المقابل .. وبدت

الدهشة على وجهه وتساءل :

— يبدو كأننا وقفنا عن الحركة .

وانتقلت الدهشة إلى وجه عبد الحبير وعبد المهيمن وهتفا فى نفس

واحد :

— عجيبة !

ثم استطرد عبد القادر قائلاً :

— قد يكون بالأزرار عطل .

وقال عبد الحبير :

— غير معقول .

واقترب من لوحة فى أحد الأجناب واستطرد يقول فى مزيد من

الدهشة :

— إننا ندور حول القمر .

وقال عبد المهيمن :

— لابد أن مجموعة الصواريخ الأخيرة قد عطلت .. وكنت عن دفع

السفينة .. فبدأت دورانها حول القمر .

ورد عبد الحبير :

— إنها تدور ببطء شديد .. وتكاد تبدو واقفة .

وبدأ عبد القادر فحص الأجهزة .. ثم دخل فى باب جانبى . وعاد

يقول وقد بدت على وجه علامات الجزع وهو يقول :

- لقد عطلت كل الصواريخ .
وهتف عبد المهيمن وهو يحاول أن يتمالك :
- كيف ؟
- لست أدرى .
- أتوقفت تماما ؟
- تماما .. حتى المجموعة التى سنهبط بها إلى القمر .. تبدو عاطلة ..
واقبح عبد القادر إلى باب آخر فى عجلة وهو يقول :
- سأرى المجموعة التى ستعيدنا إلى الأرض .
وبعد لحظة عاد وقد علا وجهه شحوب شديد وهو يهتف قائلا :
- حتى هذه قد عطلت .
وهز عبد المهيمن رأسه فى يأس قائلا :
- معنى هذا أننا سنبقى معلقين هنا .. إلى الأبد .
وتسأل عبد الحبير فى دهشة :
- ولماذا لا نطلب النجدة من الأرض ؟
وتبادل عبد القادر نظرة يأس مع عبد المهيمن وسادت فترة صمت ثقيلة
ثم قال عبد المهيمن :
- لافائدة .. لقد قطعت المواصلات بيننا وبين الأرض .

١٣ - مجرد فكرة

عطلت الصواريخ المحركة ولم يعد هناك قدرة على دفعها أو توجيهها .. بعد أن أشرفت على الأرض الجديدة التى كانت وشك أن تهبط إليها .
 ووقف عبد المهيمن يلقي نظرة شاردة من نافذة غرفة المراقبة عبر الفضاء إلى الأرض الفسيحة الممتدة فى الفراغ الأزرق الداكن .. لا يكاد يبدو منها إلا وجه رمادى مغبر لا تبين معالمه .
 وأطلق من أنفه زفرة قصيرة ساخرة وقتم فى صوت خفيض :
 - بعد أن وصلنا إلى مشارف الأمانة .. وباتت منا على مرمى البصر .. ومطال اليد .. ينهار كل شئ .. يتبدد الأمل .. وينقشع الحلم ..
 ورد عبد القادر فى نبرة يائسة وهو يقف بجوار قائد السفينة .. وقد علت وجه علامات الأسى :
 - أمر غير معقول .. بعد كل هذا الجهد والتدبير المحكم .. وبيننا وبين الدخول إلى منطقة الجذب .. دقائق معدودات .. ينهار كل شئ ..
 وصمت لحظة ثم استطرد يقول :
 - لو أننا فقط نستطيع دفع السفينة إلى منطقة الجذب .
 وتسائل عبد المهيمن :
 - وماذا نفعل بعد ذلك ؟
 - نتركها تهبط بالجاذبية .
 - وكيف نسيطر عليها .. عند الهبوط ؟
 - نتركها للقدر ..
 - حتى تتهشم على سطح القمر .

- المفروض أن الجاذبية أضعف كثيرا من جاذبية الأرض .. إنها لا تكاد تبلغ جزءا بسيطا منها .
- بسيط .. أو غير بسيط .. لا بد لها فى النهاية أن ترتطم بالسطح .
- ربما سقطنا .. على الماء ..
- ومن يضمن وجوده ؟
- إن علينا أن نغامر.
- على أية حال .. إن المغامرة قد باتت مستحيلة .. بعد أن عطلت كل الصواريخ .. وبعد أن بتنا عاجزين عن الخروج من منطقة اللاجاذبية . .
- مصيبة .
- وهز عبد المهيمن رأسه وقال فى سخرية :
- كل شيء كان يخطر ببالى .. إلا أن أنتهى .. ضالا فى الفضاء .
- وأردف عبد القادر بنيرة يائسة :
- وراء قضبان سجن .. معلق بين السماء والأرض ..
- وصمت عبد المهيمن برهة ثم عاد يتساءل :
- ولكن لماذا وراء قضبان السجن ؟ ..
- ماذا تعنى ؟
- لماذا لانخرج ؟
- إلى أين ؟
- إلى الفضاء .. إلى الدنيا الواسعة ..
- إذا كنا قد حكم علينا أن نقضى هنا .. فلماذا فى هذا الجحر .. لماذا
- نجلس لنتنظر مصيرنا فى عجز واستسلام ؟
- تريدنا أن نغادر السفينة ؟
- لم لا ؟
- لنهيم على وجوهنا فى الفضاء ؟
- أى شيء أفضل من الانتظار ..

- وترتدى حبل الفضاء ؟

- طبعاً ..

وهو عبد القادر رأسه وأخذ يجيل الفكرة فى ذهنه وقال بعد لحظة :

- معقول .. تنطلق سائرين فى الفضاء .. بدل أن نجلس هنا فى عجز ..

ومن يدري ربما استطاع كل منا أن يبلغ منطقة الجذب .. فيندفع إلى الأرض .

والتفت إليه عبد المهيمن متسائلاً :

- أتظن هذا ؟

- ولم لا ؟

- ماذا تظن المسافة إلى منطقة الجذب ؟

- أستطيع أن أحدد بالضبط .

- ولكنها قد تصل إلى مئات الأميال .

- وهبها كذلك .. ألا يحتمل أن نقطعها سائرين .

وأقبل عبد اللطيف ووراءه عبد الراضى وقد بدا عليهما القلق ..
وتسأل عبد اللطيف وهو يطل من باب القمرة :

- سائرين ؟ . إلى أين ؟

ورد عبد القادر وهو يطلق تنهيدة :

- إنها مجرد فكرة ..

وحاول عبد اللطيف أن يحصل على مزيد من الشرح فتسأل :

- فكرة عن ماذا ؟

ورد عبد المهيمن وهو يحاول أن يجلس على أحد المقاعد :

- إن المسألة تحتاج إلى شرح .. لقد حدثت أشياء خطيرة .

وتسأل عبد اللطيف فى جزع :

- خطيرة .. من أى نوع ؟

وأجاب عبد القادر :

- لقد تعطلت السفينة .
- كيف ؟
- إنها لا تستطيع أن تغادر منطقة اللاجازبية .
- وبساطة تسامح عبد اللطيف :
- وماذا فى ذلك ؟
- لن نستطيع أن نهبط إلى القمر .
- قال عبد الراضى فى تشف :
- أحسن .. نعود إذن إلى الأرض .
- ورد عبد القادر فى عصبية :
- لا نستطيع .
- وقال عبد الراضى فى استسلام :
- إذن نبقى .
- إلى متى ؟
- إلى أن يحلها الحلال .
- كيف ؟
- وهز عبد الراضى رأسه وتلفت إلى عبد اللطيف قائلاً :
- قل لهم يا أستاذ .. فأنا لأفهم فى هذه الأشياء .
- وقال عبد اللطيف :
- ننتظر حتى يرسلوا إلينا سفينة نجدة نجبرنا .. أو تحملنا فيها .
- وقال عبد المهيمن فى لهجة مقتضبة :
- لأحد يعرف مكاننا .
- وقال عبد الراضى فى دهشة وهو يضرب كفا بكف :
- يعنى تهنا بالعربى .. وقعنا ولم يسم علينا أحد .. ولكن لماذا
- لا يرسلون ورامنا منادياً .. ينادى يا أولاد الحلال .. مين شاف سفينة تايهة
- فى الفضاء ؟

ونظر عبد القادر إلى عبد الراضى فى غيظ وقال له ناهرا :
- أتمرح ؟

- أبدا والله .. أتكلم جادا .. إما هذا .. أو يبلغوا عنا البوليس ..

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى نظرة زاجرة وقال له :

- عبد الراضى .. اسكت أنت بلا هبل ..

ووضع عبد الراضى كفه على فمه قائلا :

- هب .. سكتنا .. حلوها انتم .

وعاد عبد اللطيف يتسائل :

- كنتم تقولون .. نذهب سائرين .

وقال عبد المهيمن :

- كان هذا مجرد اقتراح .

وعاد عبد اللطيف يتسائل :

- سائرين إلى أين ؟

ورد عبد القادر :

- إلى القمر .

لم يملك عبد الراضى نفسه من الانفجار ضاحكا :

- نسير إلى القمر ؟

والتفت إلى عبد اللطيف هامسا :

- لو قلت هذا .. فى جلستنا إياها .. مع الشلة .. لقالوا عنا مسطولين

.. ولكن هنا ..

وكانت شهيرة .. قد أقبلت بعد أن أصابها القلق من طول الانتظار

وفوجئت بصيحة عبد الراضى وتساؤله عن السير إلى القمر ..

فهتفت متسائلة :

- ما هذا التخريف يا عبد الراضى ؟

والتفت عبد الراضى إلى عبد اللطيف قائلا :

- .. ألم أقل لك يا أستاذ ..
- ووجه الحديث إلى شهيرة قائلا وهوشير إلى عبد القادر :
- .. أنا لم أقل هذا .. الباشمهندس هو اللى قال .
- وقال عبد القادر متمتما :
- .. إنها مجرد فكرة .
- وتساءلت شهيرة مذهولة :
- .. فكرة !! أن نسير إلى القمر ..
- وقال عبد المهيمن فى حزم :
- .. أن نموت هنا ..
- وقال عبد اللطيف متسائلا ببساطة :
- .. وإذا سرنا إلى القمر .. لن نموت ؟
- ورد عبد القادر :
- .. جائز .
- وعاد عبد الراضى يضرب كفا بكف وهو يقول :
- .. أنا أسير إلى القمر ؟ .. كانت أمى بهانة تخشى على أن أسير إلى
- البندر .. حتى لاتصدمنى المستعجلة .. ماذا تقول عندما تسمع أن ابنها عبد
- الراضى .. طالع يتمشى للقمر ..
- ونظرت شهيرة إلى عبد اللطيف مستفسرة وتساءلت :
- .. ولكن كيف نسير إلى القمر .. ولماذا ؟ ،
- .. لأن السفينة عطلت ..
- .. ولكن كيف تعطل السفينة ؟
- ورد عبد الراضى :
- .. حرت .. كما تحرن الحمامة على الطريق .. قسمتنا .
- .. إذن نعود .
- .. السفينة حرنانة ياست شهيرة .. لاتريد أن تنزل إلى الأرض .. أو

تطلع إلى القمر..
- أمعقول هذا ؟
- هكذا قالوا .
- ولكن كيف ستسير ؟
ورد عبد المهيمن :
- إذا استقر أمرنا على السير.. سنرتدى بدل الفضاء ونسأب عن السفينة الواحد بعد الآخر .
- إلى أين ؟
وهز عبد المهيمن رأسه قائلا :
- إلى أى مكان ..
وفى تلك اللحظة أقبل الدكتور عبد الحبير من حجرة العمليات وقد بدا عليه الشرود .. واندفعت إليه شهيرة متسائلة فى جزع :
- أعرفت ؟
وأطرق عبد الحبير وقال فى هدوء :
- أجل .
- أمعقول .. أن نذهب إلى القمر سائرين ؟
ورفع الرجل رأسه مأخوذاً وقال :
- سائرين ؟ .. إلى القمر؟ من قال هذا ؟
وقال عبد المهيمن :
- إنه مجرد اقتراح ندرسه .
- اقتراح بأن نسير إلى القمر.. أهذا معقول ؟
- ليس هذا بالتحديد .. ولكننا فكرنا .. إنه خير لنا .. من البقاء مسجونين فى السفينة .. منتظرين نهايتنا المحتومة .. أن نخرج لنواجه مصيرنا ..
- نواجهه أين ؟

- فى الفضاء .. نسير .. نتحرك .. ننطلق .. نفعل أى شىء ..
 غيرالبقاء حتى نموت جوعا ..
 وأردف عبد القادر متمتما :
 - وقد يساعدنا الحظ فنبلغ فى سيرنا منطقة الجذب ..
 وأكمل عبد الحبير :
 - فنهوى حظا ما .
 - من يدرى .. ربما نهبط على أرض لينة .. أو فى الماء .
 واستطرد عبد المهيمن يكمل حديثه :
 - أونعلق على فرع شجرة .
 وهز عبد اللطيف رأسه وتمتم قائلا :
 - مصير لا بأس به .. يهوى الإنسان من الأرض على القمر .. ليعلق
 كالغراب على فرع شجرة .. هذا هو آخر المطاف ؟
 وهز عبد الحبير رأسه مستنكرا :
 - لا .. لا .. أنا شخصا .. لن أغادر السفينة .
 وقال عبد الراضى مؤكدا :
 - ولا أنا .. لقد تهت مرة .. فى ميدان العتبة .. أمعقول أن أخرج
 لأخوض وحدى .. فى .. فى .. فى ماذا ؟ .. لأعرف حتى ماذا أسميه ..
 فى الأرض .. فى القمر .. فى الكون الواسع ..
 وعاد يهز رأسه قائلا فى حزم :
 - لا .. لا .. يفتح الله .. سأذهب وأتمدد على فراشى .. وأظل أبلىع فى
 الأنابيب حتى يحدث أمر الله .
 ووجه عبد المهيمن القول إلى عبد الحبير متسائلا :
 - ولكن .. أية فائدة تراها فى البقاء فى السفينة ؟
 - احتمالات العثور علينا أسهل .. لو أنهم فكروا فى إرسال شىء
 لنجدتنا .. ثم احتمالات إصلاح الصواريخ .. والهبوط أو النزول .. أو عمل

أى شىء .. ثم إننا فى السفينة .. أكثر أمانا وراحة .
وسأله عبد القادر :

- إلى متى ؟ .. إلى أن ينتهى طعامنا ؟

- إن لدينا منه مايكفى شهرا .

- ويعد الشهر ؟

- يحدث ما حدث .

- نقضى كالجرذان .. داخل السفينة .

- وإذا انطلقنا سنتساقط كالعصافير .. أو السمان .

- ولكننا قد نبلى الهدف .

- أى هدف ؟

- نصل إلى القمر .. ونحقق خطتنا .

- أما زلتم تفكرون .. فى الخطأ .. أهذا معقول .. بعد كل الذى نحن

فيه ؟

وقال عبد المهيمن :

- إذا كان الموت أمرا لا بد منه .. فلماذا نضيع سدى .. لماذا لانموت

فى سبيل تحقيق هدفنا ؟

وبدأت شهيرة فى البكاء قائلة :

- أحقا ستموت .. أهذه هى نهايتنا ؟

ومد عبد اللطيف يده يربت ظهرها فى رفق وقال مهدئا :

- اهدئى يا شهيرة .. مازال أماننا شهر .. ولا بد أن يحدث شىء فى

خلال هذا الشهر .. إن أباك يقول إنهم قد يعشرون علينا .. وقد تصلح

السفينة .

وقال عبد القادر :

- وقد نصل إلى القمر .. إذا دأبنا على السير .

ونظر عبد الراضى إلى عبد القادر نظرتة إلى مخلوق غريب وهمس

لعبد اللطيف :

— الباشمهندس .. بلع شيئا .. إنه مصر على المشى إلى القمر؟

وقال عبد المهيمن :

— على أية حال .. إن الفرصة مازالت واسعة أمامنا .. لكى نحاول
إصلاح الصواريخ .

وهز عد القادر رأسه قائلا :

— لافائدة ..

واستطرد عبد المهيمن يقول :

— أو ننتظر نجدة من الأرض ؟

— فإذا لم تصل !؟

— عندما تياس من كل المحاولات .. ولا يعود أمامنا سوى الموت فى
السفينة جوعا .. أظن البقاء يصبح نوعا من الانتحار ؟.

وتساءل عبد الحبير :

— وماذا يفيد الخروج ؟

— مجرد محاولة للنجاة ..

— محاولة يائسة مقضى عليها بالفشل .

— لو أن بها احتمالا للنجاة واحدا فى الألف .. فإن من الحماقة
ألا نحاولها .

وقال عبد القادر :

— من رأى أن نمكث حتى لايبقى أمامنا سوى فرصة أسبوع .. وبعد
هذا .. ننطلق .

وأيد عبد المهيمن رأيه قائلا :

— أجل .. نأخذ ماتبقى من الطعام .. ونرتدى حبل الفضاء ونترك
السفينة ، ونساق فى الفضاء .

وتساءلت شهيرة فى حيرة :

- ولكن أين نتجه ؟
- إلى القمر .
- أيمكن أن نصل ؟
- لو تجاوزنا منطقة اللاجاذبية .. فحتما سنصل .
وقتم عبد الخبير :
- أجل .. حتما سنصل .. ولكن على أية حال ؟
- أيا كان الحال الذى سنصل عليه .. فلا جدال أنه خير من الحال الذى
سنكون عليه إذا بقينا هنا ؟
وعادت شهيرة تتسائل مأخوذة مرتاعة :
- ولكن .. ولكن .. هل سنجد هناك شيئا .. أعنى شيئا يبقينا على
قيد الحياة .. لو أننا وصلنا ؟
ورد عبد المهيمن :
- نحن وقدردنا .. إنها مغامرة .. ولكن .. مهما كانت نتائجها .. فلن
يكون مصيرنا فيها .. أسوأ .. من مصيرنا هنا .
وقال عبد القادر محاولا أن يخفى ما به من قلق :
- المفروض أن هناك مظاهر للحياة .. وإن كان لا يبدو بها من هنا أية
علامات ..
وتنهذ عبد الخبير قائلا وقد بدا عليه الشroud :
- قد لا تظهر بالعين المجردة .
وقال عبد المهيمن :
- ولا بالتلسكوب .
ورد عبد الخبير فى ثقة :
- ولكن تبدو بشيء آخر ؟
- ماذا تعنى ؟
- بجهاز الرؤية الفضائى ..

- لم أستطع أن أرى به شيئا .. يحتاج إلى تعديل فى العدسات .
— واستعمال لشعاع خاص .. والاستعانة بالأجهزة الإلكترونية .
وهز عبد القادر رأسه متسائلا :
— هل استطعت أن تستعمله ؟
— أجل ..
وتساءل عبد المهيمن فى دهشة :
— ورأيت شيئا ؟
— بالطبع ..
— ماذا رأيت ؟
وقال عبد القادر :
— هل رأيت بشرا ؟
وهز عبد الحبير رأسه :
— لا .. لا .. ولكن رأيت مساحات خضراء هائلة .. مليئة بالنباتات .
وقال عبد اللطيف :
— ما دام هناك نباتات .. فلا بد أن هناك بشرا ؟
— لا أستطيع أن أميز شيئا .
وتساءل عبد الراضى :
— ولا حيوانا ؟
— لم أر أى كائن حى .
وقالت شهيرة :
— ربما كانوا فى البيوت ..
— لم يكن هناك بيوت ..
وتساءل عبد القادر :
— إذن من زرع النباتات ؟
— إنها مساحات هائلة من الأشجار .. لاأظن أحدا زرعها .

— لابد أن يكون هناك حيوانات تعيش فى الأدغال .. ولكنك
لاستطيع أن تميزها ؟.

— ربما .. المهم أنه لم يكن هناك أى أثر لكائن يتحرك .

وقال عبد المهيمن :

— على أية حال .. مادامت هناك نباتات .. فلا بد أن تكون هناك مياه
.. وإذا كانت هناك مياه .. فلا بد أن تكون حياة .. هذا شيء يبعث على
الأمل .

وأكمل عبد القادر حديثه قائلاً :

— وتجعلنا نقدم على المغامرة ..

ثم وجه الحديث إلى عبد الخبير متسائلاً :

— ألم يشجعك وجود الحياة ، على الإقدام على عملية النزول ؟

وتسأل عبد الخبير فى استنكار:

— كيف .. مشيا فى الهواء .. أهذا معقول .. إن المسافة بيننا وبين
منطقة الجذب .. لا يمكن قطعها فى أقل من بضعة شهور . لو أننا نتحرك
ليل نهار .. ثم إننا لاستطيع السيطرة .. على توجيه أجسادنا فى الفراغ ..
إنها مغامرة غير معقولة .

واندفعت شهيرة فى البكاء قائلة :

— إذن لافائدة .. لا فائدة .. لأمل فى النجاة .. لقد حكم علينا
بالموت .. ماذا سيفعل الأولاد بدونى .. آه يا أولادى .. آه يا محمود .. آه
يا راوية ..

وحاول أبوها طمأنئتها قائلاً :

— لاداعى لكل هذا يا شهيرة .. إننا لم نفقد الأمل بعد .. إننى سأبذل
جهدى لأجد وسيلة للاتصال بالأرض .. أجل .. لابد أن أفعل شيئاً .. إن
لدينا فى السفينة طاقات هائلة .. وإمكانات لاحت لها ..
ونظر عبد اللطيف إلى الدكتور عبد الخبير وقال له متوسلاً :

— أرجوك يادكتور.. افعل شيئا .. لا تتركنا هكذا .

وقال عبد الراضى :

— الله يعمر بيتك يادكتور .. الله لا يرقد لك جثة فى فضاء .

وقال عبد المهيمن فى لهجة ضيق :

— على أية حال .. أرجو أن تعودوا إلى حجراتكم .. وأن تهدوا ..
إن الوقت مازال آمنا طويلا .. ولا معنى لهذا الفزع .. إن لدينا من الطعام
ما يكفيننا شهرا.. وإذا اقتصدنا فيه فقد يكفيننا أسبوعا أكثر .. فأرجو أن
تعودوا إلى أماكنكم وتفتحونا فرصة العمل ..

وتساءل عبد اللطيف :

— ولكن ألا يمكننا أن نرى منظر الأرض الجديدة التى كنا نوشك أن

نهبط إليها ؟

— طبعاً سترونها .. ولكن أرجوكم الآن أن تتركوا قليلا .. تفضلوا .

واستدار عبد اللطيف تتبعه شهيرة ثم عبد الراضى وهى متمم قائلا :

— هذا مانابنا منك يا أستاذ .. نموت معلقين فى الفضاء .

والتفت إليه عبد اللطيف وقال ساخرا :

— وفرت على روحك المشوار.. وعلى أهلك الدفنة .. لقد طلعت بنفسك
إلى الله ببساطة ودون أية إجراءات أرضية مزعجة .. ماذا تريد أكثر من
هذا ؟

— أريد أن أريح جثتى .. فى الآخرة .. بعد طول رمح فى الدنيا .. بين

المكاتب والمطبعة . كنت أظن أن الموت سيرحمنى من الشحطة والمرمطة ..

ولكن يبدو أن الشقاء كتب علىّ فى الدنيا والآخرة ..

وقالت شهيرة فى جزع :

— لا تذكروا سيرة الموت .. إننا لن نموت .. سنعود إلى الأرض ..

وسنقص مغامرتنا على الناس .. سنكون أول من تاه فى الفضاء .. سيكتبون

عنا مانشيتات فى صحف العالم كله .. أول امرأة .. تنزه فى الفضاء .. ما

رأيك يا أستاذ عبد اللطيف ؟

— سبق عجيب .. والأعجب منه .. لوقمنا بالمغامرة إياها .. وخرجنا
نتمشى حتى القمر .. تصورى مانشيت « أول امرأة تذهب إلى القمر .. سيرا
على الأقدام » .. و ..

وقاطعه عبد الراضى قائلا :

— أى أقدام يا أستاذ .. إننا سنذهب على الأقدام والأرجل .. والرؤوس
.. سنعم فى الهواء كما نفعل الآن .. لوأنا نسير .. لهان الأمر .. إن قدما
أمام قدم .. تعنى .. خطوة للأمام .. حركة فيها بركة .. ولكن بالطريقة
التي نفعلها الآن .. ونحن نترنح .. ونتطوح .. نخطو خطوة لأمام واثنين
للخلف .. لن نعرف .. متى نصل .. وإلى أين نصل ؟.

— على أية حال .. سيصبح السبق أكبر .. سيقولون عنا .. أول من
يصعدون إلى القمر .. متطوحين .

ونظرت شهيرة إليهما وقالت :

— يبدو أنكما فائقين .. أهذا وقت مزاح !!

ورد عليها عبد الراضى قائلا :

— خليها على الله ياست شهيرة .. هو الذى أحضرنا .. وهو القادر
على إنزالنا .. سالمين .. مامن خطوة نخطوها إلا بإذنه .. يعلم ما بين أيدينا
.. وما خلفنا .

وانتهجت شهيرة إلى قمرتها قائلة :

— عن إذنكم ..

وقبل أن تعبر الباب همس عبد اللطيف لها قائلا :

— لاتحملى هما .. إنى معك دائما .. بقيت فى السفينة .. أو سرت إلى
القمر .. وسأحتفظ لك من طعامى .. ما يمنحك فرصة أطول للبقاء ..
والفتفت إليه شهيرة وعلت شفيتها ابتسامة رقيقة وأجابته :
— إن وجودك معى .. يمنحنى الراحة والثقة .. أعادنا الله سالمين ..

ودخل عبد اللطيف إلى قمرته .. واستلقى على فراشه .. وأغمض
 عينيه .. وأطلق زفرة طويلة .
 - هنا مآلك يا عبد اللطيف .
 نهاية لا بأس بها .
 معلق فى الهواء ..
 تائه فى الفضاء ..
 مع حبيبة القلب .. ومنية الروح .
 لاتعرف .. إذا كنت ستثوى معها فى السفينة .. أم ستهم معها فى
 الفضاء ؟

ستطرق وإياها دنيا جديدة .. أم ستخرج وإياها من الحياة كلها .
 عبد الراضى يؤمن .. أن خطواتك .. وخطواتها .. وخطوات الناس
 كلهم .. محسوبة بإذن الله .
 وهونفسه يؤمن بالله .. وبأنه مدبر لكل مافى الكون من حركات
 وسكنات ..
 بما فيها .. حركاته .. وسكناته .. هوشخصيا ؟
 ولكن لماذا ؟ ..

وأوشك ذهنه أن يخوض فى جدل القدرية والإرادة .. وما هو مفروض
 على الإنسان بالقدرية الحتمية وما هو حر فى فعله .. ومدى حريته فى
 تشكيل حياته وتقرير مصيره .. وحرية الإنسان فى الاختيار ومسئوليته عن
 كل مافى حياته عدا مجرد وجوده .. الشئ الوحيد الذى لم يترك له حرية
 الاختيار فيه .. إنه خلق .. أما بعد هذا .. فلإرادة حق الاختيار المطلق ..
 وهونفسه قد اختار أشياء كثيرة فى حياته .. وهو يعتبر نفس مسئولا
 عن نتيجة هذا الاختيار .. ولكن أشياء كثيرة فرضت عليه .. وغير وجودها
 نتيجة ما اختاره بحض إرادته .. وكان عليه أن يتحمل مسئولية النتيجة
 دون أن يكون له مسئولية الاختيار .

لقد اختار هو الصعود إلى السفينة .. لأنه يريد أن يكون مع شهيرة ..
وهو يقبل نتيجة هذا الاختيار.. ولكنه لم يختر عطل السفينة .. ومع ذلك
أضحى عليه أن يقبل نتيجة العطل .. الذى لم يكن هو مسئولا عنه .. وأن
يرضخ لهذه النتيجة التى بغير جدال ستلتف كل ما اختاره وهو صحبة شهيرة
بحيث تنهياها إلى فرقة مؤيدة ..

المهم .. أن عليه أن يقبل ما لم يختر.. ليقضى على ما اختار..
وأن يستسلم ..

حتى التفكير .. لم يعد منه فائدة ..
فليستسلم بلا تفكير ..

ليقبل فى رضاء .. فهذا أبعث على الراحة .
ولكنه لا يستطيع .. لأنه لا يملك إلا التفكير .
وفى القمرة الأخرى ..

كان عبد الراضى مستلقيا فى فراشه ..
خضع لما فرض عليه مستسلما .. بلا تفكير.
وغلبه النوم فى دقائق .. فعلا شخير .

وفى غرفة العمليات كان يجلس الثلاثة الكبار بعد أن ألقى كل منهم
نظرة فى جهاز الرؤية الفضائى ..

وهز عبد المهيمن رأسه فى أسف قائلا :
- خسارة .. أرض جميلة ..

ورد عبد القادر :

- ولكن لا يبدو بها كائن حى .. من يمكن أن نحكم .. وعلى من نفرض

السلطان ؟.

ويدا عبد الحبير شاردا ...

وقال عبد المهيمن :

- على أية حال .. لا داعى للأسف .. بعد أن أصبح هبوطنا مستحيلا
.. فلا أظننا نستطيع أن نمارس سلطاننا على الأرض من هنا ..
وقال عبد القادر متمما :
- كالألهة !!
ورد عبد الحبير وهو مازال فى شروده :
- من يدري ؟؟ !! .

١٤ - رعية من الشجر

بدت الدهشة على عبد المهيمن وهو يستمع إلى سؤال عبد الحبير ورد عليه متسائلا في استنكار :

- من يدري ماذا ؟

وأجاب عبد الحبير :

- من يدري إذا كنا نستطيع أن نمارس السلطان على الأرض من هنا ؟

- لست أفهم ماتقصد .

- أقصد أنه قد يكون لدينا من الممكنات ما نستطيع أن نمارس به بعض أنواع التوجيه والسيطرة . على ما يوجد من كائنات حية في هذه الأرض القريبة التي نعجز عن الوصول إليها .

والتفت الجميع إلى عبد الحبير مأخوذين ورد عبد المهيمن غير مصدق :

- من هنا نمارس السيطرة والتوجيه ؟

وهتف عبد القادر :

- أمعقول هذا ؟

وتساءلت شهيرة :

- ولكن لماذا ؟

وهز عبد اللطيف رأسه وقال ساخرا :

- لكي نمارس الألوهية .. ما دمنا قد عجزنا عن أن نكون بشرا في القمر .. فلنجرّب أن نكون آلهة عليه .. ورفع عبد الراضى كفيه إلى أعلى وقال في يأس :

- والله ما أنا فاهم حاجة ..

وعاد عبد المهيمن يسأل فى إلحاح :
- أتقول إننا نستطيع من هنا أن نحكم القمر؟
ورد عبد الحبير:
- لم أقصد هذا بالضبط .. لم أعن أن نحكمه ..
وقاطعه عبد القادر فى حماس :
- سيكون حكما ديمقراطيا نابعا من إرادة الشعب .
- لم أقصد أن نحكمه بمفهوم الحكم فى الأرض .. وإنما قصدت أننا
نستطيع أن نوجه الحياة فيه ..
وقال عبد المهيمن فى حيرة :
- لأنهم .
ورد عبد اللطيف فى نفس لهجته الساخرة :
- يعنى شغل آلهة ..
وأجاب عبد الحبير فى تردد :
- ليس بالضبط .. فنحن لانملك خلق الحياة فيه .. وإنما نستطيع أن
نوجهها .. ونطورها .
وقال عبد اللطيف :
- يعنى أنصاف آلهة .. شىء بين الحكام والآلهة ..
ورد عبد الحبير :
- لا أدري بالضبط ماذا سنكون .. ولكنها تجربة ..
وصمت عبد الحبير لحظة ثم استطرد يقول :
- على أية حال .. شىء نفعله .. فى وقفنا المعلقة فى الفضاء .. خير
من أن نرقد عاجزين .. حتى تأتى آخرتنا .
وقال عبد الراضى متسائلا فى غير اقتناع بشىء مما قيل :
- نفعل ماذا ؟
وهزت شهيرة رأسها فى حيرة وهى لا تستطيع أن تنصّر شيئا مما

يتحدثون عنه .

وقال عبد المهيمن وقد بدا عليه الشرود وكأنه يحاول أن يتخيل شيئا
مما يمكن أن يحدث .

- تجربة عجيبة لوصح ماتقول !

وعقب عبد القادر على قوله وهو ما زال مأخوذاً :

- إنها أخطر من أى شيء كنا نحلم به .

وهتفت شهيرة :

- ما هو هذا الشيء الذى يتحدثون عنه ؟

ونظرت إلى عبد اللطيف متسائلة :

- لا أستطيع أن أفهم شيئا .. هل تفهم أنت ؟

وأجاب عبد اللطيف وقد علت شفثيه ابتسامة استخفاف :

- يعنى !! أظننى أستطيع أن أخمن !!

وعادت شهيرة تحملى فيه .. منتظرة أن يكمل قوله .

وبعد لحظة صمت استطرد عبد اللطيف يقول شارحا :

- أظنهم يتحدثون عن محاولة السيطرة على أهل القمر .. من هنا .

وصاحت شهيرة :

- كيف ؟

- ياستى .. لاتدققى .. ليفعلوا أى شيء .. فلا أظن أن هناك ما

يضيرنا .. بعدما صرنا إليه .

وتتم عبد الرضى قائلا :

- على رأى المثل .. ضربوا الأعور على عينه . قال خسرانة خسرانة .

وهتفت شهيرة غير مقتنعة :

- ولكن أمعقول هذا ؟

ورد عبد اللطيف :

- وأى شيء حولنا معقول .. حتى يكون هذا معقولا ؟..

- أقصد هل يمكن أن يحدث ؟
- ولم لا .. إن شيئا مما لا يمكن أن يحدث .. قد حدث هنا بالفعل ..
- هل كنت تتصورين .. أن نتوه فى السماء ؟ ..
- وضرب عبد الراضى كفا بكف :
- ياناس .. نتوه فى السماء .. أهذا معقول ؟
- وجر عبد المهيمن عبد الخبير من يده واتجه به إلى غرفة العمليات وهو يتسائل :
- قل لى . ماذا دفعك إلى هذا الظن الذى تقوله ؟
- ليس ظنا .. إنه حقيقة .
- أحقيقة أننا نستطيع أن نسيطر من هنا على الحياة فى القمر ؟
- إلى حد ما .
- كيف ؟
- نستطيع أن نوجه إرادتها .. وأن نفعل بها أشياء كثيرة .
- أنستطيع أن ننهئها مثلا ؟
- هذا أسهل شيء .. إنها عملية تدمير .. مما نمارسه على الأرض ببساطة .
- وهل نستطيع أن نعيدها ؟
- وهز عبد الخبير رأسه وقال ببساطة :
- لا ..
- نبدأها من جديد ؟
- أيضا لا .
- إذن ماذا نستطيع أن نفعل ؟
- قلت لك نوجهها .. نسيطر على إرادتها وحركتها .
- وقال عبد القادر وهوينصت إلى المناقشة :
- هذا يكفى .. يكفى جدا .

وتساءل عبد الخبير :

- يكفى لماذا ؟

- لكى نمارس تجربة الحكم والسيطرة ..

وقال عبد الخبير :

- إنها ستكون مهمة أعقد من ذلك .. ليست مجرد حكم وسيطرة .

ورد عبد المهيمن :

- ستكون شيئا خطيرا .

وقال عبد القادر :

- ومثيرا .

واقترع عبد اللطيف وهو يتساءل فى دهشة :

- ولكن ما الذى يدفعنا إلى هذا . لماذا نحشر أنفسنا فى مصير كوكب

بأكمله ؟

وقال عبد المهيمن :

- ولماذا لانفعل .. إذا كنا نستطيع .. إنها تجربة رائعة .

- إنها مسئولية خطيرة .

- ولم لاجريها ؟

وقال عبد اللطيف :

- لأستطيع أن أتصور كيف يمكن أن تكون .. خيالى يعجز عن

تصورها ؟

ثم التفت إلى عبد الخبير متسائلا :

- وكيف يمكن أن تكون الحياة هناك .. من يعيش بها .. وكيف ؟ أى

أنواع الأحياء .. بشر أم حيوانات ؟

وقبل أن يجيب عبد الخبير قال عبد المهيمن :

- دعنا نلتقى نظرة ..

وأكد عبد القادر قوله وهو يتجه إلى غرفة العمليات :

- أجل .. يجب أن نرى أولا .. ميدان التجربة .
وقال عبد اللطيف وهويهز رأسه فى سخريّة :
- لنرى الرعايا .. أى نوع من العبيد هم ؟
ورد عبد الحبيب باسم :
- لا أعتقد أنهم عبيد .
- حتى الآن .
ووقف الجميع أمام جهاز معقد .. أبرز مافيه لوحة بلورية مستديرة
معتمة . تكاد تشبه شاشة التلفزيون ..
وقال عبد القادر :
- إنى لم أبصر بها سوى مسطح يلفه الضباب .. ثم خطوط متقاطعة
.. مهتزة .
ورد عبد الحبيب وهو يحرك مسمارا صغيرا .. ثم ينزع شيئا صغيرا فى
حجم رأس الدبوس :
- هذا الحجر يجعل حساسيته عجيبة ..
وضغط عبد الحبيب أحد الأزرار ثم وضع الحجر الصغير فى إحدى
الفتحات ..
ويدت فى اللوحة بعض نقط لامعة .. أخذت تكبر شيئا فشيئا ثم
ظهرت خطوط معوجة متشابكة .
ومضت فترة كاد الملل يصيبهم .
ومد عبد الراضى عنقه وهو يحركه فلم ير شيئا ثم هز رأسه قائلا فى
دهشة .
- لا أرى شيئا فى هذا التلفزيون البايظ .. إن التلفزيون فى قهوة
عتريس ...
وزغده عبد اللطيف :
- عتريس إيه يا عبد الراضى .. هذا ليس تلفزيون .

ورد عبد الراضى فى أسف :

- ياليتـه كان تـلفزيون .. كـنا تـسلينا من الهم .

وفجأ بدأت الخطوط تختفى ثم ظهرت ظلال .. أخذت تتجسد رويدا رويدا .

وبعد لحظة بدا .. منظر عجيب ..

بدا فى دقة وعمق .. وتجسد كأنه الحقيقة .

لم يكن مجرد صورة .. وإنما منظرًا .. حيا .. مجسدا .. رائعا .. يبدو كل ما به فى دقة ووضوح .. يكاد المرء .. أن يعيش داخله .. ويلمس كل مافيه ..

ولقد بدا عالم عجيب من الأشجار .. بعضها فارغ الطول .. والآخر قصير غليظ الجذع .. بعضها .. تبدو أوراقه رقيقة والأخرى شائكة .. بعضها زاحف .. والآخر متسلق .. وبدت الزهور بكل ألوانها تكسو قمم البعض .. والبعض الآخر تتهدل ثماره ..

وسمع صوت حفيف الأوراق .. فى مهب النسيم ..

وأخذ الجميع يحملقون فى المنظر الأخاذ .

وهتف عبد اللطيف فى إعجاب :

- شىء .. كأنه الجنة .

وأخذ عبد المهيمن يحملق فى المنظر ثم ردد فى شرود :

- لست أرى شيئا يتحرك .

فقال عبد القادر :

- ولا أسمع صوتا .. سوى حفيف الأوراق .

ورد عبد الحبير :

- حتى المصافير .. لا يسمع لها صوت .

وكانت شهيرة .. مازال بصرها مشدودا إلى المنظر وقالت تتمتم فى

ذهول :

- هذا ليس شجرا .
وتساءل عبد المهيمن :
- ماذا تعنين ؟
- إنه شيء أكثر من الشجر .
وقال عبد اللطيف :
- أنا أيضا أحس بهذا .
قال عبد المهيمن :
- عجيبة !
وعادت شهيرة تقول :
- أحس كأن في كل شجرة .. إنسانا .. مخلوقا يتنفس .. ويكاد يكون
له عينان وأذنان .. وقلب يخفق .
وهز عبد الحبير رأسه :
- أنت على حق ..
وتساءل عبد المهيمن :
- ماذا تعنى ؟
- أعنى أنى أحس بها شيئا أكثر من الأشجار .
وردد عبد اللطيف :
- بشر .. نباتى .. كأنه عالم مسحور .. تحول كل ما فيه من كائنات
إلى أشجار .
وتساءل عبد القادر :
- أمعقول هذا ؟
وقال عبد الحبير :
- ألم تتحول الأشجار فى الأرض إلى حجر .. ألا تسمع عن النباتات
المتحجرة ؟
- أجل .

- قد يكون حدث هنا شيء مماثل .
وهتف عبد اللطيف صائحا :
- أجل .. كائنات متشجرة .
وهز عبد الراضى رأسه وقتم قائلا :
- عليه العوض .. جن الأستاذ مثلهم . إنى لا أرى شيئا أكثر مما أرى
فى أم الشعور على النيل .. أو فى جناين القناطر ..
وقال عبد الحبير مؤكدا :
- لا يمكن أن تكون هذه مجرد .. أشجار .. إنها كائنات حية لها كل
سمات البشر ..
وقالت شهيرة وهى تحديق فى المنظر :
- هذه الشجرة الرقيقة التى تتمايل .. إنها أشبه بالمانيكان الجميلة ..
إنها تكاد تبتسم .
وقال عبد اللطيف :
- وهذه الشجرة الغليظة الجذع الجرداء .. إنها أشبه ببلطجية السينما .
وقال عبد القادر :
- وهذه الصبارة تبدو أوراقها كحد السيف .. إنها تبدو كالمقاتل .
وحملق عبد الراضى فى الأشجار المتواصلة أمامه ثم هتف :
- وهذه الشجرة التى تزحف .. إنها كالخنس .
وقال عبد المهيمن وهوىسمع تعليقاتهم :
- وبعدين .. ماذا يمكن أن يعنى كل هذا ؟
وقال عبد الحبير :
- إنه عالم من النبات .
ورد عبد اللطيف ضاحكا :
- رعبتنا .. أصبحت من الشجر .. جاء نقبنا على شونة .
وردد عبد القادر قوله فى ضيق :

- أجل .. ماذا يمكن أن نصنع بشعب من الأشجار؟

وقال عبد الحبير :

- ولكنه ليس مجرد أشجار.. إنه كائنات حية .

ورد عبد المهيمن فى حدة :

- وماذا نفعل به .. إنه شعب بلا مشاكل .. يضرب جذوره فى الأرض

.. ليتناول طعامه بغير عناء ويمد فروعہ فى الهواء ليلتقط شهيته .. بلا

مشقة . غذاؤه فى الأرض المتبسطة يتوافر لكل طالب . وأنفاسه من الهواء

الفسيح لا تحدھا حوائل .. شعب بغير أطماع .. فى عالم ليس به ما يثير

الخلاقات والأحقاد .

وقال عبد القادر متمتما :

- ماذا تفعل فيه الحكام أو الآلهة ؟

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

- أجل شعب بلا مطالب ولا مطامع .. ولا ذنوب .. حتى الجنس عنده -

مشكلة المشاكل - وأس الذنوب .. لا تسبب أية مشكلة .. إنه شيء لا وجود

له ولا حاجة إليه .. يحمل النسيم حبوب اللقاح من الذكر إلى الأنثى ..

فتتلقاها .. بلا حياء .. ولا عيب لتخصب .. وتنجب .. وتلقى بذورها فى

الأرض .. لتمتلئ ذرية .

وقال عبد الراضى شاركا فى الحديث :

- ذرية بلا متاعب .. ولا كسوة .. ولا طعام .. ولا مدارس .. ولا أية

مشاكل ..

وقال عبد القادر فى جزع :

- مصيبة ! ..

وردد عبد المهيمن فى يأس :

- ليس هناك مجال .. لسلطان عليه .. لن تكون هناك قيمة .. لقدرتنا

على توجيه الإرادة فيه .. لأنه عالم بلا إرادة .. عالم تلقائى . كل ما فيه

يسير بحتمية تلقائية .. لامجال للتدخل فيها .
وأطلق عبد الحبير تنهيدة وقال :
- على أية حال .. إذا لم يعجبكم ...
ورد عبد اللطيف متسائلا فى سخرية :
- إذا لم يعجبنا .. ماذا سنفعل .. نبحت عن رعية أخرى فى كوكب
آخر ..

وقال عبد الحبير :
- لاأظن هذا بمستطاع .. بعد أن خلقنا فى موقفنا هذا .
وتساءل عبد المهيم فى ضيق :
- إذن ماذا سنفعل إذا لم يعجبنا ؟
- نحاول تغييره
وهتف عبد القادر :
- نغيره .. من أين ؟
وقهقه عبد اللطيف قائلا :
- اختراع جديد فى دنيا الحكم والسلطان .. فى الأرض .. كان
الشعب يغيرالحاكم عندما لايعجبه .. ونحن هنا .. سنغيرالشعب لأنه لم
يعجبنا ..

وعاد عبد القادر يتساءل فى إلحاح :
- نغيره .. من أين ؟
وقال عبد الراضى ببساطة :
- من بيع الشعوب ..
ونظرت شهيرة إلى عبد اللطيف وتمتعت فى شيء من الجزع :
- ما هذا التخريف .. إننا نتحدث كالمجانين .. هل تظن الصدمة قد
فعلت بعقلنا شيئا ؟
وأجاب عبد اللطيف مؤكدا :

— لو أنها فعلت بعقلنا شيئا .. لغيرته إلى أفضل .. لأننا منذ أن
انطلقنا إلى الفضاء .. ونحن لم نفعل شيئا يدل على العقل .. وكل ما نفعله
الآن إنما هو استطراد طبيعي لما بدأنا .

ثم نظر إلى عبد الخبير وقال مؤمنا على حديثه باقتناع كامل :
— إذن فقد قررنا أن نغير رعيتنا النباتية السخيفة .. وعزمنا على أن
نبدل شعب الشجر الأحرق الغبي .. الذى يعيش بلا احتياجات ولا خلاقات
ولامشاكل .. ولأحقاد .. تمنحنا فرصة السيادة عليه .. والتحكم فى شئونه
.. وفض مشاكله .. وسد حاجاته .

وقال عبد الخبير وهو يشير إلى عبد المهيمن وعبد القادر وكأنه يدرأ
التهمة عن نفسه :

— هم الذين يريدون ذلك .

— وأنت قادر عليه ؟

— سأحاول .

— تحاول تغيير شعب بأكمله ..

وضرب عبد الراضى كفا بكف قائلا فى دهشة :

— والله ولا الحواة ..

وعاد عبد المهيمن يتساءل فى إلحاح :

— من أين ستغيره ؟

وهز عبد الخبير رأسه مستنكرا :

— من أين أغیره .. هل تظنون هناك مصرف لتغيير الشعوب ..

وقالت شهيرة فى دهشة :

— ألم تقل أنت نفسك أنك ستغيره .

— أجل .. قلت .. ولكنى عنيت بتغييره .. أنى سأحاول أن أغیره

طبيعته .. ولم أقصد أن أستبدل به شعبا آخر .

وتساءل عبد اللطيف :

- ستغير طبيعته ..
- سأحاول ..
- كيف ؟
- إلى عالم بشرى .
- هل تستطيع أن تمنحه الحياة ؟
- الحياة كامنة فيه .. إنه عالم حى .. ولا يحتاج لكى يصبح عاملا بشريا إلا أن يمنح صفات البشر.
- وهزت شهيرة رأسها فى دهشة :
- كل صفات البشر .. تمنحها لهذه الأشجار ؟
- وتتم عبد المهيمن فى حيرة :
- كل هذا الشجر .. يمنح صفات البشر ؟
- يبدو لى أن خلق عالم من البشر . أسهل كثيرا .
- وهمس عبد الراضى :
- أجل .. مجرد نومة .. يعقبها .. حمل .. وولادة .. وقلأ الذرية الأرض .. ويخلق عالم من البشر.
- وقال عبد اللطيف موجهها القول إلى عبد الخبير محاولا الاستفسار :
- أتنوى أن تضع كل صفات البشر فى كل شجرة ؟
- ورد عبد الخبير فى تؤدة :
- صفات البشر الأساسية .. سنبعثها فى عالم الشجر .
- وتساءل عبد المهيمن :
- صفات البشر الأساسية ؟
- أجل ..
- مثل ؟
- شهوة الطعام .. من أجل البقاء ..
- ثم ماذا ؟

- شهوة الجنس .. من أجل التكاثر .

ورد عبد الراضى فى اقتناع :

- معقول ..

وارتفعت الأصوات من حول عبد الخبير متسائلة :

- ثم ماذا ؟

- شهوة الطموح والتميز .. من أجل التطور والتقدم .

- ثم ماذا ؟

- فقط .. هذه هى المميزات الأساسية الثلاث للبشر.. لوأنا أشعناها
فى هذا العالم الشجرى .. لدبت فيه الحركة وقام الصراع .. وبدأت المشاكل
والخلافات .. ولأصبح لكم مكان بينهم .. أو على رأسهم .. تتسلون
بغباوتهم وقارسون توجيهم .

وبدا الانتسراح عل وجه عبد المهيمن وهتف به :

- أيمكن أن يحدث هذا ؟

وقال عبد اللطيف وهو يهز رأسه مستسلما :

- ويتحول هذا الشجر الضارب بجذوره فى الأرض يأكل ويتنفس فى غير
مبالاة .. إلى بشر يتطاحنون ويتصارعون من أجل لهفة القمة .. ورغبة
الجنس .. ومتعة البروز من القطيع .. وتبدأ المشاكل والمتاعب والمصائب .

وبدت النشوة فى وجه عبد القادر وقتم :

- ويصبح للحكم معنى وللسلطان طعم .

وبدت المسألة تتعقد فى ذهن عبد الراضى :

هذا الحديث عن تغيير الشعب .. كأنه جلاباب ثم منح الشجر مزايا
البشر ..

استطعام الأكل .. واستمتاع الجنس .. وشئ آخر لا يهمل كثيرا
ولا يجد فيه أية مزية .

وبعد ذلك يتصارعون .. ويتطاحنون .

ويصبح للحكم معنى وللسلطان طعم .
 أيتحدثون حقا ؟
 أتد أن الأوان .. لكى تصبح ياعبد الراضى من هيئة الحكام .. وأبوك
 لم يحلم مرة بأن يكون عمدة .. أو حتى شيخ خفر .
 حقيقة أنك أضحيت عضو مجلس إدارة .. ذات مرة .
 وقد يعتبرفى عرف البعض .. هيئة من الهيئات الحاكمة .
 حاكمة .. ولو على مجلة الزمان .
 ولكنه كان حكم الندامة .
 وصدق عليه قول القائل .. الحكم بهدلة .. كالعز بهدلة .. بهدلة داخل
 المجلس .. وبهدلة أكثر خارجه ..
 ولكن الحكم الآن يبدو شيئا أكبر .. وأخطر .
 - تحكم على شعب بحاله ..
 قد يكون الآن .. شعبا من الشجر ..
 وقد لايزيد حاكمه على مجرد جناينى ..
 ولكنهم يتحدثون عن تغييره .. وتحويله إلى شعب من البشر ..
 أوالفجر .. يتضاربون .. ويتعاركون .. يلعن كل منهم سنسفيل أجداد
 الآخر .. فى سباقهم من أجل اللقمة .. والمرأة .. ولكى يصبح كل منهم ..
 فنطا على الآخر .
 ويحتاج الأمر .. إلى بوليس ومحكمة .. وحكومة .. وحكم ..
 وسلطان ..
 وكما فهم أن الجماعة بما فيهم هو .. سيمارسون كل هذا .. من فوق
 .. من السما .. دون أن يتنازلوا .. بالنزول .. إلى الرعية ..
 والمفهوم أن سبب بقائهم فى السماء هو عجزهم عن النزول إلى الأرض ..
 ولكن الرعية .. لن تفهم هذا .
 بل ستأخذه . كمظهر للأثرية .

ملك ياعبد الراضى .. ينظمه أنت وزملاؤك .
لم يطف بخاطر واحد من أهلك منذ أن هبط جدك الأكبر الشيخ عبد
الراضى .. إلى هذه الأرض .
ولكنه حصل الآن .. لحفيده الصغير الغلبان .. عبد الراضى العتال .
سبحان المعطى ..
أعطى بلا حساب ..
وجعلك فوق .. فوق .. ياعبد الراضى .
ومن أسفلك الرعية .. تحت .. تحت .
ونظر عبد الراضى .. إلى الجماعة وقال وهو يهز رأسه فى ثقة :
- ومتى سنحكم ؟ ..
وضحك عبد اللطيف ورد قائلا :
- صبرك ياعبد الراضى .. لابد أن يتحول شعب الشجر إلى شعب الفجر
.. ويتعاركون .. ويتصارعون .
ونظر عبد الراضى إلى عبد الحبير قائلا :
- طب ما تشهلونا شوية .. قبل ما ينتهى الشهر .
وهز عبد اللطيف رأسه وأردف ساخرا :
- وقبل أن تموت الآلهة جوعا ..

١٥ - عسكرى مرور

بدأ عبد الحبير عملياته الخطيرة .. فى استخدام العقل الإلكتروني والإشعاعات الكونية فى تحويل عالم الشجر إلى عالم بشرى .
ومضت فترة ترقب وانتظار انتابت فيها جماعة السفينة شتى المشاعر والانفعالات .. بعضهم استلقى فى استرخاء ولامبالاة .. والبعض شدت أعصابه فى قلق وتوتر..

لم يأبه البعض فى أن يقضى خاقه حياته .. متسكما فى الفضاء .. أو حاكما يسيطر على مقادير كوكب بأكمله .

ترقب عبد الراضى التجربة .. كما يترقب لعبة لأحد الحواة .. يشارك فيها مشاركة واحد من الجمهور صعد إلى المسرح ليكون مع الحاوى طرفا فى اللعبة .. فهو يساهم فيها متفرجا.. يشارك فى لعبة لا يدري شيئا عن أسلوبها .. أو نتائجها .

واستلقى عبد اللطيف فى غيراكثرث ينتظر ماتسفر عنه المغامرة .
غير المعقولة .. بإحساس المستسلم الذى لا يملك إلا أن يقبل ما ليس منه بد، دون أن يستطيع أن يحدد لنفسه موقفا بالتأييد أو الرفض .. والرضا أو السخط .

إن مصيره قد تقرر فى هذا القضاء الفسيح .. وسواء نجحت التجربة أم لم تنتج .. وسواء ظل عبدا أو حاكما أو نصف إله .. فمصيره قد تحدد ولم يعد يرجو من الحياة سوى مايرجوه ضال فقد كل سبل الحياة .

ومع ذلك فهو حائر بين طرافة التجربة .. وبين الخوف مما يمكن أن ينتج عنها .. من إثارة فتنة فى عالم ساكن هادىء .. ينعم بالاستقرار والسلام

ليتحول إلى عالم متلاطم بالصراع والأحقاد والخلافات .
 وبت شهيرة قلقه حائرة .. تضطرب في نفسها الأحاسيس وتتقاذفها
 المشاعر والانفعالات .
 أحقا حلت النهاية .. ويات عليهم أن يظلوا قابعين .. يلعقون مافي
 الأنابيب حتى يلاقوا حتفهم ؟
 أتبقي حبيسة السفينة .. مقضيا عليها بالموت .. أم تخرج هائمة ..
 مع بقية المغامرين .. يهيمنون في الفراغ حتى تجذبهم الأرض الجديدة ..
 فيوهوا عليها .. حطاما .
 وهذه التجربة التي يحاولون ممارستها .. تجربة السيطرة على الكوكب
 من السفينة .. وتحويل أهله من شجر إلى بشر .. والعصف بكل مايسوده من
 سكينه وسلام .
 إنها تجربة غير معقولة ..
 لو أنها نجحت .. لأصبحت مادة للنشر لم تتوفر لأي بشر . هل استطاع
 بشر أن يحكم كوكبا ؟
 يحكمه .. من عل .. وكأنه إله .. يسيطر على أمره ويتحكم في
 مصيره ؟
 ولكن مافائدة كل هذا .. إذا لم تتح لها فرصة النزول إلى الأرض .
 ما قيمة أى شيء حتى الألوهية .. إذا كان قد حكم على الآلهة بالموت
 بعد ثلاثين يوما .
 وماذا يمكن أن يفعلوا خلال هذه الفترة التي لاتزيد على إجازة صيف .
 ماجدوى .. أمل .. يقبع الموت ببابه .. ينشر ظلاله على إشراقته ..
 يطوى شعاعه .. ويعتم طريقه .
 كل مايمكن أن تحصل عليه .. سترده بعد أيام ..
 ستفقد .. كأن لم يكن ..
 حتى الذكرى .. والشهرة .. والمجد والاستشهاد والخلود .. وكل

ما يعزى عن الموت فى الأرض .. أويغرى به .. لن يكون لها من نصيب ..
فستضيع فى الفراغ .. ستبتد هباء .. دون أن يحس أحد بما فعلت
.. أو يذكر ما حققت .

ولكن أى شىء سيتحقق ؟

السلطان على أهل الكوكب ١١٢

وأى متعة فى هذا .. إذا كان أحد منهم لن يراها .. أو يعجب بها
.. أو يمنحها الشناء والتقدير .

ولكنهم سيمنحونها التقدير والحمد ..

من حقها كإلهة .. أن تطالب الرعية به ..

وهبهم منحوها إياه ..

أية لذة فيه .. وهى تتلقاه على بعد .. دون أن تشبه به .. وتزهر
وتتخايل ..

وهل من حقها التخايل والزهر ؟

المفروض أن الآلهة .. فوق هذه المشاعر البشرية .

ولكن أية قيمة لكل ما تفعل إذا لم يكن من حقها الزهر به .

لاتبدو التجربة ممتعة .. على كل ما فيها من إثارة .. وروعة . ومع
ذلك فليس أمامها إلا أن تخوضها .

وإذا كان على المرء أن يختار أن يكون إلها لبعض الوقت .. أو ضحية
تنتظر الموت فى استسلام .

فمن الحق .. أن يرفض الألهية ..

وبين غرفة العمليات والمراقبة كان النصف العامل من طاقم السفينة
منهمكا فى محاولة التغيير .. من أجل تطوير عالم الشجر إلى عالم بشرى ..

لكى تصبح عملية السلطان والسيطرة والتوجيه .. شيئا له قيمة .

وكانت الأعصاب متوترة .. والأبصار مشدودة إلى لوحة المراقبة .
والأصابع تتبادل الضغط على الأزرار .

وفى الأذهان كانت تدور الأفكار القلقة .. والخواطر الحائرة . تتقلب
فى الروس برهة .. ثم تتطلق بين الثلاثة فى كلمات متسائلة وردود مقتضبة
.. أقرب إلى الاستفسار منها إلى الإجابة .

تسأل عبد المهيمن وعيناه تحدقان فى الأشجار المتكاثفة .. تهتز
أوراقها .. وتتمايل أغصانها .. ويسمع منها حفيف ووشوشة ..
- يبدو كأن أغصانا أخذت .. تتحرك ..
وأردف عبد القادر :
- وتهامس ..

وقال عبد الحبير وهو يرقب المنظر المجسد .. وقد بدا من فرط ما به من
تفاصيل ودقائق كأنه شىء ملموس محسوس .
- ليس بعد .. إنها حركة النسيم يتخلل الأوراق .

وثبت عبد القادر بصره على شجرة تهدلت غصونها حتى بدت كالشعر
المسترسل .. وأحس بين الغصون المتهدلة كأن وجهها رقيقا يرقبه وهتف
مأخوذاً :

- إنها تحدق فى .. عندما ينزاح الشعر عن جبينها .. ويبدو وجهها
أخاذاً ..
وقال عبد المهيمن :

- إنها نسميها فى الأرض دموع الست .. إنها توجد على شاطئ النيل
وعلى حافة الترع .. وتتساقط فروعها فى الماء .
وعاد عبد القادر يهتف فى دهشة :
- وهذه الشجرة الطويلة الرفيعة .. إنها تكاد تقف وقفة المانيكان ..
إنها قطعاً تتحرك .

ورد عبد الحبير وهو منهمك فى فحص أحد المؤشرات :
- كفى خيالات .. إن الكوكب مازال كما هو .. لم يتغير به شىء ..
وتسأل عبد المهيمن فى يأس :

- وهل تتوقع أن يتغير فيه شىء ؟

- أعتقد هذا ..

- كيف ؟

- عندما تصل إليه أولى صفات البشرية .

- تقصد شهوة الطعام ؟

- أجل لن تثيق المخلوقات فى انتظاره .. بل ستتحرك إليه .. تبحث

عنه وتتصارع من أجله .. ستنزعه من بطن الأرض .. وجوف الماء ..

وتلتقطه من الهواء .. لن تكون عملية البقاء .. مجرد قبول .. ورضاء .. بل

ستتحول إلى رغبة وفرض .. ستفرض بقاء الحياة .. لهفة الكائنات إلى

الطعام .. ولو لم توجد هذه اللهفة .. لأصبح البقاء .. مجرد فرصة . تأتى

أو لاتأتى .. يبقى الكائن أو لايبقى .. هذا ليس من شأنه .. ليس بداخله

مايدفعه .. إلى انتزاع وسيلة البقاء .. وإلى فرض فرصته .. حتى على

حساب الغير .. بحيث يبدأ تنازع البقاء والتصارع من أجله .

وأخذ عبد المهيمن يحدث فى اللوحة العجيبة ويحاول أن يلتقط همسة

بشرية .. من العالم الهادئ المستسلم الذى تتمايل أغصانه فى استسلام ..

وتتهامس بالوشوشة .. والحفيف .

وفجأة .. سمعت فرقة .. غطت على صوت الحفيف والوشوشة .

وصاح عبد الخبير وهو يحدث فى اللوحة :

- أسمعون ..

وهمس عبد المهيمن وعبد القادر :

- ماذا ؟

- أصوات جذور تنخل .. لقد بدأ التحول .

وصاح عبد القادر :

- أجل.. أجل .. إنهم يتحركون .. أخرجت الأشجار جذورها من باطن

الأرض .. وحركت فروعها .. وتدافعت ..

وقال عبد المهيم :
- إنها تتصادم ..
وأقبل عبد اللطيف وشهيرة وراعهما عبد الراضى .. على صوت
الصياح والضجيج .
وهتفت شهيرة متسائلة :
- ماذا حدث ؟
وقال عبد المهيم :
- تحرك الشجر ..
وقال عبد اللطيف :
- غير معقول .
ورد عبد القادر :
- تعال وانظر .
ونظر عبد اللطيف إلى الشاشة الصغيرة .. وهتف جزعا :
- يلساثر ..
وقالت شهيرة وهى تنظر إلى المنظر مرتاعة :
- ماذا حدث .. لماذا يتصادمون هكذا .. إن البعض يطوى البعض ..
ويلطمه .. ويدهسه .. لماذا يفعلون هكذا ؟
وقال عبد الخبير :
- إنها بداية الحركة .. من أجل البحث عن الطعام .
- تحولت الجذور إلى سيقان .
- والفصوص إلى أذرع ..
- والجذوع إلى أجساد ..
- والأوراق إلى شعور .
- بدت معالم الوجوه فى قمة الجذوع .
وقال عبد القادر :

.. إنهم يتطاحنون ..

ورد عبد المهيمن :

.. أجل .. يجب أن نفعل شيئا .. قبل أن يدمر بعضهم البعض .

وأردف عبد القادر فى جزع :

.. ولا يبقى لنا منهم شيء نحميه .

ونظر عبد اللطيف إلى حركة الشجر المتطاحنة وكأن إعصارا مخيفاً قد
اقتلع كل شيء من موضعه .. وبدا الكون بحرا متلاطما عصفت الريح بكل
ما به .. ولم يعد يبدو هناك سوى ضربات ولطمات .. وتتم فى أسى :
.. لماذا فعلنا كل هذا .. لماذا لم نترك الكوكب يتمتع بالدعة والأمن
والسلامة ؟.

وهز عبد الراضى رأسه متسانلا وهوينظر إلى الشجر المتلاطم :

.. ماذا حدث .. مالنا ولكل هذا ؟

وعاد عبد المهيمن يقول فى إلحاح :

.. يجب أن نفعل شيئا .. يجب أن نبدأ عملنا فوراً .

وقال عبد الخبير فى هدوء :

.. لن نستطيع أن نفعل الآن شيئا ..

وتساءل عبد القادر :

.. ومتى سنفعل ؟

وهز عبد الراضى رأسه وقال ساخرا :

.. بعد خراب مالطة .

وقال عبد الخبير فى هدوء :

.. لن تخرّب مالطة ..

.. بعد كل هذا ؟

.. لن يلبث الهدوء أن يسود .. سيستقر كل شيء فى موضعه .. بعد

أن يحصل كل على ماتمنحه قدرته ..

- وإذا دمر كل شيء .. إذا لم يبق على ظهر الكوكب مخلوق ؟
- بل سيبقى الأقوى .. والأقدر على انتزاع وسيلة الحياة ..
- وماذا ستفعل بعد هذا ؟
- نبدأ تنظيم الكون .
وقال عبد اللطيف :
- إذن فلنجلس حتى نتشاور .. ونتدارس .. ونخطط .. ونوزع العمل .
ونظر عبد القادر إلى عبد المهيم ثم قال :
- إن الكابتن سيدرس الأمر . ويعطى كلا منا واجبه .. الذي يتحتم عليه أداؤه .. فى إدارة الكوكب ..
وقال عبد المهيم معترضا :
- بل الأفضل .. أن نجلس .. ونتشاور .. ويدلى كل منا برأيه .
وقال عبد اللطيف ضاحكا :
- ويعد أن يدلى كل منا برأيه .. نختار رأى الكابتن .
ورد عبد المهيم فى رفق :
- بل نختار الأفضل ..
وقال عبد القادر :
- هيا بنا .
وتردد عبد المهيم برهة وهو ينظر إلى الكون المتلاطم من خلال الشاشة الصغيرة وقال فى قلق :
- ونتركهم هكذا ؟
ورد عبد الحبيب مؤكدا :
- لا تخش شيئا .. كل شيء سيستقر .. فى الوضع الذى لامناص منه ..
والذى يفرضه .. صراع القوى البدائية .. ونزاع القدرات من أجل البقاء ..
مجرد البقاء .
واستقر الجماعة حول المنضدة .

وقال عبد المهيمن :

- بدأت مسئوليتنا عن الكوكب .. ولا بد أن نتحملها من الآن كاملة .

وتسأل عبد اللطيف :

- مسئوليتنا عن أى شىء فيه ؟

- عن الحياة .. وعن البشر.

- إلى متى ؟

ورد عبد الراضى ببساطة :

- إلى أن نموت ..

- أجل .

- شهر !! ماذا تعنى مدة شهر فى حياة البشرية .. إنها غمضة

عين ..

وقال عبد الراضى :

- بين قبضة شهر .. وقبضة شهر آخر.. يعنى فكرة كعب .. لا يستطيع

المرء حتى أن يسدد ديونه .

- ولا أن يتجنب .

- لن نعرف حتى إذا كان التكاثر قد بدأ .. ونظمثن على استمرار

الوجود .

- سترك الإناث حاملات فى شهر .

وردت شهيرة :

- بل لن نعرف حتى .. إذا كن حاملات .. وإذا كان الجيل التالى ..

قد وجد فعلا .

وقال عبد الحبير فى ثقة :

- بل سيكون الشهر كافيا لأشياء كثيرة :

وتساءلت شهيرة :

- كيف ؟

- هناك اختلاف كبير فى حساب الزمن بين الأرض والكواكب .
- وهز عبد اللطيف رأسه متسائلا :
- يعنى ماذا تفرق عن الأرض ؟ .. بضع ساعات ؟ .
- وقال عبد الحبير :
- بل قل بضعه قرون .
- غير معقول .
- إن الحساب التقريبى لنسب الزمن يكاد يحدد بساعة فى الأرض لكل سنة فى الكوكب .
- ساعة لكل سنة ؟
- أجل .
- تعنى أن مدة الحمل عندهم ساعة إلهيا ؟
- تقريبا .
- وهز عبد الراضى رأسه وهمس لعبد اللطيف :
- سامع يا أستاذ .. الجماعة تجلوا .. كنت أظنتى صاحب الكيف الوحيد هنا .. ولكن أقسم الآن أن الجماعة أسطورات فى الكار .. سلهم وحياة والدك .. أى صنف يتعاطون .. تصور مدة الحمل ساعة إلهيا .
- إن آخرما استطاع أن يصل إليه ذهننا فى الأرض .. هى النكتة التى أطلقت، على أحد الزعماء أنه قال فى خطاب العرش « وستحاول حكومتى جاهدة زيادة النسل فى البلاد .. وذلك بتقليل مدة الحمل إلى ستة أشهر » ..
- رد عبد الراضى :
- ستة أشهر مقبولة .. ولكن ساعة إلهيا ؟ .. يعنى يستيقظ المرء فى الصباح ليجد فى حضنه دسنة أولاد .
- وكان عبد المهيمن يتهمس هو وعبد القادر فى اهتمام شديد ثم نظر عبد المهيمن إلى عبد الحبير قائلا :

- أرائق أنت من هذا ؟

- أجل ..

- يعنى هذا أن يومنا بأربعة وعشرين عاما عندهم ؟

وهز عبد الحبير رأسه موافقا .

وعاد عبد القادر يتساءل :

- وشهرنا بسبعمئة وعشرين عاما .

وتتم عبد المهيمن قائلا :

- يعنى أننا سنحكم سبعة قرون .

وقال عبد اللطيف فى دهشة :

- سبعة قرون ١٩ .. إن حكمنا سيفوق أى حكم لأية إمبراطورية فى

تاريخ الأرض ..

وقالت شهيرة وهى تهز رأسها فى حيرة :

- ولكننا لن نستطيع أن نعيش أكثر من شهر.

- لايهمنا الوقت الذى سنعيشه . وإنما المهم هو الوقت الذى سنحكمه

.. إن حساب الزمن ستأخذه من أسفل .. من عمر الرعية التى نحميها ..

وقال عبد الحبير :

- إذا حسبنا معدل العمر بسبعين عاما فإن هذا يعنى أننا سنحكم عشرة

أجيال .

وتساءل عبد اللطيف :

- سبعين عاما .. تعنى عندنا سبعين ساعة .. أى ثلاثة أيام تصوروا

.. يولد الإنسان . ويكبر .. ويصبح شاب ويتزوج وينجب .. ويمر

بدور الكهولة .. فالشيخوخة .. ثم يموت .. كل هذا فى ثلاثة أيام .. أى

عمر هذا ؟

ورد عبد الحبير :

- إنه سيعيش حياته كاملة كما نعيش حياتنا .. إنه سيقضى فعلا

سبعين عاما .. ولكنها ستعبر بالنسبة لنا فى ثلاثة أيام .

وتساءلت شهيرة :

ـ وكيف سنراه نحن ؟

ـ سنراه ينمو بسرعة . فى كل دقيقة يكبر ستة أيام .. فى ستين دقيقة سيكون قد كبر عاما بأكمله .

وهز عبد الراضى رأسه وتمتم قائلا فى جزع :

ـ مصيبة .. لا يكاد الإنسان يلاحق غر الأولاد بالملابس والأحذية عاما بعد عام .. وفى آخر العام .. تكون الجزمة قد ضاقت .. والآن يصبح علينا أن تشتري لهم حذاء كل ساعة .

وهمس به عبد اللطيف قائلا :

ـ أية أحذية يا عبد الراضى ؟

ـ أئن نصبح مسئولين عنهم كما قال الكاهن ؟

ـ ولكننا لن نلبسهم أحذية .

ـ أسنتركهم حفاة ؟

ـ حفاة .. أم عراة .. ليفعلوا ما يحلو لهم .

ـ إذن لن نكون مسئولين عنهم .

وتساءل عبد المهيمن محاولا أن يسكت المناقشة الجانبية :

ـ ما بالكما ؟

وقال عبد الراضى :

ـ كنت أظننا مسئولين كما قلت عن الأهالى .

ـ أى أهالى ؟

ـ الذين تحت .

ـ مالههم ؟

ـ هل نحن مسئولون عنهم أم لا ؟

ـ طبعا مسئولون .

- أسنلبسهم أحذية أم لا ؟
وبدت الخيرة على عبد المهيمن وتساءل :
- أحذية ؟
- أجل .
- هذه مسألة نفكر فيها بعدين .
- هل سنتركهم حفاة . كما تركنا الحكام فى الأرض ؟
- طبعا لا .
- إذن لابد لهم من أحذية .
- أعتقد هذا .
- كل ساعة ؟
- ماذا تعنى بكل ساعة ؟
- لأن مقاسهم سيتغير كل ساعة .. سيكبرون عاما بحسابهم .. ويصبح
كل منهم فى حاجة إلى حذاء جديد .
وبدت الخيرة على وجه عبد المهيمن .
معقول أن لاتترك الرعية .. حافية بلا حذاء .
ومعقول أن تضيق بهم الأحذية .
ولكن أن يغيروا الحذاء كل ساعة .. أمر غير معقول ..
ولم يكن من المعقول أيضا أن ترتبك الآلهة .. فى أول مشكلة تتعرض
لها .. رغم ما بها من تفاهة ..
فالمفروض أن تبدأ الحكم بمشاكل أعوص .. بحيث تبدو هيئة الحكم
معذورة إذا عجزت عن حلها ..
أما أن تختار فى أحذية الرعية .. فهو أمر غير مشرف للهيئة .
ولم يجد عبد المهيمن خيرا من الكلفة . فرد على عبد الراضى فى
شئ من عدم الاكتراث :
- مسألة الأحذية هذه .. ليست مشكلة .. إنما سندبرها بعدين .. و..

وقال عبد القادر فى كبرياء :

- نحن هنا أكبر من حكام .. إننا فى مصاف الآلهة .. ومن غير المعقول .. أن نشغل أنفسنا .. بهذه المسائل التافهة .. كالجزم والشباشب .. هذه أشياء ستحل نفسها بنفسها ..

وقال عبد اللطيف مستطردا :

- على رأيك .. مسألة الأحذية هذه .. لا تشكل معضلة .. ولكن المعضلة هى أسلوب الحكم الذى سنمارسه فى الرعية .. ومدى مسئوليتنا عنها .

وقال عبد الحبير :

- بمقياس الألوهية .. نحن مسئولون عن كل ما تفعل .. إننا نحن الذين نرسم خطاها .. ونقرر مصائرها .. ونحدد لها كل ما تفعله .

وتساءل عبد الطيف :

- نحن سنفعل هذا ؟

- المفروض .

- وكيف ؟

- بالسيطرة والتوجيه .

- أتعنى أننا مسئولون .. عن توجيه كل فرد .. ورسم خطاه .. وتقرير مصيره .. وتحديد كل ما سيفعل قبل أن يفعله .

- هذا هو المفروض .

- هذا يحتاج إلى هيئة هائلة .. من المخططين والموجهين .. يحتاج إلى

جيش من الموظفين ..

- وجيش الموظفين .. يحتاج إلى جيش آخر لخدمته .. مستخدمين ..

وحسابات .. وأرشيف .. ويصبح شغلنا الشاغل .. هو جيش الموظفين .. بترقياتهم وعلاواتهم .. وتظلماتهم .. وزوغانهم من العمل .. و ..

- وعلى الكركب وأهله العرض ..

— إذن ما العمل ؟

وقال عبد الحفيظ :

— إننا نملك القدرة على السيطرة والتوجيه .

وقال عبد المهيمن :

— والفروض أن نستعملها ..

وقال عبد القادر :

— وإلا كنا كعدمتنا .. ولأصبح الكوكب فوضى .

وقال عبد اللطيف :

— نستعملها في توجيه كل فرد .. هذا غير معقول ..

— إذن ماذا تقترح ؟

— المفروض أن كل مخلوق توجهه .. حصيلة القوى المركبة له .. إن الكائن الحى .. مجموعة عناصر تتفاعل في داخله .. وحركته في أى اتجاه .. هى نتيجة تفاعل هذه العناصر .. ولا أظننا سنحتاج لأى جهد لكى نحرك المخلوقات .. فالصراع بين قوى الذهن والنفس والبدن .. التى تختلف نسب تركيبها من مخلوق إلى مخلوق .. هو الذى يوجه حركتها .. ويحدد مصيرها .

— وماذا سنملك نحن .. إذا كانت حركة كل مخلوق تحددها نسبة تركيب العناصر التى تكونه .. وقد وجدت فعلا .. وأضحى هونفسه كهداية .. يحددها هو.. ولكنه لا يملك الاستمرار..

— لماذا ؟

— لأنه لا يتحرك وحده فى الكون .. ولكنه يتحرك مع مجموعة هائلة من المخلوقات .. التى تتعارض حركتها بعضها مع بعض .. ككرات البلياردو .. تتصادم فتغير كل منها اتجاه الأخرى .
— أهذه هى الصدفة أو الحظ أو القدر ؟

— سمع ما تشاء .. إنها تعارض حركة مخلوق يسير بتركيبه الذاتى مع

حركة مخلوق آخر يسير بتركيبته الذاتى هو الآخر ويسعى لتحقيق هدفه بإرادة هذا التركيب . وقد يصطدم خلال حركته بالمخلوق الأول فيتغير اتجاهه بلا وعى ولا قصد .

— كيف ؟

— فى الأرض يبدأ المخلوق حركته نتيجة صراع بين ذهنه وجسده .. بين إرادة توقف النزوة .. ورغبة فى النزوة .. بين مشقة تفرضها الإرادة .. ومتعة يرتاح إليها الجسد .. وتبدأ الحركة .. حركة إرادية نتيجة صراع بين عنصرين فى داخله .. حتى تصطدم بمعارضة خارجية .. مقصودة أو غير مقصودة .. ولكنها نتيجة صراع .. عناصر فى داخل جسم آخر . يخرج المخلوق . قاصدا اتجاهها .. بإرادته .. فيتقابل مع مخلوق آخر يسير بإرادته فى اتجاه مضاد .. بعربة مثلا .. قد تصرع المخلوق الأول .. فتوقف حركته .. أو تحمله فتعجل بها .. قدر .. عطسه .. أو ساعده !! صدفة .. لم يقصدها مخلوق آخر .. وإنما هو مجرد تقاطع .. أو تصادم .. أو تقابل .. يشكل .. الإرادة الأخرى التى تحرك المخلوقات .. إرادة القدر أو الحظ . وساد الصمت برهة واستغرق كل منهم فى تفكيره الخاص .

وتساءل عبد المهيمن وقد بدا عليه الشroud :

— ماذا إذن نملك نحن .. بين إرادة الفرد ويحددها تركيبه الذى أوجده الخالق فيه .. وبين .. إرادة لاتعارض مع حركة مخلوقات .. فى كون .. لا يوجد به المخلوق وحده .

مستولا بمجرد وجوده بهذا التركيب المحدد عن حركته نتيجة الصراع المستمر بين هذه المركبات فى داخله ؟

— معنى هذا أن يحدد كل مخلوق حركته ويحدد مصيره . بإرادة تركيبه الذاتى .

ورد عبد اللطيف :

— إننا نستطيع أن نراقب .. وأن نضع القواعد .. لتنظيم حركة

المخلوقات .. ومنع التصادمات الكبرى .

وقال عبد الراضى :

- تقصد كعسكرى مرور؟

وهز عبد اللطيف رأسه وأجاب ضاحكا :

- شىء كهذا ..

وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى حسرة :

- يا خسارتك يا عبد الراضى .. دائما .. موكوس .. حتى فى السماء

.. سنحت الفرصة لتكون إلها .. ورسيت فى النهاية على عسكرى مرور ..

قسمتك !!

١٦ - حل رجالي

بدأ حكم السفينة للكون الجديد ..
ولم تبد المسألة تحتاج إلى مهارة كبيرة ..
لم يكن هناك مطلب للرعية سوى الطعام .. ولم يبد الطعام مشكلة
معقدة .. فقد توافر الطعام لكل حسب قدرته فى الحصول عليه ..
وانتزعت القوة لأصحابها ما احتاجوا إليه من الطعام .. أكل القوي الضعيف
.. واقتات الضعيف بما لا يحتاج إلى قوة لانتزاعه .
وأخذت الجماعة تشاهد الحياة الجديدة .. مأخوذين وكأنهم سياح ..
يرقبون أحد مشاهد الأدغال . وهتفت شهيرة وهى ترقب الصراع البدائى من
أجل اللقمة :

- شىء فظيع ..
وقتم عبد اللطيف :
- إنه أبسط مظاهر الصراع .. صورة بدائية لما يحدث فى عالمنا
المتحضر ..

- يأكل بعضهم بعضا ؟
- ولكى يجد طعامه .. من أجل أن يحيا .
- ويموت الآخرون ؟
- لأجل بقاء غيرهم ..
- أحتم على الحياة أن تبعث من الفناء ؟ ..
- بقاء البعض مستمد من فناء البعض الآخر .
- أسلوب بشع للبقاء .

- ألا يشكل جسد الخروف وليمة للإنسان ؟

- لأنه خروف .

- أمن حق الإنسان وحده أن يستبيح حياة الآخرين لبقائه ؟

- إنه يرى حياته أقيم ما فى الوجود .. إنه وحده صاحب الحق فى الحياة .. وبقية الأحياء مسخرون لبقائه .

- وهم كاذب .. إنه قطرة فى بحر الوجود .. إنه - عما مابينه من صراع - يشكل طرفا ضئيلا فى الصراع الكونى .. تميزه القدرة على التفكير .. لقد أصبح ذهنه أمضى أسلحة الصراع الكونى .

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى وقد بدا كأنه منصت إلى المناقشة :

- والا إيه يا عبد الراضى ؟!

ورد عبد الراضى فى موافقة مستسلمة :

- إيه ؟.

وسأله شهيرة :

- يعنى موافق ..

- على ماذا ؟

- ألم تسمع المناقشة ؟

- أجل ..

- وما رأيك .. هل توافق ؟

- ولماذا لا أوافق ؟!

وسأله عبد اللطيف ضاحكا :

- توافق على أى شىء ؟!

- على أن الخروف يشكل وليمة للإنسان ..

- أهذا كل ما فهمته من المناقشة ؟

- عندما يعيش الإنسان عدة أيام على أكل الأتاييب .. يصبح الخروف

- بلا منازع - أهم جزء فى أى مناقشة تدور أمامه .

وكان عبد المهيمن وعبد اللطيف منهيكين فى مراقبة الكوكب الذى تحولت أشجاره إلى مجموعة من البشر متهدلة الشعور منتصبه الجذوع ممدودة الأذرع مستطيلة السيقان .. يتشاغل البعض بالطعام .. ويمد البعض فمه يعب الماء من نهر يتدفق وسط الأعشاب .. ويتمطى البعض متثابها فى استرخاء .. ويستلقى البعض الآخر .. بلا حراك ..

وألقى عبد الحبير نظرة على ساعة أمامه وقال بهدوء :
- ومضت ساعة ..

وهتفت شهيرة فى دهشة وهى تحدق فى أهل الكوكب :
- كل هذا فى ساعة ؟

وقال عبد اللطيف ساخرا :
- ساعة بحسابنا ..

وأردف عبد الحبير يقول :
- يعنى سنة بحسابهم .

ورد عبد المهيمن فى دهشة :
- سنة .. سنة كاملة ؟

- أجل ..

وأخذ عبد القادر يحدق فى مجموعة البشر التى تملأ أرض الكوكب .
- يبدو بعضهم لا يتحرك .

- لعله نائم .

- أو ميت .

وبدا الشرود على وجه عبد المهيمن ثم تغمق قائلا :
- لقد فنى جزء من الرعية .

ورد عبد اللطيف :

- يا أخى .. ما بقى فيه الكفاية .

- ولكنه سيتناقص يوما بعد يوم .. إن أسباب الفناء تحيط به .

- .. ولكنه قابل للتجدد .. إنه يفنى من ناحية ويتجدد من ناحية أخرى ..
- .. تقصد بالتكاثر ؟
- .. أجل .. ما يأخذه الموت .. تعرضه الولادة .
- .. ولكن .. لست أرى فى الرعية .. علامات ولادة .
- وعادت الجماعة تحدى فى الأجساد التى تملأ أرض الكوكب .
- وتمت شهيرة :
- .. لست أرى بهم صفارا .
- وقال عبد اللطيف :
- .. امنحوهم فرصة .
- وقال عبد القادر فى قلق :
- .. لا تبدو بهم بطون منتفخة .
- وضرب عبد الراضى كفا بكف وهتف صائحا :
- .. ياناس .. كل هذا يحدث فى ساعة .. بطون تنتفخ وأولاد تهبط ..
- فى ساعة ؟
- وزغده عبد اللطيف وقال ناهرا :
- .. ياغبى .. فى سنة ..
- .. سنة ١١٢
- .. أجل .. ألا تفهم ؟.. الساعة عندنا .. بسنة عندهم .
- وقال عبد المهيمن :
- .. والمفروض .. أن يكون بعض نسائهم قد حملن .. وبعضهن قد ولدن .
- وقال عبد الحبير :
- .. المفروض ..
- .. لماذا إذن لم يحدث ؟
- .. ولماذا يحدث ؟
- وتساءل عبد الراضى فى استنكار :

- أليس عندهم رجال ؟
- ورد عبد الخير :
- طبعا يوجد ذكور .. وإناث .
- إذن ما الذى يمنعهم ؟
- يمنعهم من أى شىء ؟
- ونظر عبد الراضى إلى شهيرة .. وبدأ عليه التردد .. ثم قتم قائلا :
- هذا كلام لا يقال أمام الحریم .
- وردت شهيرة نيابة عنه فى غير استحياء :
- ما الذى يمنعهم من التكاثر ؟
- لأنه لا شىء يدفعهم إليه .
- وتساءل عبد المهيم فى غيظ :
- ألا يدركون أن إحجامهم عنه يعنى ضمور الحياة وانتهائها ؟
- هذا أمر لا يهمهم .. إذا كانت نهايتهم حتمية .. فماذا يفيدهم استمرار الحياة ؟
- من أجل أولادهم ؟
- وأين هم الأولاد ؟
- أمعنى هذا أنهم لن يتكاثروا ؟
- إلا إذا كان هناك ما يدفعهم إليه .. بالغريزة .. يجب أن يمنحوا
- الصفة الثانية من الصفات الأساسية للبشر .. يجب أن توجد فيهم لهفة
- الطعام ومتعته .. التى دفعتهم إلى البقاء .
- وبغير هذا لا يقبلون على التكاثر ؟
- أن يجد أحدهم فى نفسه ما يدفعه إلى تحمل متاعبه .
- ويتوقف استمرار الحياة ؟
- إلا إذا حدث تكاثر تلقائى كحبوب اللقاح تحملها الرياح أو أجرى
- تكاثر صناعى .. كما تلقح قطعان البقر .. بصنف متميز من الذكور .

— ليست هذه هى الحياة الطبيعية .
— إذن فلا مفر من أن نشع فيهم الصفة الثانية .
— وماذا يمنعك من هذا ؟
— ستزداد الأمور تعقيدا .
— إن هذا يمنحنا فرصة عمل .
— لن يكون من السهل السيطرة عليهم .. إذا ازدادت رغباتهم وتعددت مطالبهم .

وقال عبد المهيمن فى حزم :
— يجب علينا ألا نتردد .. ما دمنا قد قررنا أن نحكم .. فلا بد أن نتحمل المسؤولية كاملة .. إننا لم نفعل كل ما فعلنا .. لكى نحكم قطيعا من الحيوانات .. لا تشغله سوى مشكلة الطعام .
— إنه لم يصل حتى إلى مستوى الحيوانات .
وضحك عبد اللطيف قائلا :
— سيرتفع الآن إلى هذا المستوى بعد أن غنحه الصفة الثانية .
وقال عبد المهيمن فى إلحاح :
— أرجوك يادكتور .. أسرع .. أنت تعرف قيمة الساعات فى هذا الكوكب .

وأردف عبد المهيمن :
— لو انتظرنا عليه بضع ساعات لانقرض البشر منه ..
وقال عبد اللطيف :
— وانتهت الحياة .. ولما وجدنا فيه ما يحكم حتى النباتات .
وقال عبد المهيمن فى قلق :
— دعوه من فضلكم .. يجب أن ينتهى من مهمته فى أقرب وقت .
وهز عبد الراضى رأسه فى دهشة قائلا :
— ياناس .. ياهوه .. لماذا لا تتركونهم فى حالهم .. المفروض فيكم

كآلهة .. أن تهيئوا لهم الهداية .. لا أن تشيروا فيهم الفتنة . .

وصاح فيه عبد القادر :

- هل تريدكم أن يبقوا هكذا فى هدايتهم حتى ينقرضوا ؟

- ينقرضوا .. ينقرضوا .. أليس هذا خيرا من أن تهيئوا لهم الغواية
وتدفعوهم إلى الضلال .. فيفسدوا فى الكوكب .. وتنزلوا بهم العقاب .

- عقاب لماذا ؟

- على الزنا .

- ولماذا الزنا .. لماذا لا يفعلونها بالأصول ؟

- أية أصول ؟

- الأصول التى سنضعها لهم .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى سخرية :

- كان غيركم أشطر .. هذه أشياء تفعل .. بالمزاج وليست بالأصول .

- إن تلك هى مسئوليتنا ولابد أن نمارسها .. أما أن نترك رعبتنا

تنقرض .. خوفا من الغواية .. ونقف للتفرج عليها .. وهى تفتى .. فرحين
بهدايتنا .. فذلك ما لن نسمح لأنفسنا به ..

وقال عبد القادر :

- نحن لا نبحث عن الراحة .. ولو كانت هى هدفنا .. لبقينا فى

السفينة .. ننتظر نهايتنا المحتومة .

ووجه عبد المهيمن حديثه إلى عبد الخبير :

- أسرع يادكتور أسرع .. الوقت يسرقنا .

وكانت شهيرة قد تنحت جانبها وقد أحست بالحرج من الخوض فى

المناقشة .

ومر الوقت وعيون الجماعة مترجحة بين عقرب الساعة ولوحة المراقبة

وكلما تحرك عقرب الدقائق مؤذنا بمرور دقيقة هتف عبد القادر فى قلق :

- مرت ستة أيام .

واستمر أهل الكوكب فى حالهم .. ما بين أكل وشارب .. ومسترخ ..

وميت ..

وفجأة بدت بينهم حركة غير طبيعية .

لم يعد الطعام وحده يشغلهم ..

بدأ الذكور .. يتعقبون الإناث ..

والإناث يرمقن الذكور .. ويتخيلن أمامهم فى دلال .

وأشاح عبد الراضى بعينيه عن اللوحة وهو يردد :

ـ الفتنة نائمة : لعن الله من أيقظها .

وقال عبد اللطيف ضاحكا :

ـ بعد لحظات سيستحق المشهد مقص الرقيب .

وقال عبد القادر فى حزم :

ـ أوضع بجواره « للكبار فقط » .

ومضت ساعة أخرى .

وعلت من اللوحة .. صرخات أطفال .

وهتف عبد المهيمن فى سعادة :

ـ أجل .. هذا أفضل .. لقد ضمنا استمرار الوجود .. لم تعد رعيثنا

مهدة بالفناء .. إنها تتكاثر .. وتزايد .

وقال عبد اللطيف وهوشير إلى البطون المنتفخة :

ـ والبقية تأتى .

وأخذ عبد القادر يعن النظر فى مجموعة البشر التى تعالى من وسطها

صراخ المواليد وتقم قائلا :

ـ تبدو المواليد قلة .

وتسائل عبد المهيمن :

وماذا تقصد ؟

ـ أقصد أن الموتى أكثر كثيرا .

- مازال فى البطون المنتفخة مزيد من المواليد .

- لن يعادلوا عدد الموتى .

- لتتقص عدد الموتى .

وقال عبد الحبيب :

- لاأظن إنقاصه عن هذا القدر أمرا ميسورا .. إن هذا هو المعدل

الحتمى للموت .. بشتى أنواعه .. موت النهاية .. والموت الناتج عن صراعه مع مختلف العناصر .. سواء كان صراعه مع نفسه .. أو مع غيره من الكائنات والقوى .. من الجرثومة .. إلى قوى الطبيعة كالزلازل والعواصف والصواعق .

ورد عبد المهيمن :

- إذا فلنزد من المواليد .. لابد أن تكون نسبة القادم إلى الكوكب أكبر

من الخارج منه ..

وقال عبد القادر مؤكدا :

- أجل لابد من زيادة النسل .

عبد اللطيف وهو يهز رأسه فى حيرة :

- زيادة النسل .. كيف ؟

ومال عبد الراضى نحوه يهمس فى أذنه قائلا :

- إن لدى تحويجة .. مضمونة .. نستطيع أن نصفها لهم .

وقال عبد الحبيب وهو يرقب الكوكب :

- يبدو أن الرجال أقل من النساء .

وقال عبد المهيمن متسائلا :

- ولكن لماذا يقتصر كل رجل على امرأة ؟

وأردف عبد القادر :

- لو أن النساء كلهن ألحجن .. لزادت نسبة المواليد على الموتى .

وتسأل عبد اللطيف :

- ولكن كيف ينجبن كلهن إذا كان عدد الرجال غير كاف ؟

وقال عبد الراضى :

- لكل رجل .. أربع .. على سنة الله ورسوله .

ورد عبد الحبيب :

- لا يكفى .. إن النساء أكثر بكثير .

وقال عبد الراضى :

- وما ملكت يداه .

وعاد عبد الحبيب يقول مؤكدا :

- أكثر بكثير ..

وقال عبد الراضى فى انشراح :

- ماشاء الله .. الحال فى الكوكب رضا .. لماذا لا نحاول النزول ؟ ..

إن العيش فيه مع الرعية أفضل بكثير من هذا الحكم الذى نمارسه هنا .

وقال عبد المهيمن وقد بدا عليه الجد والتفكير :

- مشكلة .. لابد من حلها .. دبرنا ياعبد القادر !!

وأجاب عبد القادر :

- العملية تحتاج إلى تنظيم .. لابد لكل رجل من مقطوعة يقوم بها .

وقال عبد الحبيب :

- حل غير معقول .. هذه عملية لاتقبل الإكراه .. إنها مسألة مزاج كما

قال عبد الراضى .

وسأل عبد المهيمن :

- إذن ماذا تقترح ؟

وتتم عبد الراضى قائلا :

- نهىء له المزاج .

وقال عبد الحبيب :

- بالضبط .. هذا هو الحل .

ورد عبد المهيمن قائلاً فى استنكار:

- كيف .. أيمكن أن ندخل فى عملنا .. مهمة تهيئة المزاج ؟ ..

وقال عبد الحبيب :

- اسمعوا .. إنها مسألة علمية .. تحتاج لحل علمى .. إن مجرد منحنا الرغبة للجميع .. قد أدى إلى أن ينجب كل رجل من امرأة واحدة وبهذا اقتصر عدد المواليد على عدد الرجال . ولما كان عدد النساء أكثر كثيراً من الرجال .. فالمطلوب أن يكون الإنجاب بعدد النساء .. إذن فلا بد أن نبعث الرغبة فى نفس الرجل . لأكثر عدد من النساء .. ولما كانت المرأة لاتنجب إلا ولداً كل تسعة أشهر .. مع تعدد لقائها بالرجل . فغير مطلوب أن نبعث فيها الرغبة إلا لرجل واحد .. ولما كان الرجل قادراً على أن ينجب من أول لقاء بالمرأة .. فلا داعى لتكرار اللقاء مع امرأة واحدة أكثر من مرة .. بل ويصبح المطلوب هو بعث الرغبة فى نفسه للقاء جديد مع امرأة أخرى .. بحيث لاتذهب نتيجة اللقاء سدى إذا تكررت مع المرأة الواحدة .. والنتيجة تحتم علينا أن نبعث فى الرجال الرغبة المستمرة فى امرأة جديدة .. حتى نضمن أن كل لقاء يصبح ذا جدوى .. أمفهوم هذا ؟

وصرخت شهيرة محتجة بعد أن أخذت تتبع الشرح فى اهتمام حتى تعرف نتيجته :

- هذا غير معقول .

وسألها أبوها فى دهشة :

- ما هو هذا غير المعقول ؟

- هذا حل رجالى بحث .. إنكم هنا تتصرفون فى مصير الكوكب

بعقلية الرجل ..

وقال عبد المهيمن محتجاً :

- إننا نتصرف كحكام .

- حكام رجال .. تريدون أن تكرروا فى الكوكب مأساة الرجل فى

الأرض .. تريدون أن تهينوا للرجل « فروغية » العين . وأن تغرسوا فى نفسه الخيانة .. حتى يريد دائما امرأة جديدة .

وقال عبد القادر محاولا أن يشرح القضية :

— إن المسألة .. ليست مسألة رجل وامرأة .. ولكنها مسألة كون بأكملها وصرخت شهيرة :

— يجب أن تتساوى المرأة بالرجل .

— ولكننا لانحاول التفرقة بينهما .

— كيف ؟ .. إنك تمنح الرجل حق الرغبة الدائمة فى امرأة جديدة ..

وقاطعها أبوها قائلا :

— لأن عدد النساء أكبر من الرجال ، ولأن كل لقاء لرجل بامرأة جديدة

.. يمنحنا وليدا .. ونحن فى حاجة إلى مزيد من المواليد .. حتى تعادل نسبة الوفيات :

وقالت شهيرة محتجة :

— ولكن هب أن عدد الرجال زاد على عدد النساء هل نمح النساء هذا

الحق .

— لن يكون له أية فائدة .. لأننا لن نفيد من لقاء المرأة بالرجل .. إلا

وليدا كل تسعة أشهر مهما تعدد اللقاء وتنوع الرجال .. ومن أجل هذا لن يحتاج الكون من المرأة الطبيعية سوى الرغبة فى رجل واحد والاكتفاء به .

وقالت شهيرة ساخرة :

— بينما نحتاج من الرجل الرغبة الدائمة فى امرأة جديدة .

وقال عبد القادر :

— بالضبط .

وصاحت شهيرة محتجة :

— هذا غير معقول . إنكم تقننون حياة الكوكب بعقلية الرجل .. أنتم

تريدون هنا .. أن تحللوا للرجل .. خطاياهم .. أن تجعلوها .. حقا مشروعا ..

أنا أحتج .

وقال عبد الراضى فى مسكنه :

— ليه يا ست شهيرة ؟ والله الرجل غلبان .. عندما يمارس رغباته الطبيعية .. التى يفرضها عليه تكوينه يتهم بالانحراف والخيانة .. وتتكوم على رأسه التهم .. دعيهم ينصفوه مرة فى الكوكب .

وشخطت فيه شهيرة قائلة :

— اسكت أنت .. أنت أيضا رجل .

وحاول عبد اللطيف تهدئتها قائلا :

— اهدنى يا شهيرة .. دعيهم يجربوا الحل الذى يريدونه .. وأنت على أية حال .. لن يصيبك منه ضرر .. فأنت هنا حاكمة .. ولست من الرعايا .. ولن تنطبق عليك التنظيمات الموضوعة هناك .. ولن يمك أحد بالخيانة فأنت هنا وحدك لاشريكة لك .

وقالت شهيرة :

— إنى لأتكلّم عن نفسى .. ولكنى أنظر إلى المسألة من ناحية المبدأ .. غير معقول أن نعطى لرجل حق الخيانة واللعب بالذيل .. وأن نتركه فى الكوكب على حل شعره .. دون أن نحاسبه .

وقال عبد المهيمن فى دهشة :

— ولماذا لانحاسبه ؟

— إذا كنت قد غرست فيه هذا الميل فلماذا نحاسبه ؟

— إننا سنقول له إنها خطيئة ونؤاخذه إذا ارتكبها .

وصاح عبد الراضى محتجا :

— ما شاء الله .. كأننا لا رحنا ولاجينا .. تمنحونه الرغبة فى النساء .. لأجل أن يمنحكم الذرية .. ويضمن لكم استمرار الحياة .. لكى تمارسوا السيادة .. ثم تقولون له إن هذا خطأ ونحاسبونه عليه .. هذا أمر غير معقول

وقال عبد القادر :

- إننا سنمنحه الإرادة لمقاومته .

- تمنحه الإرادة .. ورغبة أقوى من الإرادة ثم تؤاخذ به بعد ذلك .. حرام والله .. حرام .

وصاح به عبد المهيمن :

- كفى صراخا .. هذا ليس شغل حكام .. هذا شغل همج .. ماذا تقول الرعية عنا لو سمعتنا .. نتعارك هكذا ؟

ثم وجه القول إلى عبد الخبير قائلا فى حزم :

- اسمع يادكتور عبد الخبير .. إن استمرار الحياة فى الكون أهم من كل شىء .. افعل ما أشرت به ..

وقال عبد القادر:

- وأى مشاكل تنتج عن هذا .. سنحاول حلها .. إن هذا من صميم اختصاصنا .. إننا مسئولون عن حل مشاكل الرعية .
وأخذ عقرب الساعة يدور.

ومرت ساعة أخرى .

وزاد عدد صراخ المواليد .. وبدأوا يزحفون على الكوكب كالنمل .

وصاح عبد المهيمن :

- هؤلاء الصغار .. كيف سنتركهم يهيمنون هكذا .. لابد لهم من حماية ورعاية .

وقال عبد اللطيف :

- ليس أولى برعايتهم ممن وضعنهم .

وصاح عبد المهيمن آمرا عبد الخبير:

- اغرس اللفة عليهم فى نفوس أمهاتهم .

وقال عبد اللطيف :

- أمهاتهم فقط .. لابد لهم من عائل يشد أزهرهم ويواجه معهم صراع

الحياة .

وقتم عبد المهيمن قائلا :

ـ اربط الرجال بالأمهات والأولاد .. لابد أن تكون هناك وحدة لمواجهة

.. تحديات الحاجة ومشاكل الحياة ..

وبدأت التجمعات الصغيرة فى الكوكب .. وحتمت تحديات الحاجة ..

وصراع القوى المعادية .. تجمعاً أكبر..

وبدأ الصراع تتسع رقعته .. ويزداد حجمه .. صراع من أجل البقاء

والاستمرار.. الحصول على اللقمة .. والتكاثر .. واتقاء عواذى الطبيعة ..

وشاهدت جماعة الحكام .. تطور الحياة فى الكوكب .. تطورا تفرضه

الحاجة إلى اللقمة والجنس والأمان .

وبدا مجتمع الكواكب .. متجمدا .. لا يزيد في مظهره .. ومشاكله

..على عالم حيوانى .. مشكلته الحصول على اللقمة والتكاثر والدفاع عن

النفس ..

ومضى يوم .. على هيئة الحكام ..

وتناوبوا مراقبة الكوكب .. دون أن يحدث مايشير الاهتمام .. أو

يدعو .. إلى ممارسة السلطان .

وجلس عبد المهيمن يرقب أهل الكوكب فى حياتهم الرتيبة دون أن

يشعر أن أحدا منهم فى حاجة إليه .

وقال لعبد الخبير :

ـ وآخرتها يا دكتور.. لقد أصبح الحكم يدعو إلى الضجر.

وتنهذ عبد الخبير متسائلا :

ـ وماذا تريد ؟!

ـ نريد حياة حقيقية .. نريد مشاكل ومتاعب .. نمارس فيها قدرتنا

على الحكم .

وقال عبد الخبير :

— لم تبقى غير الصفة الثالثة .

— الصفة الثالثة ؟

— أجل .. صفة الرغبة فى التميز .. والطموح .. والخروج عن القطيع .

— إذن عجل بها .. لقد مضت فى حكمنا عشرون عاما .. رتيبة مملة

.. نريد عالما حقيقيا من البشر بكل مآلديهم من مشاكل ومتاعب .

١٧- فوضى

منح أهل الكوكب الصفة الثالثة من صفات البشر الأساسية . صفة
الطموح .. والرغبة فى التميز .. والخروج من القطيع .
وتعقدت رغبات المخلوق التى يحدد الصراع الداخلى الدائم بينها حركة
الإنسان فى الحياة .
وبدت الصفات الثلاث التى منحت للكائنات .. الواحدة بعد الأخرى
.. وقد عقدت حياتها وزادت من مشاكلها ومتاعبها .
وتعددت القوى المتصارعة .. التى ترسم صور الحياة فى الكوكب
وتحدد ملامحها ..
لم يعد الصراع الذى تواجهه الكائنات الحية يقتصر على قوى
الطبيعة ..
.. ربيع تلطم أوراقها .. وعواصف تقتلع جذورها .. وصواعق تنقض
على قممها .. وزلازل تشق الأرض أسفلها .
بل ظهر تعدد فى أشكال الصراع الذى تواجهه الكائنات .. فى باطنها
.. ومع بعضها البعض .
لم يعد الكائن الحى يهتأ بهدوء الشجرة .. وتمتد جذورها فى باطن
الأرض تمتص غذاءها فى صمت .. وتخرج أنفاسها فى هدوء .. وتنفض
كساءها البالى .. لتخرج من براعمها كساء أخضر يانعا .. فى موعد
موقوت .. لا يتأخر لحظة ولا يتقدم لحظة .. وفى سكون تخرج حبوب اللقاح
منها .. أو إليها .. أو منها وإليها .. لتنمقها بالزهر .. وتوشىها بالنقوش
الملونة .. الفواحة بالعطر .. وتحملها بالثمر .. يلقي بذوره على الأرض بغير

جهد .. لتثبيت وتتكاثر.. وتواصل الحياة الخضراء اليانعة المزهرة .. تشيع
فى الأرض السلام والأمان .

خرج الكائن الحى من وقفته الهادئة .. جرى وراء الطعام ..
والشراب ..

ومن كائن حى آخر .. كان طعامه .. وشهد الكوكب أول مصرع
للحياة .. من أجل الحياة .. رغم وفرة الطعام فى الأرض .. وتدفق المياه
فى القدير .. فلم تحمل له إلا لقمة غيره يصارعه من أجلها .. ولم يطب له
إلا مورد سواء يزاحمه فى السقيا منه .

وأصبح عليه .. أن يأكل .. ويحمى نفسه من أن يؤكل .
ورغم هذا فقد نعم بنوع من الهدوء .. سرعان ما افتقده عندما منح
رغبة الجنس واللهفة عليه .

وتعددت مشاكله .. بأسرة وذرية كان عليه أن يتحمل مسئوليتها .
لم يعد يستيقظ وقتما يريد .. فيتشأب ويهب للبحث عن طعامه ..
فيأكل ويشرب .. ثم يثب على أول أنثى تصادفه .. ثم يتمدد مسترخيا فى
قطعة ظل .. حتى يجوع فيأكل .. ويغالبه النعاس فينام .

لم يعد يملك القدرة على أن ينعم بهذه العفوية الهادئة .. التى لا يقطع
هدوها .. سوى عنصر معارض .. قد يجىء وقد لا يجىء ، لقد أضحت
مشاكله تثار من داخل محيطه .. من أسرته الصغيرة التى بات مسئولاً عن
إطعامها وحمايتها .

كان انعدام الملكية الخاصة .. أو الإحساس بالملكية المطلقة للكون كله
.. لا يتطلب منه إحساسا بالمسئولية .. مسئولية الرعاية والصيانة والحماية .

لم يكن يعرف أين أولاده حتى يدافع عنهم .
وكانت كل إناث الكون إناثه .. فلم يجد ما يدعوه إلى أن يخصص
واحدة منهن بالذود عنها .. أو الغيرة عليها .

ولكن .. لكى تبقى الحياة وتنمو بات عليه أن يحمل هومسئولية

استمرار الحياة .. وحمايتها .

ولم يكن أمامه بد من تحمل المسؤولية .. مسئولية التكاثر .. بإحجاب الذرية وحمايتها .

وابتلع طعم اللقمة الشهية .. ورغبة الجنس اللذيذة .. وراح يملأ معدته بالطعام ... ويشبع نفسه بالجنس .. فعاش .. وأنجب ذرية .
وبات عليه أن يواجه .. متاعب الحياة .. وصراعاها .. من أجل نفسه .. ومن أجل حمل من الذرية يثقل ظهره .

ومع كل هذه المتاعب .. سارت به الحياة .. فى هدوء نسبي .
كائن حى .. يأكل لينمو .. ويتلاقح .. ليتكاثر .. ويحمى نبتة حتى يشتد عوده .. ويرمى بذوته .. لتنبث .. وتتكاثر .. وهكذا تستمر الحياة .
وضمن جماعة السفينة .. مواصلة الحكم .. واستمرار السلطان .. فى حياة .. تتدفق .

ولكن تدفق الحياة .. كان رتيباً .. مجرد أكل .. وتكاثر .. وصراع بدائى .. من أجل اللقمة .. والجنس .
لاتطور .. ولا تقدم .
ومنح الأحياء الصفة الثالثة .
وبدا الطموح بينهم .
بدأت الرغبة فى التميز .
والسباق بين القطيع .

لم يعد الأحياء .. يسيرون صفاً .. ولعادوا سواسية كأسنان المشط .. بل بدأ التسابق .. والتدافع بالأيدى والمناكب .. لالهدف محقق .. لا للقمة .. ولا لشهوة .

ولكنه سباق مطلق .. تدفع إليه إمكانيات السبق .. والرغبة المطلقة فيه .: أكثرهما تدعو إليه أهداف معينة .
وتعددت ميادين السبق .. كل بإمكانياته .. وقدراته المختلفة ..

وشحذ الأحياء أسلحة الصراع فى سباق الحياة .. سواء كانت جاذبية الشكل أو قوة البدن أو حدة الذهن أو إرهاف الحس .

ولم يعد الصراع يقتصر على مشكلة الفرد البسيط من أجل الحصول على اللقمة والحجاب الذرية وتأمين البقاء .

وبدأ يبرز من وسط الصفوف أفراد .. متميزون بأحد مظاهر التميز يقودون من حولهم إلى صراع جماعى .. يضمن لهم مزيدا من القوة .. يقهرون بهم غيرهم من الأفراد أو الجماعات الأضعف .

وأحست الجماعة فى السفينة بتبلور المجتمع فى قبائل .. استطاع الطموح والرغبة فى التميز التى منحها الأحياء أن يستغل تفوق القدرات لدى أصحابها .. فتدفع بهم إلى الأمام .. ليسلمهم الغير زمامهم .. حيث يحملون عنهم بعض مسئوليات الحياة يوزعونها مشاركة عليهم .. ويتولون قيادتهم فى ممارستها .

.. وأخذت الجماعة ترقب الرعية .. تمارس نوعا متقدما من الحياة . ويشاركون فى مسئولياتها .. ويتولى البعض قيادتهم فيها .

وقال عبد المهيمن وقد تملكه إحساس بالرضا :

- هذا معقول ..

وقال عبد الحبير :

- لم يعودوا مجرد حيوانات .. تأكل وتتكاثر .. إنهم يحاولون دائما .. أن يطوروا حياتهم إلى أفضل .

ورد عبد القادر :

- برز منه متميزون .. يكشفون حقائق ويحققون انتصارات .. ويقودونهم إلى مزيد من الرخاء .

وقال عبد اللطيف :

- إنى أسمع أصواتا .. تضدح بالغناء .. وأرى الناس ينصتون إليهم فى نشوة .

وقالت شهيرة :

- بدأت النساء تتزين ..

ورد عبد الراضى :

- ليس هذا جديدا عليهن .. هذا مامنحته الصفة الثانية للأحياء ..

وهن يمارسن عملية جذب الرجل .. المسكين .

وقالت شهيرة :

- لست أقصد جذب الرجل .. ولكنى أقصد أنهم أحسن بقدرهن ..

ويدأن يظهرن بالمظهر اللائق بأنثى .

وقال عبد اللطيف :

- المهم أن الكون يتطور .

وتنهذ عبد المهيمن :

- ولكن دون جهد واضح منا .

ورد عبد الحبير :

- ليس مفروضا علينا أن نعمل أكثر من هذا .

وقال عبد القادر :

- هل تظن عملنا سيقصر على مجرد الفرجة على الرعية ؟

- لقد منحناها .. المركبات البشرية اللازمة .. وليس معقولا أن نتنبع

كل فرد .. لنحركه كما نريد .. إن الأحياء يتحركون .. بالقدرات الممنوحة

لهم .. وعليهم بعد ذلك أن يوازنوا صراع هذه المركبات فى داخلهم ..

وعليهم بعد ذلك أن يصارعوا القوى المعارضة لحركتهم والتي تمارس حركتها

التلقائية فى مجال حركتهم .

وتساءل عبد الراضى :

- وإذا ضل أحدهم ؟

- ضل عن ماذا ؟

- عن الصراط المستقيم .

- لم نضع له بعد صراطا مستقيما حتى يضل عنه .. إن كلا منهم يتصرف حسب ما تدفعه إليه محصلة مركباته .. وحسب رغباته .. ومصالحه .
وسأل عبد اللطيف :

- وإذا ظلم غيره أو اعتدى عليه ؟

- كل منهم مسئول عن رد العدوان عن نفسه .. فلا أظن في قدرتنا أن ننزل لرد العدوان عن كل مظلوم .

وقالت شهيرة مستنكرة :

- هذه تصبح فوضى .

وقال عبد اللطيف :

- كان أولى بنا أن نتركهم في استرخائهم النباتي .. بدل أن نشير فيهم الرغبات ونتركهم يتصارعون .

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا في حزم :

- لا أظننا نستطيع أن نقف مكتوفى الأيدي لو عمت الفوضى في كوننا .. وإلا انتهى بالدمار .

ورد عبد القادر :

- ولعدنا كما كنا .. حكاما بلا رعية .

وهز عبد الراضى رأسه قائلا في سخرية :

- وكأنك يا بوزيد ما غريت .

وتنهذ عبد الحبيب قائلا في دهشة :

- لماذا تحاولون البحث عن المتاعب .. لماذا لاتدعونهم في حالهم ؟

وقال عبد اللطيف مستنكرا :

- ولكننا لم ندعهم في حالهم من أول الأمر .. بل بعثنا فيهم الرغبات .. وأكثرنا الفتنة .

وأكملت شهيرة :

- وبعد هذا نقول لماذا لاتدعهم في حالهم ! .

وقال عبد المهيمن :

— على أية حال .. إن علينا أن نراقب .. وستصرف حسب ماتحتمه
مستوليتنا علينا .. إننا على أية حال لن نقف سلبين تجاه رعيتنا .
وفجأة أشار عبد الراضى إلى اللوحة صائحا :

— يانهار اسود ..

وهتفت شهيرة :

— ماذا حدث ؟

— طبقوا فى بعض .

وقال عبد اللطيف :

— حرب .. بدأت الحرب بينهم .

ويدت اللوحة . كميدان قتال .

قاد أحد الزعماء قبيلته فى عملية غزو .. بعد أن أكد لقبيلته .. أن
أرضهم قد ضاقت بهم .. وأن الأرض المجاورة خيرها أكثر ورزقها أوفر .
وبدأ القتال .. بكل أنواع الأسلحة المتوافرة لدى الرعية .. بالعصى
والحجارة والآلات الحادة .. والأظافر والأنياب .

وصاحت شهيرة فى جزع :

— فظيع .. يجب أن نفعل شيئا .

وأكد عبد اللطيف قائلا :

— أجل .. غير معقول .. أن نتركهم هكذا يفنى بعضهم البعض .

وهز عبد المهيمن رأسه قائلا :

— أجل .. إننا كمستولين عن الرعية يجب أن ن تدخل وأن نوقف هذه

الحرب المريعة .

وتساءل عبد الحبير ببساطة :

— كيف ؟

ورد عبد القادر :

- ألاملك القدرة على توجيههم ؟
- أجل ..
- إذن نستعمل هذه القدرة فى وقف الحرب .
- نستعملها مع من ؟
- مع .. مع .. مع صاحبنا هذا الذى يقودهم إلى القتال .
- ولكن غيره من الطامعين فى مركزه .. سيحل محله .. ويواصل قيادتهم فى القتال .. ولو انتظرنا عليهم بعض الوقت .. لقضى عليه أحدهم .. وحل مكانه .
- نوجه المقاتلين أنفسهم إلى عدم القتال .
- إذا فعل البعض ذلك .. إما أن يقضى عليهم القادة بتهمة الخيانة .. أو يقضى عليهم خصومهم نتيجة استسلامهم .
- نوجه الجميع إلى الكف عن القتال .
- يحتاج الأمر إلى تغيير تركيبهم البشرى .. إلى نزع رغبتهم فى الطموح .
- ولماذا لانوجه طموحهم إلى الخير ؟
- خير من ؟
- خير أنفسهم .
- ولكنهم يعتقدون أنهم يعملون لخير أنفسهم .
- بالقتل ؟
- لم لا .. ألم نسلم بأن فناء كائن حى .. قد يكون ضرورة .. لحياة كائن حى آخر ؟
- فى مجتمع حيوانى .. أجل .. ولكن بعد أن تطور المجتمع .
- سلمنا بأن يأكل الإنسان الحيوان .
- أجل ..
- وسلمنا بالصراع الذى يحتمه الطموح .

- صراع فردى .. عندما تتعارض مصلحة أحدهم مع الآخر .. ولكنه ليس إلى درجة القتل .. وليس بالقتل الجماعى .

- هذ مسألة تحتاج إلى مجرد تنظيم .. وتقنين .. يوضح فيه ما هو محرم .. وما هو مسموح به .. أما عملية التوجيه .. فغير مستطاعة إلا بتغيير التركيبة البشرية .. وسلبها ما فيها من طموح .. والعودة بها إلى الطبيعة الهادئة السلبية .. التى تأخذ وتعطى بتلقائية .. لا إرادة فيها .. هل تريدون هذا ؟

وهز عبد القادر كتفيه وقلب شفته السفلى ثم قال فى استنكار :

- وأية قيمة تصبح لنا بعد هذا ؟

وعاد عبد الراضى يكرر جملة الساخرة :

- وكأنك يا أبو زيد ما غزيت .

ونظر إليه عبد القادر متسائلا فى غيظ :

- إيه أبو زيد .. الذى دوشتنا به ؟

- أبو زيد الهلالي .. كنا فيما مضى نسمع حكايته على الرابية ..

أنحبون أن أروى لكم شيئا من سيرته .. إنى مازلت أحفظ بعضها ؟

وضحك عبد اللطيف قائلا :

- أهذا وقته يا عبد الراضى .. الرعية تحارب وتكاد تقضى على نفسها .. والآلهة ملخومة .. وأنت تروى لنا أبو زيد الهلالي ؟

- نتسلى .. حتى تنفض المعركة .. بدل هذه الحيرة التى نحن فيها ..

ونظر إلى عبد المهيمن متسائلا :

- والا إيه يا باشمهندس ؟

ونظر عبد المهيمن إلى عبد القادر قائلا :

- ما رأيك ذيرنا يا عبد القادر ؟

- فى أبو زيد الهلالي ؟

- بل فى الحرب الدائرة أسفلنا .

وهز عبد القادر رأسه فى حيرة وقال :
 - ليس أمامنا - كما قال الدكتور - إلا أحد أمرين .. إما أن نتركهم
 يتقاتلون .. أو نعيدهم .. أشجارا .. كما كانوا .. فالشجر هو الحى الوحيد
 الذى لا يتقاتل ؟

وردد عبد اللطيف :
 - أجل .. إنه ينبت وينمو .. ويورق ويثمر ويثمر .
 وقال عبد الراضى متمتما :
 - ويؤكل ..
 وقالت شهيرة فى أسف :
 - أى يعتدى عليه ..
 وقال عبد اللطيف :
 - ويقتل العدوان فى رضا واستسلام .. كأنه وجد ليفنى فى سبيل غيره
 من الأحياء .

وهز عبد الراضى رأسه متأثرا وقال :
 - والله عالم نموذجى .. لست أدرى لماذا حورناه .. إلى ما أصبح عليه
 .. ألم يكفنا .. ما يفعل الناس على الأرض ؟ .. المقصود .. لافائدة من
 الكلام .. بعد أن وقع ما وقع .
 وقالت شهيرة فى قلق :
 - والآن ماذا قررتم أن تفعلوا ؟
 ووجد عبد المهيمن أن عليه أن يتخذ قرارا حاسما ..
 ولم يكن بالطبع يرغب فى أن يحكم شعبا من الشجر .. ووجد أن بشرا
 يتقاتلون .. خير من شجر آمن .
 وقال فى حزم :
 - إننا لن نعيدهم بالطبع أشجارا مرة أخرى ..
 وتساءلت شهيرة :

- إذن ماذا تفعل ؟ .
- نتركهم يتقاتلون ..
- وقال عبد القادر مؤكدا :
- إنهم ليسوا أول بشر يتقاتلون .
- ولا أول حرب تنشب فى الكون .
- ولم نسمع أن حربا .. أفنت البشرية .
- بل إنها قد تكون ضرورة .. من ضرورات الحياة .. حتى تأخذ بعض الزيادة البشرية وتزيل بعض التزامم الإنسانى .
- إن الصراع أمر طبيعى .
- ولابد أن نتركهم يعانون تجربته ..
- أجل .. يجب أن يخوضوا الحرب . ويعرفوا بلاءها بأنفسهم .. حتى يكفوا عنها .
- أجل .. أجل .. يجب أن يمروا بجميع التجارب .. حتى يعرفوا الطيب من الردىء .. والخير من الشر .. ويعرفوا ماذا يفيدهم وماذا يضرهم .
- وانتهى الحوار بين عبد المهيمن وعبد القادر بقول عبد المهيمن :
- هذه الرعية .. كالطفل .. يجب أن تكتسب حصانة بممارسة كل التجارب .. يجب أن تلدق المتاعب .. حتى تختار الطريق السليم بنفسها ..
- والا نشأت كالطفل المرفه .. تقضى عليه .. أبسط نزلة ..
- وبعد فترة صمت قال عبد الخبير :
- إذن اتفقنا على أن نتركها تحارب .
- وقال عبد المهيمن :
- أجل .. لندعها تحارب .
- وقال عبد الراضى مستسلما :
- تحارب .. تحارب .
- ثم اتجه برأسه إلى ناحية اللوحة التى يدور فيها القتال متمتما :

- دعوها تحارب . ودعونا نتفرج ..
- ويعد لحظة أردف فى حماس :
- والله فرجة هائلة ..
- ثم بدأ الفاظ التشجيع فى حماس .. وهو يرقب المعركة قائلا :
- أيوه .. اضرب .. اديله جامد .. دى طلعت آوت ..
- ونظر إليه عبد المهيمن فى استنكار قائلا :
- ما هذا يا أخينا ؟
- وقال عبد الراضى فى حماس :
- أنا مع الأهلى .
- ثم وجه التساؤل إلى عبد اللطيف :
- أنت مع الأهلى والا الزمالك يا أستاذ ؟
- وعاد عبد المهيمن يزجره قائلا :
- زمالك إيه .. وأهلى إيه ؟ ..
- وقال عبد الراضى مفسرا :
- الذين على اليمين هم الأهلى .. والذين على اليسار هم الزمالك .
- ثم عاد يصبح وهو يركز اهتمامه على اللوحة :
- اجمد يا أهلى .. صاب الحجر نافوخه .. بطحه .. دشدشت الشومة
- ضلوعه .. جابته الأرض .. ياسلام .. أهو كده الضرب ..
- وقال عبد اللطيف وهو ينظر إلى اللوحة :
- الزمالك .. حا يغلب .
- ابقى قايلنى .. شوف دى .
- ونظر عبد المهيمن إلى الاثنين وضرب كفا بكف وصاح مستنكرا :
- غير معقول .. هذه مسخرة .. هذا ليس شغل حكام أبدا .
- وأردف عبد القادر قائلا :
- هذا شغل جمهور درجة ثالثة .

وقالت شهيرة وهى تشيح بوجهها بعيدا عن اللوحة :

- هذا توحش ..

وهز عبد الراضى رأسه قائلا :

- نحن لسنا مسئولين عنه .. إننا مجرد متفرجين .

وقال عبد القادر :

- على أية حال .. لابد أن نتعود على هذه المناظر .. إننا سنصادف منها الشيء الكثير .

ورد شهيرة فى جزع :

- غير معقول .. إنى لم أكن أطيع منظر الملاكمة .. أو المصارعة فما بالكم بمجزرة ...

وهزت رأسها فى أسف قائلة :

- هذا ليس شغل آلهة .. إنه شغل بلطجة .

وقال عبد الحبيب وهويرقب الشاشة :

- أوشكت المعركة على الانتهاء ..

وتسائل عبد الراضى وهو ينظر إلى اللوحة فى حيرة .. دون أن يعرف أى الفريقين كسب الحرب :

- والنتيجة ؟

وقال عبد الحبيب :

- تضحضح الفريقان ..

وقال عبد المهيمن :

- لعل هذا يكون درسا قاسيا للرعية كلها ..

وتساءلت شهيرة :

- وأين الزعماء الذين أشعلوا نيران المعركة ..

- قتل أحدهم .. وانتحر الآخر.. ويبدو الثالث معلقا من قدميه فى شجرة ..

وانتهى القتال .. وعادت كل قبيلة إلى أرضها .. تعلق جراحها .. ولم يعرف أحد .. ولا الآلهة التي فوق .. من الذي انهزم ومن الذي انتصر . ولا من .. أخذ .. ماذا .. من الآخر .

ومن جديد .. عاد السلام إلى الكوكب .

وواصل البشر الحياة ..

حياة طبيعية .. تحتها .. مركباتهم .

استمر الطموح .. واستمر بروز أصحاب القدرات المتميزة عن القطيع .. يستمتعون بأكبر قدر من خير الأرض .. من الطعام .. والجنس .

وشبعوا .. فقد كانت طاقتهم على استيعاب المتعة محدودة ..

ودفعهم الطموح غير المحدود إلى التفتن في المتعة .. واستغلال جهد الغير .. من أجل الحصول على مزيد من المتعة .. بأقل جهد .

وتقاسم المتميزون استبعاد القطيع .. يستنفزون منه .. أكبر جهد .. بأقل أجر..

وزادت إمكانياتهم على جلب المتع .

فبحثوا عن المزيد منها .. وتفننوا في الاستمتاع بها .

عصروا الثمار.. فسكروا..

وطال الوقت لديهم .. بلاعمل .. وبلا جهد فقامروا..

ولم تعد اللهفة الجنسية .. وسيلة للتكاثر .. بل أضحت هدفا في حد ذاته ..

ومنعوا التكاثر .. حتى لا يحملوا عبثه .. وواصلوا متعة الجنس .. بكل مايلكون من قدرة .. وتفان .

ودار عقرب الساعة في السفينة .. يؤذن بمرور العام تلو العام .. والجماعة ترقب .. الرعاية ..

ونظر عبد الراضى إلى اللوحة وضرب كفا بكف :

- هاصت ..

وقال عبد اللطيف وهو يهز رأسه قائلاً :

- آخر فوضى .

وقال عبد الحبير :

- استعبد المتميزون من الرعية .. الغلبة فيها .

وقال عبد المهيمن :

- وسكرت الرعية .

وقال عبد القادر :

- وغرق بعضها فى الملذات وغرقت الأغلبية فى الحرمان .

وقالت شهيرة :

- ولم يعد هناك قيم للأخلاق .. هذه عاقبة .. « فروغية » العين التى

منحتموها للرجال .

ورد عبد المهيمن :

- من أجل ضمان التكاثر فعلنا ذلك .. وليس لمجرد العبث .

- ولكنها الآن صارت للعبث .. والاستمتاع .. إن التكاثر لا يخطر على

بالهم .

وقال عبد الحبير :

- لضرورة لأن يخطر على بالهم .. يكفى أنه يحدث تلقائياً .

وتساءلت شهيرة :

- أيعجبكم هذا الانحلال ؟

ورد عبد الحبير :

- طبعاً لا .

وقال عبد اللطيف ضاحكاً :

- إذا أعجبنا كبشر .. فلا أظنه يعجبنا كآلهة ..

وقالت شهيرة ..

- أيمكن أن نسكت على هذا ؟ ..

وقال عبد اللطيف :

- وماذا نستطيع أن نفعل .. ألم نرد رعية نحكمها .. هذه هى الرعية
ليست أسوأ منا .. عندما كنا نحن أنفسنا رعية ..

وقال عبد الراضى :

- الحال من بعضه بأستاذ .. دعوهم فى حالهم .

وقال عبد المهيمن فى استنكار :

- غير معقول .. إنه سبة فى حقنا ..

وقال عبد القادر :

- مافائدة وجودنا إذا كانت الرعية ..

وأكمل عبد الراضى مقاطعه :

- سائبة على حل شعرها ..

وأكد عبد القادر قوله :

- أجل .. يجب أن نوقفها عند حدها ..

وقال عبد المهيمن :

- لابد أن نفعل شيئا ..

ثم نظر إلى عبد الخبير قائلا :

- أظن من حماقة .. أن نتركها فى هذه الفوضى .. إن من حقنا .. بل

من واجبنا .. التدخل .. مارأيك يادكتور ؟

وأطرق عبد الخبير مفكرا ثم قال : بعد لحظة :

- أعتقد هذا .

وتساءل عبد الطيف :

- كيف ؟

وقالت شهيرة :

- نوجهها إلى الخير.. تهديها سواء السبيل .. إننا بذلك نكون قد

حققنا نصرا هائلا .. إنه يمكن أن يحدث ضجة فى الأرض . يمكن أن يكون

مانشيت غير معقول .

وقال عبد الحبير :

- مانشيت إيه يا شهيرة .. إننا نحاول أن نهدي رعية .. ولسنا فى
سبيل سبق صحفى .

وقال عبد المهيمن :

- ليس هذا وقته .. المهم أن نبدأ عملنا فوراً .

وقال عبد القادر متسائلاً :

- هل ستوجه الرعية كلها بالأشعة ؟

ورد عبد الحبير قائلاً :

- إن هذا يعتبر هدماً لمركباتها .

وتسأل عبد المهيمن فى دهشة :

- ماذا تقترح إذن ؟

- أقترح أن نوجه أحدها .. إلى هدايتها . أن نغير تركيبه . ونشحنه
بما نريد أن يهديها إليه ..

وقال عبد المهيمن مفكراً :

- معقول ..

وقال عبد القادر فى تردد :

- نجرب .

١٨ - الهداية

بدأت عملية إنقاذ الرعية من موجة الفساد والانحلال التى توشك أن تدمر كونها . وأخذت جماعة السفينة يبحثون عن وسيلتهم لهدايتها من الضلال الذى انحدرت إليه ومن تمادياها فى الانحراف والعبث .

كان لابد من وقف العدوان والظلم والاستعباد والسرقة والعتش والكذب والسكر والزنا . التى قادت إليها التركيبة البشرية .. وبدت كأنها أمر طبيعى تحتّمه الحاجة إلى الطعام والرغبة فى الجنس .. واللهفة على التميز بكل ما يجره من صراع ويدفع إليه من استغلال الغير فى سبيل التفوق فى سباق الحياة من أجل الحصول على أكبر متعة بأقل جهد .

وجلست الجماعة تتدبر أمر المختار الذى ستهدى به الرعية وقال عبد المهيمن وهو يرقب عقرب الساعة يتحرك :

— دعونا ننتهى بسرعة .. فالسنون ثمر سراجا .. ولقد أوشك قرن من حكمنا على الانتهاء ..

وتسأل عبد الراضى مستفسرا وهو يهز رأسه فى دهشة :

— قرن ١١؟ قرن إيه .. قللى ؟

ونظر إليه عبد اللطيف فى غيظ قائلا :

— قرن زمنى .. يعنى مائة عام .

وتسأل عبد الراضى وهو يبسط كفيه فى استسلام :

— مضى بنا مائة عام ؟ .. جائز .. كل شىء جائز فى هذه الدنيا

العجيبة .

وعاد عبد المهيمن يقول :

- إن علينا أن نسرّع بانتقاء الإنسان الذى سيهدى الناس من الضلال .

وأردف عبد القادر قائلا فى حزم :

- أجل .. يجب أن نوقف به هذا الفساد وهذه الفوضى .

وتساءلت شهيرة فى دهشة :

- ولكن هل سيستطيع ؟

- ولم لا ؟

- ألن يكون مجرد بشر .. واحد منهم ؟

- أجل ..

- إذن كيف سيقنعهم ؟

- بما سنوجه فيه من إشعاع الهداية .

وتساءل عبد اللطيف :

- وما هى المواصفات المطلوبة منه ؟

وقالت شهيرة :

- يجب أن يكون خارقا ..

ورد عبد الخبير متسائلا :

- لأظن !! إنه سيكون مجرد إنسان .

ورد عبد الراضى :

- مجرد إنسان .. يعنى عليه العوض .

- لماذا ؟

- لأنه سينغمر فى الهیصة .. وسيفعل كل ما يفعلون .

وقال عبد الخبير :

- إنى أقصد بمجرد إنسان .. أن يكون له كل صفات الإنسان .. فمن

خلال بشر منهم يمكن أن يقتنع البشر .. ولكنه يجب أن يختار جيدا .. وأن

تكون نسبة المركبات البشرية فيه .. قادرة أن تمكنه من أن يردع نفسه هو ..

عما يحاول أن يردع عنه الآخرون .. وأن يكون بطبيعته صالحا لأداء مهمة

الهداية .. بحكم جاذبية تركيبه لغيره من البشر .

وقال عبد اللطيف :

- إننا سنحتاج إلى وقت طويل لاختباره .. وبالحساب الزمنى للكوكب
قد يقضى نجه قبل أن يكتشف .

- لن تستغرق مهمة الاختبار أى وقت .. لأننا نستطيع استكشافه
بالعقول الإلكترونية فى لحظات .

وقال عبد القادر :

- إذن يجب أن نسرع .. إن الوقت سرقنا .. والفوضى قد شاعت .

ولم تستغرق المهمة - كما قال عبد الحبير - أى وقت .

بعد لحظة .. كان المختار قد بدا فى اللوحة .. على شاطئ عند أسفل
شجرة مورقة الظلال .

ونظر إليه الجماعة مأخوذين .

وتساءل عبد الحبير :

- ما رأيكم ؟

وردت شهيرة وهى تنظر إليه فى إعجاب :

- جميل ..

وأحس عبد اللطيف بالغيرة تلسع صدره فقال وهو يهز رأسه فى

استخفاف :

- شكله لطيف .. ولكنه مجرد رجل .

وتساءل عبد الراضى :

- أهذا هو الذى سيهدى .. هؤلاء الغجر ؟

وقال عبد الحبير :

- أجل ..

- والله سيأكلونه ؟

- لماذا ؟

- لن يخافوا منه .. إنه يحتاجون .. إلى « جثة » .. لو نفص واحد منهم يدا .. لجابه أرضا .
- وسأل عبد القادر فى دهشة :
- ماذا تظنه .. فتوة ؟
- وقال عبد الراضى مؤكدا :
- هذا الصنف الفاسد لاينفع معه إلا الدق .. وهذا رجل أمير .. وسيرونه نجوم الظهر .. اسمعوا كلامى .. هذه الرعية تحتاج إلى رجل بشومة يريهم جيدا .. وليس إلى هذا الرجل الطيب .
- ورد عبد اللطيف :
- يا عبد الراضى .. نحن لا نريد أن نعاقبهم .. إننا نريد أن نهددهم .
- وإذا لم يهتدوا ؟
- نهدهم بالعقاب .
- متى ؟
- بعدين .. فى الآخر .
- لاينفع .
- لماذا ؟
- يا أخى قلت لاينفع .. لايقف الذئب إلا عقاب عاجل .. أما العقاب المؤجل فكالدين المؤجل .. لايعمل الإنسان حسابه ..
- وقال عبد الحبير :
- العقاب العاجل هذا .. عقاب أرضى .. يمكن وضعه بتشريعات وقوانين .
- ومن الذى يضعها ؟
- هم أنفسهم .
- وماذا يفعل المختار إذا ؟
- إن المختار سيبشرهم بالصواب وبالخطأ .. ويوضح لهم نتيجة

حساناتهم وسيئاتهم .. ويدعوهم إلى الخير .. وينهاهم عن الشر .. ويوضح لهم أصول التعامل .. فإذا لم يهتد الضالون منهم ويرتدع العصاة .. فإنه سينذرهم بيوم القصاص .

وهز عبد الراضى رأسه غير مقتنع وقال مؤكدا :

- هذا كله كلام لا يجدى مع البشر.. الولد ابنى كان لا يردعه إلا القلم يرن على صدغه .. أما النصع .. والتخويف بالنار والإغراء بالجنة فذلك .. لم يدخل رأسه قط .

ثم صمت عبد الراضى برهة وأردف :

- ولا رأسى أنا ؟ .

وقال عبد المهيمن مستنكرا :

- نحن لا نستطيع أن نبعث لهم هاديا يرقع أصداعهم .

وقالت شهيرة :

- هذا ليس شغل آلهة .. وإنما شغل بلطجية ..

ورد عبد الراضى مستسلما :

- أمركم ! ..

وقال عبد المهيمن فى عجل :

- إن علينا أن نبدأ الهداية .. فالوقت يمر سريعا .. وقد مضى بضعة

شهور .. منذ أن بدأنا المناقشة .

وقال عبد الخبير :

- إننى مستعد لإرسال أول شحنة من شحنات الهداية إلى المختار.

وقال عبد القادر فى لهجة مترددة :

- ولكن .. كيف سيواجه الناس .. وهو بشر عادى ؟

- إنه ليس مجرد بشر عادى .. إنه مرسل من قبلنا ؟

- وكيف يعرفون ؟

وقال عبد اللطيف معقبا :

- بل كيف يعرفون .. من نكون نحن بالنسبة لهم ؟ إنهم لم يعرفوا شيئا
عنا .

ورد عبد الحبيب :

- ربما لا يعرفون .. ولكنهم يحسون أن هناك شيئا فوقهم .. أقدر منهم ..
بنفوسهم لهفة على أن يحملوه فى كثير من الأحيان .. مسئولية أنفسهم ..
ومتاعبهم .. وخطاياهم ويفزعون إليه .. فى الضيق .. ويسألونه وقت
الحاجة .. قد يتمثلونه فى حجر أو فى نجم .
وتساءل عبد القادر :

- ليس بالتحديد .. سيجمع هذا الشعور نحو القادر المجهول .. ليركزه
فى مسئول واحد .. بدل الحجارة والكواكب .. والشمس .. والنار .
وقال عبد المهيمن :

- إذن سنبقى مجهولين .

- مجهولى التفاصيل .. ولكننا معروفو القدر والجهد والعمل ..
ولم يبد علي وجه عبد المهيمن الارتياح .
وقال عبد القادر :

- ولكن .. المفروض .. أن يكون هناك نوع من التعريف .. والتقدير .
كيف ؟!!

وقال عبد الراضى ببساطة :

- مثلا .. تعلق صور الكابتن عندهم ..

ورد عبد الحبيب باستنكار:

- أهذا معقول :

ثم أردف بعد لحظة :

- إنها تصرفات أرضية .. إنها إقلال من مركزنا .

وقال عبد اللطيف :

- ثم لماذا صورة الكابتن .. ألسنا قيادة جماعية ؟

- وقال عبد الراضى :
- إذن نتصور صورة جماعية .. ونرسل منها آلافا على الكوكب .
وسألت شهيرة :
- كيف ؟
- نلقئها من هنا كما تلقى المنشورات .
- وقال عبد اللطيف وهو يضرب كفا بكف :
- ياناس .. هذه فضيحة .. تصوروا صورة آلهة .. تلقى على البشر
من فوق كالمنشورات .. غير معقول .
- وقال عبد الراضى ببساطة :
- والله نوفر لهم .. تكاليف الطبع والورق .. ما رأيك يا كابتن ؟
- وقال عبد المهيمن يفكر:
- نرسل إليه صورة ستة ..
- وقال عبد اللطيف فى سخرية :
- كأنها إحدى فرق الرياضة المدرسية .
- وقال عبد الراضى مؤكدا :
- وأنت فى الوسط يا كابتن .
- وهز عبد المهيمن رأسه وقال مستنكرا :
- لا .. لا .. إنه قلة قيمة .. ستضيع هيبتنا ..
- وقال عبد القادر:
- من الخير أن نبقى هكذا مجهولين .. لندعهم يتصورننا كما يشاءون .
- وقال عبد المهيمن :
- أجل .. إن تخيلاتهم ستجعلنا .. أروع من أية صورة يمكن عملها .
- ووجه القول إلى عبد الحبير قائلا :
- هيا يادكتور .. ابدأ عملك .. أرسل الشحنة إلى المختار .
- وتسأل عبد اللطيف :

- ولكن كيف سيقنعهم .. أنه مختارنا ؟ ..

وأردف عبد القادر قائلا :

- لابد من دليل .

وقالت شهيرة :

- معجزة !؟

وقال عبد الراضى ببساطة :

- يرمى العصا .. تصبح ثعبانا .

وبدت الحيرة على عبد الحبير وقال :

- العصا .. تصبح ثعبانا !!؟

ثم عاد يتمتم مفكرا :

- العصا .. ويمكن تدبيرها .. ولكن الثعبان .. مشكلة .

وقال عبد القادر :

- ياأخي دبرها بأى شىء .. تمساح .. قرد .. أى شىء .. المهم أن ..

بضرب العصا .. فتصبح شيئا يجرى .

واستمرت الحيرة تبدو على وجه عبد الحبير وهو يتمتم قائلا :

- ثعابين وقماشيح وقردة ..

وقال عبد الراضى مستنكرا :

- غلب حمارك .. والاسم . سيطرة .. وحكم .. وتأله .. والله لو

مرزوق الحاوى هنا .. لعملها .. لقد كان يحول الثعبان إلى فطيرة بزيت ..

الله يرحم الأرض واللى عليها ..

ورد عبد الحبير فى غيظ :

- ياعم عبد الراضى .. نحن هنا لسنا حواه .. نحول الثعابين إلى

فطيرة . إن مهمتنا اسمى من هذه الألاعيب .

وقالت شهيرة :

- إذن اجعله يبصر الأعمى .. أو يحيى الميت .

وقال عبد الراضى :

- أظن هذا ليس بشغل حواه .. أرنا شطارتك .

وقال عبد الحبير :

- إحياء الميت ؟ ! جائز .. يمكن إجراء عملية زرع قلب .

قال عبد اللطيف :

- لا يادكتور .. عملية زرع القلب .. تحتاج إلى بنج وهيصة . وقد

تنجح أو لا تنجح .. وليس هذا شغل معجزات .. يجب أن يحييه بلمسة .

- بلمسة ؟

- أجل هذه هى المعجزة .

- أو نوحى إليه برسالة .. يعجز بشر عن قولها .

وبدا الشرود على وجه عبد الحبير واستغرق برهة فى التفكير ثم قال

فى ضيق :

- لماذا تعقدونها هكذا .. أليس المهم أن يأتى بأشياء يعجزون عنها ؟

وقال عبد اللطيف مؤكدا :

- أشياء تبهرهم .. وتذهلهم .

وقال عبد الحبير :

- هذه ليست معضلة .. إن جهاز ترانزستور بدائى بسيط .. يمكن أن

نوحى إليه بتركيبه .. ثم نرسل له عليه مانشاء من موسيقى وأصوات مختلفة

.. سيحدث به ضجة وسطهم .. سيبهرهم به .

وضرب عبد الراضى كفا بكف قائلا :

- ياناس يا عالم ! ..

- ما بالك ؟

- أسنصبح فى آخر العمر .. آلهة ترانزستور.

- وماذا فى ذلك ؟ .. إننا لو دبرنا له جهازا صغيرا .. أؤكد لكم أنه

.. سيصنع به المعجزة .

وتسأل عبد القادر :

- ولكن كيف يصنعه ؟

- بأشعة التوجيه يمكن أن نجعله يصنع جهازا بسيطا من الخامات المحلية
فى الكوكب .

وتسأل عبد المهيمن :

- أهذه ستكون كل معجزته ؟

- أليست كافية ؟ .. إنه سينطق الجماد .. وسيبعث الموسيقى من

الحجر ..

وهز عبد المهيمن رأسه وهو يقول :

- دعونا نر ..

وأردف عبد القادر :

- لنجرب إلى أى حد تنفع المعجزة .

ونظر عبد اللطيف إلى عبد الراضى ضاحكا :

- لوأحضرت الراديو الذى كنت تعلقه فى رقبته .. طالع نازل فى المجلة

.. لأصبحت هنا ذا شأن .. لكنت صاحب معجزة .

وقالت شهيرة :

- كنا قذفنا به على الكوكب .. وجعلناه مختارا ..

وقال عبد الراضى فى حماس :

- كنت ربيتهم .. وأمشيهم على العجين .. أنا أعرف أن البشر لا تنفع

معهم غير العين الحمراء .. ولكن مادمتم قد أخذتم هذا الجدع الأمير .. فلنر

ماذا سيفعل .

وبدأت عملية الهداية فى الكوكب .

أرسلت إلى المختار الشحنة .. واهتدى إلى عمل الترانزستور.

وبدأ رسالته بين الناس ..

أنبأهم أنه قد اختير لهدايتهم .

ونهاهم عن الشر والضلالة .. القتل والسرقة والغش والكذب وحذرهم من
الميسر والخمر والزنا ...

ولم يعبأ به أحد .

كانت متعة الذنوب أشد جذبا .

وبدأ يلوح بالحجر الناطق .. صدرت منه أصوات هادرة تارة .. وناعمة

أخرى .. وفزع الناس .. من المعجزة الصغيرة .

التفروا حولها .. فدعاهم إلى الهداية ..

وشد البعض إلى حديثه .. وسخر منه البعض الآخر .

وبقدرته على الجذب .. ويقوة منطق هدايته .. بدأ التفاف الناس

حوله ..

وأثار التفاف الناس حوله انتباه المتميزين من قادة .. وحكام ..

وبدأوا يخشون على نفوذهم منه .. ويفارون على مراكزهم ..

وأثارت دعوته دعوة مضادة ..

وبدأ الهجوم عليه ومطاردته ..

وشكلت الدعوة والدعوة المضادة .. نوعا جديدا من الصراع .. بين

أتباعه .. وخصومه .

وفرجئت جماعة السفينة .. بعملية الهداية .. تتحول إلى معركة .

وصاح عبد الراضى فى فزع :

- الحقوا .. الضرب للركب .

وصاح عبد اللطيف :

- يانهار أسرد .. الفجر يهاجمون المختار وأنصاره ..

وقال عبد المهيمن وهو ينظر إلى المعركة فى جزع :

- مصيبة .. يجب أن نفعل شيئا ..

وقال عبد القادر :

- أجل . غيرممقول أن نترك مختارنا يضرب .

- وصاحت شهيرة فى جزع :
- من فضلكم الحقوه .. حرام .. حرام ..
- وتسأل عبد الخبير فى دهشة :
- ما كل هذه الولولة ؟
- ورد عليه عبد اللطيف زاجرا :
- يا أخى .. اختشى على دمك .. الحق الراجل بتاعنا .
- وماذا تريدون منى أن أفعل ؟ ..
- وقال عبد الراضى فى حماس :
- سيبنوى عليهم .. أصبح فيهم .
- وقال عبد المهيمن :
- أجل .. إنها هزيمة لنا نحن .
- وسأل عبد الخبير ببرود قائلا :
- هل تريدون أن ندخل فى معركة مع البشر ؟
- وصاح عبد الراضى :
- آلهة تدخل فى خناقة مع البشر .. أسمعتم عن هذا ؟
- وقال عبد الراضى :
- إنهم غجر .. وليسوا بشرا .. الحق المختار .. إن أحدهم يحاول أن يقترب منه بشومة .
- وصاح عبد المهيمن :
- لا يمكن أن يضرب .
- ولماذا ؟
- لأنه .. لأنه .. قد يموت .
- وماذا يحدث ؟
- المختار يموت ؟
- أليس بشرا ؟

— يجب ان نحميه .. يجب أن ننصره .
 — إننا لانستطيع أن نكون طرفا فى معركة .. لقد أرسلنا لهم الهداية .. من أجل أنفسهم .. فليقبلها من يشاء وليرفضها من يشاء .. وكل منهم يحمل مسئولية .. تصرفه .. إننا منذ البداية رفضنا مبدأ التدخل الفردى فى شئونهم .. وقررنا أن نتركهم يتحركون بمركباتهم .
 وقال عبد اللطيف فى غيظ :

— يا أختى .. إن حصيلة مركباتهم .. ضد كل أنواع الهداية .
 — ليستت ضدها على الإطلاق .. إن حصيلة بعض المركبات تتجه أحيانا إلى الخير .
 — ولكن المركبات البشرية فى جملتها تدفع إلى الخطايا .. متعة الطعام ورغبة الجنين ولهفة الطموح والتميز .
 إنها كلها تدفع إلى صراع .. تقود إلى الخطايا .. إننا نتهب المتع .. ونختطفها اختطافا .. وكل قبضة متعة يدفع إليها تركيبنا البشرى .. تشكل ذنبا ..

وقال عبد الحبير:
 — وماذا فى ذلك ؟ .. إن الخطايا جزء من البشرية .. إنها أحد معالمها الهامة .. وبغيرها .. تصبح صورة البشرية .. ناقصة شواء ..
 وفجأة صرخ عبد الراضى جزعا :
 — يانهار أسود .. المختار مات ..
 وانطلق الصوات مدويا من حنجرة شهيرة .. وعلا البكاء .
 — يا حرام .. لقد كان خير من فيهم .
 وقال عبد اللطيف :
 — لقد جنينا عليه .. نحن الذين دفعناه إلى ذلك .. إن دمه فى عنقنا .
 وقال عبد المهيمن فى أسى:
 — ضاعت قيمتنا .

وأردف عبد القادر :

ـ واهتز مركزنا .

ـ كان يجب أن نتدخل .. كان علينا أن نحميه .

وقال عبد الخبير :

ـ لانستطيع أن نتدخل لحماية أحد .. يجب أن يمارس كل مخلوق

حياته .. ويخوض الصراع مع نفسه ومع الآخرين ويتحمل مسئولية .. حركته

الإرادية .. ومسئولية قدرته على الصراع مع القوى المضادة .. التى تتحرك

فى مجاله . وقال عبد اللطيف :

ـ والآن ماهو مصير الكوكب بعد أن ضاع مختارنا .. وانتهت رسالته ؟

وقال عبد الخبير :

ـ إنه لم يضع .. إنه الآن قد وجد .. ولم تنته رسالته .. بل بدأت .

ولم يتجاوز عبد الخبير الحقيقة .

فقد أكد موته .. وجوده الحقيقى بين الناس .

وحددت وفاته .. بداية رسالته بينهم .

بعد موته .. زاد أنصاره .. وسرت رسالته سريان النارفى الهشيم ..

وفوق حفرة ثوى فيها .. قامت قبة .. أضحى لها من الأثر فى الناس

أضعاف أضعاف ماكان لشخصه قبل أن يثوى تحتها ..

واتسعت رقعة نفوذه ..

وأصبح لأتباعه .. قداسة .. لم يحلم بها هو ..

وتحرك عقرب الساعة ..

وزادت القباب على الأرض .. يثوى فيها الأتباع وأتباع الأتباع ..

وزاد التفاف الناس حولها ..

وأضحت القباب .. مجالا للهداية .. وأضحى للهداية .. مراسم ..

وطقوس .. وأسرار .. وطلاسم .. لايقدر على حلها إلا أصحاب الهداية .

وتحولت الهداية إلى حرفة .

والحرفة إلى نفوذ وسلطان ..
ونسى أصحاب الهداية .. الهداية ذاتها .. فقد غلب على تفكيرهم الاحتراف
المهنى .. ولم يعد جوهر الهداية .. يشغل رؤوسهم .
ولم يعد غريباً .. أن ينهى سارق عن السرقة .. أو يحرم زان من الزنا
.. ويحذر كذاب من الكذب ..
فلم يعد شروط الهداية اتباع أصولها .. وإنما معرفة .. أسلوبها
وممارستها على الغير .
وضاعت جماعة السفينة وسط .. فيض الهادين المحترفين ..
ونظر عبد اللطيف إلى اللوحة ذات صباح وهتف قائلاً :
- يا عالم .. هل للهادين من هاد ؟
وهز عبد المهيمن رأسه فى يأس وقال :
- لافائدة .. لقد عاد العالم إلى فوضى أشد .. استغلال واستعباد
وظلم . وسرقة .. وغش وسكرو عريضة .. واستأسد المتميزون والزعماء
والحكام الهداة ... ونهبوا الأقوات .. ولم يتركوا للناس غير الفتات .

١٩ - الغضب

جلست جماعة السفينة يرقبون اللوحة فى حيرة .
لقد تحولت الرعاية ... إلى قلة مستغلة .. وكثرة مستعبدة .
دفعنا رغبة التميز والطموح .. واستحوذ الفرد على أكبر قدر من
ملكية الأشياء .. إلى التدافع بالمناكب فى طريق الحياة ..
ومنح المتميزون - الكوكب - خلال سباق الطموح الذى يخوضونه ..
الكثير من مظاهر التقدم .. والتطور .. مما استطاعوا أن يقدموه من
ابتكارات الذهن .. أو من خلال تنظيم العمل واستغلال جهدهم لإنتاج
أكبر قدر من أسباب الرخاء .. أو من خلال قيادتهم فى العدوان على أرض
الآخرين ونهب مواردهم .. وبدأت جماعات المتميزين تستعبد جماعات
بأكملها ممن لم تعرف التميز بعد . وتستغل جهودها وتحتكر خيراتها ..
بممارسة القوة والعنف .
وكانت حصيلة الرخاء بعد كل هذا تتجمع فى أيدي القلة المتميزة التى
تقود القطيع بعد أن يكاد القطيع فى إنتاجها .. أو يمارس العنف مع الآخرين
فى الحصول عليها لقاء الكفاف الذى يكاد يبقيه قادرا على مواصلة العمل
من أجل استخراج أسباب الرخاء .
وفى سباق الطموح والتميز .. طوت القلة .. الكثرة تحت أقدامها .
ومع الزمن .. لم يعد تميز الفرد فى التركيب هو وحده القادر على دفعه
أمام الآخرين ..
ولكن بات السبق نوعا من الميراث يمنح للذرية .. رغم انعدام ..
مركبات التميز بينهم .

استطاع الأقوياء والأذكىاء .. وأصحاب المواهب والأشرار .. والخبيثاء ..
والبخلاء وغيرهم ممن يملكون مركبات التميز .. أن يتقدموا السباق وأن
يحصلوا على قدر أكبر من أسباب الرخاء فى جيل من الأجيال .. واستطاعت
ذريتهم .. ممن لم ترث مركبات التميز .. أن ترث أسباب الرخاء جاهزة ..
وأن تحتل مكانا فى السباق .. وضعت فيه دون أن تملك القدرة على الوصول
إليه .

اعتلت القلة المتميزة .. القمة .. ووضعت فيها ذريتها .. واستمرت
الكثرة من البسطاء .. عديمى التميز .. من أصحاب المركبات العادية ..
تكبد فى السفح .. لتيسر أسباب الرخاء للجالسين على القمة ..
ووجد الحكام الكبار فى السفينة .. رعييتهم .. غرقى فى بحر من
الحرمان والشقاء والتعاسة .. والقلة القليلة تستأثر بما فى أرض الكوكب من
خيرات وتستمتع بكل أسباب الرخاء والرفاهية .
وتبادلت الجماعة نظرات الحيرة والقلق .
وقتم عبد اللطيف قائلا :

- أهذا معقول ؟ .. كل هذا الحشد الهائل يكبد ويكدح ويتقاتل من أجل
أن تعيش هذه القلة متخمة .
ورد عبد القادر :

- وماذا نفعل لهم .. لقد استطاع الآخرون بتميزهم أن يحصلوا على
ماحصلوا عليه .

وأشار عبد اللطيف إلى مكان فى اللوحة قائلا :
- وهذا الفتى الأبله الذى ورث حكم هذه القبيلة هل يملك من صفات
التميز ما يبرر له كل هذا السبق الذى حصل عليه ؟
ورد عبد القادر :
- هذه تركة أبيه ..

وعاد عبد اللطيف يتسائل وهو يشير إلى مكان آخر فى اللوحة

— وصاحبنا هذا الذى يملك كل هذه الأراضى .. إنه لم يعد يستعمل مركبات التميز فيه .. لقد تبلدت كل مركباته .. وباتت ممتلكاته .. وتبعية الآخرين له .. واحتياجهم إليه .. هى وحدها .. مبررات التسلط .. وأسباب السيطرة ومنابع الرخاء والرفاهية لشخصه .

وتساءل عبد المهيمن فى حيرة :

— وماذا نستطيع أن نفعل ؟

وقالت شهيرة :

— نفعل أى شئ .. ينقذ الرعية من هذا الحرمان والشقاء .

وقال عبد الراضى :

— إياكم والهداية .. لقد باتت حرفة الهداية .. إحدى وسائل الاستغلال والاستعباد .

وأشار عبد الخبير إلى مكان ما فى اللوحة قائلاً :

— معك حق يا عبد الراضى .. هذا الرجل الذى أطلق لحيته .. قد أضحى حاكماً بأمره وبأمر الهداية ..

وقال عبد الراضى :

— وقد طاح فى الرعية .. يفعل فيها ما يشاء .. إلا الهداية .

وقال عبد المهيمن :

— غير معقول أن نسكت على كل هذا .. لابد من تغيير شامل .. فى أسلوب حياة الرعية .

وتساءلت شهيرة :

— كيف .. ؟

وقال عبد المهيمن :

— إما أن نزيل هذه القلة التى تستأثر بكل ما فى الكوكب من خيرات .

وهز عبد الخبير رأسه وقال مستنكراً :

— ونترك الكوكب بلا موهوبين يهيئون له التقدم والإزدهار وبشكرون

بمواهبهم أسباب الرخاء .

وردت شهيرة :

- ولكنهم يسخرون المجموع لإنبات الرخاء ويحصدونه لأنفسهم .

وقال عبد اللطيف : ولو حرمانا المجتمع من موهبيته .. لاستثأرهم بالرخاء .. لاستأثر به المدعون من بين القطيع .. حتى يأتوا عليه دون أن يملكو ابتكار المزيد من أسبابه ..

وقل عبد المهيم في اقتناع :

- أجل .. معكم حق .. ليس من الحكمة حرمان المجتمع من موهبيته .. ولكن الحكمة في أن نقيهم ونخضعهم له .. أن نجعلهم يعملون من أجل كل الناس .. وليس من أجل أنفسهم .
وتساءل عبد الراضى ببساطة :

- لماذا ؟

ورد عليه عبد القادر متسائلا في استنكار:

- لماذا .. لماذا ؟

- لماذا يعملون .. إذا كانت نتيجة كدهم ستؤول إلى الغير ؟

وقال عبد المهيم :

- لأن كد الناس أيضا سيذهب إليهم .. إن الجميع سيعملون .. وسيتقاسمون بالعدل نتيجة عملهم .
وقال عبد الحبيب :

- الكل من أجل الكل ..

وأكد عبد المهيم قوله :

- أجل .. ليصبح كل شيء على الكوكب ملك كل الناس فيه .. وليعمل الكل .. من أجل الكل .. وليوزع ناتج الكل .. على الكل .
وتساءل عبد اللطيف :

- والذي لا يعمل ؟

- وأجابه عبد القادر :
- لا يحصل على شيء .
- ربما كان عاجزا عن العمل .
- تؤمن له وسائل العيش بواسطة الكل .
- والذي يعمل أقل ؟
- يأخذ أقل .. والذي يعمل أكثر يأخذ أكثر .
- وماهى مقاييس العمل .. الكم .. أو الكيف ؟
- الاثنان ..
- وإلى أى مدى يجزى الأكثر عملا ؟
- إلى الحد الذى يمنحه الحياة الطيبة .. دون أن تتحول حصيلة عمله .
- إلى وسيلة للاستغلال ..
- تعنى أن يصبح العمل وحده وبطريقة مباشرة .. هى الشيء المجزى
- فى الحياة .. ولا تصبح مضاعفاته .. هى الوسيلة غير المباشرة .. للرخاء .
- أجل .. فلكى ينعم الإنسان لابد أن يعمل .. العمل فقط هو
- المستخرج لوسائل الرخاء .
- وقال عبد الراضى وهو يهز رأسه فى حيرة :
- ماذا تعنون . وأى جديد فى هذا ؟ طول عمرنا .. لانحصل على
- اللحمة إلا بالكد .
- وقال عبد المهيمن :
- نحن لانعنيك يا عبد الراضى ولانعنى أمثالك من الرعية التى يمتلىء
- بها الكوكب .. إنما نعنى أصحاب الأموال المكدسة .. التى تصبح وحدها ..
- الوسيلة .. لانتزاع الرخاء .. بواسطة جهود الرعية .
- وقال عبد اللطيف بعد فترة صمت :
- هذا كلام طيب .. ولكن كيف نطبقه ؟
- وقال عبد القادر :

- هل نجرب الهداية مرة أخرى ؟

وهز عبد الحبير رأسه فى شك :

- لا أظنها يمكن أن تجدى .. بعد أن كفرت الرعية بمحترفى الهداية ..
بعد أن تحولوا إلى مستغلين أو أتباع للمستغلين .. وبعد ما طمس زخرف
الهداية الزائف جوهرها الأصيل .. وبدل أن تكون وسيلة للتقدم أصبحت
حائلا دونه وضاع الإيمان بالخالق فى خضم الخرافات والأباطيل .

وقالت شهيرة :

- ولكن لماذا لا نحاول أن نهدى القلة المستغلة المتحكمة لعلها تقتنع
بالحسنى بإعطاء الرعية حقوقها .. وتنظيم توزيع ناتج العمل بينها بطريقة
عادلة ؟

ورد عبد الحبير :

- قد يقتنع البعض .. بل إن البعض يمارسه فعلا .. ولكن الكثرة لن
تسلم بترك ما فى يدها .

وأردف عبد المهيمن متمما قوله :

- إلا إذا انتزع .

وتساءل عبد اللطيف :

- كيف .. إذا كانت الهداية لم تنفع ؟

ورد عبد المهيمن :

- قد ينفع الغضب

- غضب من ؟

- غضب الرعية كلها .

- سيصبح الكوكب فوضى .

- قد تعم الفوضى فى أول الأمر ولكن بعضهم سيبرز لتنظيم الغضب .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى دهشة :

- أهذا كل ما وصلنا إليه ؟

وسأله عبد اللطيف :

- ماذا تعنى ؟

- أعنى بعد كل هذه الحيرة .. والمناقشة .. لم نجد حلا سوى أن نزع
الرعية ..

- ليس مجرد زعل .. بل غضب .

- وهى ناقصة غضب يا أستاذ ؟

وقال عبد الحبير :

- نرفع درجة الغضب .

وأكد عبد القادر :

- إلى درجة الغليان والانفجار .

ورد عبد الراضى فى جزع :

- ياساتر .

وهز عبد المهيمن رأسه مؤكدا :

- لم يعد بد من هذا .. إنها الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الرعية من وهدة

الحرمان والشقاء التى تتردى فيها .

ونظر إلى عبد الحبير قائلا :

- هيا يادكتور .. ابدأ أعملك .

وبدأت موجة الغضب فى الكوكب .

تدفقت الرعية .. تهدر وتزأر . ووقع الصدام .. بين الرعية المحرومة

الزاحفة فى السفوح .. والقلعة المستغلة المتخمة المترعة على القمم .

ولم يستغرق الصدام كثيرا ..

قطفت الصحة المتميزة .. وطوتها الأقدام .

واستمر الغضب ..

لم ينه قطف الصحة .. حال الحرمان والشقاء .

ونبتت من بين الرعية صحة مستغلة أخرى . سرعان ما قطفت ..

ويدت فى اللوحة رموس تتدحرج .. يربطها خيط أحمر من الدماء ..
وانقضت الرعية فتتك .. وتحطم .. وتدمر .
ويدأ بعض المتميزين يبرزون لقيادة الغضب .. وتنظيمه ..
وانقسم أهل الكوكب إلى جماعات متعددة .. حسب درجات الغضب
فيها ... ونتأجه وتنظيمه .
جماعة .. كان الغضب أهدأ .. فانتزعت الرعية من القلة المتميزة
بعض حقوقها .. التى تمنحها درجة من الرخاء والأمان .. بعمل أقل وأجر
أكبر وأمان من العجز .. كما منحت حق الشكوى من الظلم والاحتجاج عليه .
وبقيت القلة تسيطر على موارد الرخاء .. وتنظم فيها جهد الرعية وإنتاجها .
وجماعة بلغ الغضب أشده .. فانتزعت الرعية كل شيء .. ولم يعد
أحد منها يملك أى شيء .. وبات الكل يملك الكل .. والكل يعمل من أجل
الكل .. والكل يوزع على الكل .
وجماعة أبرز الغضب فيها فردا متميزا .. جمع قيادة الكل فى يده
.. ودفع بهم فى طابور منتظم من أجل العمل الشاق فى سبيل تحقيق
الرخاء للجماعة وفى سبيل تميزها عن الجماعات الأخرى .. والعدوان عليها
.. وتحقيق السيادة عليها .. من أجل توسيع رقعة مجده وسيطرته .
وبقيت جماعة .. خارج نطاق الغضب .. لأنها لم تعرف التميز .. ولا
التطور والتقدم .. وأضحت تمثل للجماعة الأخرى .. مناطق نهب وعدوان ..
واحتكار للموارد .. واستغلال للجهد .. وبعد هذا كله مناطق صدام
وصراع .. بين الجماعات المتميزة من أجل السيطرة والاستعباد .
وجلس جماعة السفينة يرقبون الكوكب .. وما أسفر عنه غضب
الرعية .
وأمسك عبد اللطيف بأنبوية فى يده ليلتلع ما بها وهو يعن النظر فى
اللوحة أمامه .
وربت عبد الراضى ركبته فى رفق متبها :

- يا أستاذ .. لقد ابتلعت الأنثوية كلها .
- ومالك أنت ؟
- المفروض أن تبتلع بعضها فقط .. حتى يكفيننا الطعام لآخر الشهر .
- وإذا انتهى قبل آخر الشهر ؟
- نموت جوعا .
- وإذا انتهى آخر الشهر ؟
وتردد عبد الراضى برهة قبل أن يجيب فى حيرة :
- نموت جوعا بالطبع .
- معنى تفرق لها يومين .. ؟
- على رأيك .. نموت بعد شهر .. أو بعد عشرين يوما .. لاتفرق كثيرا ..
.. والمسألة كلها لاتستحق ..
- تقصد مسألة الحكم .. وتوجيه الرعية .
- أجل .. إنها لعبة لم تدخل مزاجى كثيرا ... هؤلاء الناس ..
متعبون .
وكانت شهيرة قد تمددت على مقعد فى استرخاء .. وعبد الحبيب وعبد
القادر يتشاغلان فى فحص بعض الأجهزة .. وعبد المهيمن يرقب اللوحة فى
اهتمام .
وقال عبد المهيمن يعلق على قول عبد الراضى :
- إن حالهم الآن يبدو أفضل .
وهز عبد الراضى رأسه قائلا فى غير اكتراث :
- معنى !!
وتساءل عبد المهيمن :
- ما الذى لا يعجبك فيهم ؟
- كلهم على بعضهم ..
ووجه عبد المهيمن السؤال إلى عبد اللطيف :

- ما رأيك يا أستاذ عبد اللطيف ؟

وكان عبد اللطيف يرقب نقطة معينة فى اللوحة وهو يهز رأسه قائلاً فى

حيرة :

- إن الزمن هو أسوأ ما فى الأمر .. إننى لا أكاد أستمتع واحدة حتى

أجدها قد طارت .. لقد أعجبت حتى الآن بخمسة أجيال .. لا تكاد الواحدة

منهن تنضج حتى أجدها قد عجزت .. وماتت .

وضحكت شهيرة قائلة :

- ومن تحب الآن ؟

- هناك أميرة سابقة .. هاربة من الغضب .

- لماذا لا تنقذها ؟

- المفروض أن أفعل .

وقال عبد الراضى :

- دعها فى حالها يا أستاذ.

وأقبل عبد القادر يقول فى حزم :

- المفروض ألا نتدخل فى شئون الرعية .. إنها كما قلنا تتصرف حسب

حصىلة تركيبها ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلاً فى احتجاج :

- إنها توشك أن تشنق .

ورد عبد القادر :

- إن إرادتها تصطدم بإرادات المخلوقات المقاطعة لطريقها .. هذا هو

قدرها ..

وقال عبد اللطيف فى أسى :

- إنها رقيقة .. جميلة .

ونظرت إليه شهيرة وقالت فى شبه لوم :

- تبدو كأنك أحبتها .

وقال عبد الراضى :

- دعيه ياست شهيرة .. كلها بضع ساعات .. وتنتهى .. إذا لم تمت
شقا .. فستمت بالشيخوخة .

وعاد عبد المهيمن ينظر فى اللوحة قائلا :

- لا داعى لتضييع الوقت فى هذه المخلوقة .. أيا كانت .. لتمت أو
تحيا .. إنها مجرد قطرة فى بحر .. نحن مسئولون عن الرعاية كلها .. ما
رأيكم الآن فى حالتها ؟

وقال عبد اللطيف ببساطة :

- زفت .

- كيف ؟

- هذه الجماعة التى منحت الرعاية بعض الحقوق .. مازالت القلة
المتمييزة تسيطر على كل المقادير .

- ولكن الرعاية تحيا فى رضا .

- لأنها تستعبد .. جماعة أخرى .. إنها تنهب مواردها وتستغل
جهودها .. لقد أصبحت أراضى هذه الجماعات .. عزبا للجماعات الأخرى
.. وأصبح أفرادها عبيدا لهم .. لقد تطور استغلال الفرد للفرد .. إلى
استغلال الجماعة للجماعة . أتراهم كيف ينقلون آلاف العبيد .. كأنها قطعان
ماشية ؟ .. أتراهم كيف يسخرونهم فى الأرض .. ليستخرجوا خيراتها
بأبخس الأجور .. ليعيدوها إليهم بعد إعادة صياغتها بأعلى الأثمان .. من
أجل أن تعيش رعاية الجماعة المستغلة فى رخاء ..

وقال عبد الراضى فى حماس :

- كلام مضبوط .

وتساءلت شهيرة :

- وما العمل ؟

ورد عبد الراضى ببساطة :

— شوية غضب .. وتحل المسألة .

وعاد عبد اللطيف يقول :

— والجماعة الأخرى .. يتحكم فيها فرد .. وسيطر على مقاليدها ..
نفخ فيها الفرور والتميز .. وصدقت أنها من طبقة أفضل من غيرها .. وأن
عليها السيادة .. وعلى الغير الخضوع .. وطاحت فى جبروتها .. وهددت
بإخضاع الكوكب كله لأمرها ..

وقال عبد الخبير مؤمنا على قوله :

— أجل .. إنها تهدد كل من حولها .. ولا يستبعد أن تشيع الدمار فى
الكوكب .

واستطرد عبد اللطيف يقول :

— والجماعة الرابعة .. أغلقت على نفسها الأبواب .. تعيش فى حذر
ووسوسة .. تخشى الفتنة من الداخل والخارج .. أعطت الكل للكل ..
ولكنها ترهب الكل .. خوف الفتنة .. وسادت العمومية .. حتى فقد الفرد
خصوصيته .. ضاعت الفتنة مع نفسه .. والفتنة مع الآخرين .. بات يعيش
فى ذعر من كل ماحوله ومن حوله .. يرقبهم فى خشية وكأنه متلبس بذنب
مجهول حتى من نفسه .. أوكأن جسده شفاف لا يستطيع أن يستر ما فى
باطنه .. وفقد القدرة على أن يحدث نفسه كما يريد .. أو يحدث غيره بما
يجول فى باطنه .. باتت همسته .. تنطلق من ميكروفون .. وكلمته مسجلة
على شريط .. وبات يخشى أن يصبح عليه الصباح فلا يعرف أحد له مستقرا
.. لقد ربح لقمته . وخسر سره وأمنه .. لقد ضمن وسائل البقاء .. ولكن
بالحذر والخشية .. والابتسامة الضائعة .

وقال عبد الراضى :

— وشملت غضبته خالقه .

ورد عبد القادر :

— لأنه فقد ثقته برجال الهداية .

ورد عبد اللطيف :

- ولماذا يخلط بين رجال الهداية والخالق .. إن رجال الهداية بشر مثله .. وقد يخطئون وقد يصيبون .. وهم أنفسهم عرضة للتقويم .. وأساليبهم عرضة .. للقبول أو للرفض .. ولكن الخالق نفسه .. فوق كل شك .. ونقد .. إن الإيمان به قد لا يحتاج إلى وساطة بشر .. إنه مستمد من الحياة نفسها .. ومن كل ما يعجز عنه البشر .

وقال عبد المهيمن :

- إنه إمعان في الغضب .. يرفض كل شيء .. ومع الوقت والهدوء .. لابد أن تبليج الحقيقة .. ويبقى الخالق .. فوق كل شيء .. وفوق كل شك .

وقال عبد اللطيف :

- ومشكلة أخرى في الجماعة .. لقد فقد الفرد حافزه في العمل .. بعد أن ذاب في الكل .. وبعد أن ذوت رغبته في التميز .. لانعدام المزايا التي يمكن أن يحصل عليها نتيجة التميز ..

ورد عبد المهيمن :

- كل هذا تفرضه مرحلة الغضب الأولى .. وسينتزع العمل بالفرض والجبر .. وسيجري كل شيء .. بتخطيط موضوع .. وقد يدهس الفرد .. في سبيل تحقيق مصلحة الكل ..

واعترضت شهيرة قائلة :

- ولكن الكل .. مجموعة أفراد .. وإذا دهس الفرد .. فلقد دهس الكل .

ورد عبد المهيمن :

- بعد فترة .. من الضيق والمعاناة .. سيحقق للفرد .. ما يريد .. ولكن لابد أن يمر بفترة مشقة وجهد وحرمان .. عقب مرحلة الاستعباد وفوضى الغضب .

وقال عبد الحبير :

- إنها مرحلة مؤقتة .. وستفرض مركبات الإنسان الطبيعية .. نفسها على كل نظام فى الكون .. اللقمة .. والجنس .. ورغبة التميز هى التى تفرض النظم وهى التى تطورها أو ترفضها .. لاثملموا للبشر هما .. إذا جاع.. تصبح اللقمة مطلبه الأول .. وإذا شبع .. بحث عن الجنس .. وإذا ارتوى .. تطلع إلى مزايا عديدة .. تميزه عن الحيوان أولا .. ثم تميزه عن غيره من البشر ثانيا .. وكل نظام ضد مركبات الإنسان وضد الطبيعة البشرية .. لن يحتمله البشر إلا بقدر ما يحققون به غاية ملحة لا تحقق إلا به . فإذا ما تحققت .. فرضت مركباتهم النظام الطبيعى الملائم لها ولاحتياجاتها .
وقال عبد اللطيف :

- ولكن المشكلة الكبرى .. فى أن الجماعة.. تصر على أن تدفع بنظامها إلى غيرها من الجماعات .. والجماعات الأخرى .. تصر على رفضه .. ويعتبره بعضها محاولة للرعاية ويعتبره غيرها نوعا من الاستعباد وسلب الحرية .

وتسأل عبد الراضى :

-والنتيجة ؟.

- النتيجة .. تهديد مستمر بالصراع .. وتوتر دائم بين جماعات البشر.

وقال عبد القادر :

- هذا غيرنويات الغضب الى بدأت تظهر فى الجماعات المستغلة التى بدأت تضيق بالسيطرة والاستعباد .. وبدأت تطالب بحريتها وبحقها فى أرضها .

وضرب عبد الراضى كفا بكف :

- مصيبة .. وماذا سنفعل فى كل هذا ؟

وهزت شهيرة رأسها قائلة :

- لم تنفع فى الرعية .. الهداية .. ولم ينفع الغضب .. ماذا يمكن أن

نفعل به بعد هذا ؟

وقال عبد الحبير :

- إنها تجلس على فوهة بركان .. من الصراع بين الجماعات .. كل
يريد أن يفرض نظامه ..

- ولماذا لا تحتفظ كل جماعة بنظامها لنفسها .. مادام يريها ؟
وتسأله عبد اللطيف :

- والجماعة إياها ؟

- أية جماعة ؟

- الغلبة .

- ما لها ؟

- أى نظام تتبع ؟

- الذى تريد .

- من هنا ينشأ التنافس عليها .. كل يريد جذبها إلى نظامه .. فإذا

لم تقع فى حظيرته .. فعلى الأقل .. تصبح .. صديقه .

وقال عبد المهيمن :

- لابد أن نتدخل .. قبل أن يقع الصراع .. وتضيع الرعية ..

٢٠ - تركة الأجيال

الوقت يمر بجماعة السفينة ومشكلة الرعية تتفاقم .
وعقارب الساعة تدور لتطوى عقاربها السنون والقرون .
وأحس الجماعة أن نهايتهم تقترب .. وأن رصيد أيامهم فى الحياة قد
أوشك على النفاد .. ولم تعد الرعية بكل مشاكلها المعقدة هى وحدها التى
تشغل بالهم .. بل بات اقتراب النهاية المحتومة يطبق على أذهانهم ..
ويعتلك مشاعرهم .
وكان عبد الحبير أول من أشار إلى اقتراب النهاية بقوله وكأنه مراقب
فى خيمة امتحان ينذر الطلبة بالوقت .
- باق من الزمن عشرة أيام .
وأجابه عبد المهيم فى ثقة :
- تقصد باقى من الزمن قرنين ونصف قرن .
- بل أقصد عشرة أيام . . من عمرنا .
وهتفت شهيرة وقد حولت بصرها عن اللوحة التى تتصارع فيها
الرعية .

- عشرة أيام فقط ؟
ورد عبد القادر :
- بمائتين وأربعين عاما فى عمر الرعية .
وقال عبد المهيم مؤكدا :
- نستطيع أن نفعل لها الشئ الكثير . نستطيع أن ننقلها من هذا
الصراع الذى تتخبط فيه .. والذى جلب لها الخراب والدمار .

ورد عبد اللطيف مؤكدا :

- يجب ألا نتركها هكذا .. إننا مسئولون عن كل ما حدث للرعية .

وهز عبد الراضى رأسه وقال فى دهشة :

- يا أسيادنا .. الدكتور يقول لكم .. باق من عمركم عشرة أيام ..

يعنى سنموت بعد عشرة أيام .. سنحرم من الحياة .. وتنتيم أولادنا وتترمل نساؤنا .. وسينصبون الشوادر لتقبل العزاء فينا ويقرأون القرآن على أرواحنا .. ويطلعون القرافة من أجلتنا .. دون أن تكون لنا أجساد تشوى فى القبور ويوضع عليها الخوص والزهور.. كل هذا سيحدث لنا بعد عشرة أيام .. ثم يتحدثون عن الرعية .. وما يجب أن نفعله نحوها .. نحن غلابة .. لانملك لأنفسنا نفعا ولاضرا.. وسنموت بعد بضعة أيام تعد على الأصابع .. فلنفكر فى حالتنا المهبب أولا ..

وقتمت شهيرة قائلة فى أسى :

- إى والله معك حق .

وتساقطت الدموع من عينيها وهى تردف قائلة :

- أولادى حبايى .. ماذا سيفعلون من بعدى .. من يرعاهم وأبوهم

لايكاد يعرف عنهم شيئا .. وأمى إذا عاشت اليوم فلن تعيش غدا .

وقال عبد المهيمن وهويجد نفسه يوشك على التخاذل :

- وبعدين يا جماعة .. يجب أن نتماسك .. نحن هنا لسنا بشرا عاديين

.. يجب أن نصمد إلى النهاية .. إن هناك رعية بأكملها .. قد وضعت

مسئوليتها فى عنقنا .

وقال عبد اللطيف معقبا :

- أجل .. نحن الذين حركناها .. وبعثنا فيها الأطماع البشرية ..

وأثرنا فيها الفتنة .. لولانا لبعيت مسترخية هادئة تمتد جذورها فى الأرض

فى سكينه وترفرق أوراقها فى مهب النسيم فى هدوء واطمئنان .

ورد عبد الراضى :

- إذن أعيدوها إلى ما كانت عليه وأريحونا .

وأجاب عبد المهيمن :

- هذا تخاذل ..

وقال عبد القادر لعبد الراضى ناهرا :

- لاثحاول أن تشيع روح الهزيمة واليأس فينا .. نحن لسنا مجرد بشر ..

إننا حكام .

وقال عبد المهيمن :

- بل وأكثر من حكام ..

وهز عبد الراضى رأسه فى يأس قائلا :

- أنا مالى .. أيام تفوت بالطول أو بالعرض .. سأقرأ الفاتحة على

أرواحكم .. حتى يغفر الله لكم ماتقدم من ذنوبكم وما تأخر .

وأخذ عبد الراضى يتمتم بالفاتحة ثم رفع كفيه ومسح بهما وجهه فى

خشوع وتمتم قائلا :

- هى موتة .. والاثنين .

وألقى عبد المهيمن نظرة إلى اللوحة ثم قال فى حماس :

- والآن ماذا يمكننا أن نفعله .. ؟

وقال عبد القادر :

- جربنا الهداية فلم تنفع .

وقال عبد الحبيب :

- والغضب أضحى فى حد ذاته مشكلة .. كنا نظنه سيضع حدا

لمشكلة الاستغلال والاستعباد .. ويرسى دعائم العدالة الاجتماعية .. ويحقق

المساواة .. ويضع الكل فى خدمة الكل .. ويمنح الكل للكل .. وينتهى

بذلك صراع الطبقات التى خلقتها طبيعة الإنسان ورغبته فى التميز .

وقال عبد اللطيف :

- لقد حققه إلى حد ما ..

ورد عبد الخبير :

.. إلى حد ضمان اللقمة .. لقد أمنت غضبة الرعية .. اللقمة لأصحابها ..

واستطرد عبد اللطيف يقول :

.. ولكن مشكلة استرخاء الرعية .. عندما تضمن اللقمة .. واستخسار الجهد لانعدام المقابل له كلما ازداد .. جعل الرعية بين أمرين .. إما أن تستسلم للاسترخاء فينحدر مستواها إلى الحضيض .. ولا تكون غضبتها قد أفلحت إلا في إقرار عدالة الفقر والعوز .. أو .. توضع الرعية .. فى نظام قهرى .. يأخذ منها أكبر جهد .. ليس فقط رغم أنفها .. بل رغما عن حبابى عينيها .. ويطبق عليها نوع من السخرة ويصبح عليها أن تخضع مرة أخرى لاستعباد جديد .. هو استعباد الجماعة .

وتساءلت شهيرة :

.. وإلى متى .. تظل هكذا ؟

.. حتى تحقق حالة من النمو والرخاء ..

ويعد ذلك ؟

.. لا يجد الفرد مبررا لاستمرار الغضب فى استعباده .. ثم يبدأ قمرده على الغضب ذاته .. وتفرض طبيعته البشرية .. درجات من التميز .. تتناسب مع ماحققه جهده من نتاج ..

وهز عبد الراضى رأسه فى حيرة قائلا :

.. هذا معقول .. ولكن البعض .. يحاولون احترام الغضب .. إنهم لا يعتبرونه وسيلة لهدف .. ولكنه هدف فى حد ذاته .. إنهم يريدون أن يجعلوا منه وضعا دائما .. يريدون أن يجعلوا البشرية فى حالة هياج دائم .. وقال عبد اللطيف :

.. تلك هى إحدى مشاكل الغضب .. إن المفروض فيه أن يكون انفعالا لتغيير وضع .. وإذا أزيل الوضع الفاسد .. ووضعت مكانه دعائم الوضع

الجديد .. تصح عملية بناء الوضع الجديد فى حاجة إلى الهدوء والسكينة
ويصبح استمرار انفعال الغضب نوعاً من الهياج العصبى ..

وقال عبد المهيمن :

— والمصيبة أن أصحاب الغضب يصرون على فرضه على الآخرين ..
وهنا تنبع المشاكل .

وقال عبد القادر متما :

— والمصيبة الأكبر .. أن أصحاب الغضب الأشد .. أو أصحاب حالة
الهيـاج قد انشـقـقوا على أصحاب الغضب الأهدأ .. الذين حققوا بغضبتهم ..
ما يريدون .. ولم يعد هناك مبرر .. لاستمرار الانفعال .. والهيـاج .. وهم
يتهمونهم بالنكوص عن الغضب .. والاستسلام للهدوء .. والكف عن
الصراع .. مع الجماعة الأخرى .. التى مازالت تخضع لنظام القلة المتميزة ..
وهـز عبد المهيمن رأسه وقال فى شبه يأس :

— والجماعة الأخرى مازالت تصر على التدخل فى شئون الجماعة الثالثة
.. التى تعودت استعبادها .. بدعوى حمايتها من موجات الغضب .. وهى
تفتعل غضبات صورية .. تصدبها غضبات الرعية .. وتسخر عمالها من
جماعات وأفراد لوقف تحررها من الاستعباد .. واستمرار إخضاعها
لسلطانها .. بالقوة أو بالخديعة ..

وقال عبد اللطيف :

— ولم يعد الأمريقتصر على نهب الموارد .. واستغلال الجهد .. بل
تعداه إلى سرقة أوطان بأكلها .. لقد سلبت شراذم من هنا وهناك .. أرض
إحدى الجماعات .. بحجة أن أجدادهم كانوا يقطنونها .. وطردها أهلها ..
معتمدين على سند الجماعة المستغلة المستيدة ..

وقالت شهيرة :

— والتفرقة بين الأفراد .. للون .. أو الشكل .. أو الجنس أو العقيدة
.. قد أضحت إحدى مصائب الرعية .. قد كان مفهوماً .. أن يتميز إنسان

على آخر لأنه أذكى منه .. ولكن أن يتميز عليه لأنه أبيض منه .. فهذا مصيبة ..

وتساءل عبد الراضى فى يأس :

- والعمل ؟! ماذا نحن فاعلون فى كل هذه المصائب ؟

وقال عبد الخبير :

والمصيبة الأكبر .. أن الصراع لم يعد بالأيدى .. أو بالأظافر والأسنان والعصى .. ولكن الرعية .. بفضل مايملك بعض أفرادها من تميز ذهنى قد ابتكرت نوعا من السلاح .. لو فكرت إحدى الجماعات فى استعماله .. فسيتقضى على الرعية كلها .

وقال عبد الراضى :

- ياأخى دعهم يستعملوه ويربحونا ..

وقال عبد اللطيف :

- حرام يا عبد الراضى .. إنك حزين لموت ستة أنفار .. فما بالك برعية

كاملة ؟ ..

وقال عبدالراضى :

- لقد نغصت عيشنا .. الله ينكد عليها ..

وهز عبد المهيم رأسه :

- نحن مسئولون .. لقد أخطأت كل تقديراتنا .

وتساءل عبد القادر :

- كيف ؟

- منحنا الرعية أشياء .. لم نقدر نتائجها .

وقال عبد الراضى متسائلا :

- لا أفهم .

وقال عبد المهيم :

- منحناها متعة الطعام .. دون أن نوفره .

ورد عبد الحبير :

- الطعام يكفى ضعف الرعية .. عندهم أراض ملء الكوكب لم تزرع ..
إن المسألة كلها تقصير فى الاستغلال وسوء التوزيع ..
واستمر عبد المهيم يقول :

- ومنحناهم رغبة الجنس ومتعته .. ثم وضعتا عليهم القيود ..
واعتبرناها .. عورة يخجل منها .. وخطيئة يعاقب عليها ..
ورد عبد الحبير مؤكدا :

- منحناهم إياها .. حتى تكون دافعا للتكاثر .. وقيدناها لتنظيمهم
فى أسر تسأل عن تنمية النسل ورعايته .. ولتحمل عبئه حتى يشتد ويصلب
عوده ويقوم بدوره فى استمرار التكاثر .
وهز عبد الطيف رأسه قائلا فى حيرة :

- لم يعد لهذا كله ما يبرره الآن .. لقد أضحى التكاثر مشكلة والنسل
مصابة .. باتت المعضلة .. ليست فى كيف تتكاثر الرعية .. ولكن كيف
تحد من تكاثرها ؟
وقال عبد الحبير :

- وبات الجنس مشكلة المشاكل .. لوجوهه المتعددة المتناقضة .. وجه
معيب .. ووجه متع .. ووجه واجب .. ووجه محرم .. كل هذه الوجوه
تشجع فى عملية واحدة .. لتجعل منها مشكلة .. يحذر منه الصغير لأنه
عيب .. ويمارسه فى كبره كأمتع المتعات وتحرم عليه ممارسته بغير عقد ..
وبالعقد يصبح واجبا يعتبر التقصير فيه كارثة .. وأصبح الجنس بهذا لغزا من
ألفاظ البشرية المحيرة ..
وقال عبد اللطيف :

- لقد أضحت البشرية كلها ألفاظا محيرة للأجيال النابتة من الرعية ..
بكل ماتحملة من قلق الصراع الذى لا يؤمنون بأسبابه .. ويتناقض القيود
المنظمة للمجتمع مع واقعه .. لم تعد الأجيال تفهم مبررات معظم القيود التى

تخضع لها .. لقد باتوا يحسون بأنها إرث بال عتيق ليس له مكان فى عصرهم .. وتحولت إلى عبء يحتم الخلاص منه .. والانطلاق من إساره .. وقال عبد المهيمن :

- أجل .. إنهم يشعرون بأن القواعد المنظمة لكونهم .. والمتراكمة من الأجيال السابقة .. قد تكدست فوق أكتافهم وأنقضت ظهورهم .. وترسبت كأكوام من الصدا على مفاصلهم .. تقيد حركتهم .. وتثقل خطاهم .. وإن عليهم أن يتحرروا من عبثها حتى يستطيعوا الانطلاق فى الحياة .. وقال عبد اللطيف مؤيدا :

- باتت الأجيال الجديدة تشعر بأن النظم قد أضحت شيئا أشبه بالتحف والكراسيات التى قملأ بيتنا ورثوه عن الآباء والأجداد من الأجيال السابقة .. وأن عليهم أن يخلصوا منها .. حتى يصبح مكانهم فى الكون أوفر راحة وحرية .

وقال عبد الحبير :

- إنهم يدركون أن القواعد المنظمة .. لم تمنحهم عالما مريحا .. بل منحتهم .. عالما مليئا بالقلق والاضطراب والحرمان والخوف والحاجة .. وهم يؤمنون بأن شيئا طيبا فى هذا الكون .. لا بد أن يأخذوه .. فهم لم يوجدوا .. لكى يقاسوا من التعاسة والشقاء .. وإلا أضحى إنجذاب الذرية .. مجرد عمل إجرامى انتقامى يقصد به أن تأخذ دورها فى التعذيب كما أخذه آباؤها ..

ورد عبد اللطيف :

- وفى الحياة فعلا أشياء طيبة.. يمكن أن ينعم بها الإنسان .
وتساءل عبد الحبير:

- فلماذا إذن لا ينعم بها .. إن هذا هو السؤال الذى يحير الأجيال الجديدة .. ما الذى يحول بينهم وبين الاستمتاع بما فى الحياة من نعم .. لماذا يوضعون على حافة الهاوية من الخوف والحرمان ؟

وقال عبد القادر :

ـ ليسوا هم فقط .. لقد وضعت الأجيال كلها على حافظتها .

ورد عبد الخبير:

ـ واستسلمت .. فقد كان فى جعبتها المزيد من محاولات الإصلاح ..
وكان فى نفوسها المزيد من هوارق الأمل فى حياة آمنة .. ولكن هذه الأجيال
الجديدة .. تبدو كأنها قد فقدت الأمل .. فى كل ما اتبع من وسائل ..
وتريد الخلاص من تركة الأجيال السابقة برمتها .

وقال عبد اللطيف :

ـ أجل .. وسط كل هذا القلق والصراع والخلاف التقليدى .. بدأت
تسود موجة من اليأس فى كل ما هو كائن ..

ورد عبد الراضى :

ـ ليس اليأس يأستاذ .. ولكنه القرف .

ـ أجل .. الرعية قد نبت فى أجيالها الجديدة .. إحساس باليأس من
كل شىء .. والرفض لكل شىء .. والقرف من كل شىء ..

وقال عبد القادر :

ـ وتحول الغضب .. إلى لا مبالاة .. بأى شىء ..

وقال عبد اللطيف :

ـ حتى التعبير الفنى عن المشاعر قد انعكس فيه القرف .. فبدأ .. فى
المضمون غير المفهوم .. والشكل العاثر .

وقالت شهيرة :

ـ ولماذا يكون التعبير الفنى وحده .. هو الجميل المفهوم .. فى كون
انحدر إلى هوة .. انحطاط التعامل بين الناس .. وسوء العلاقات بين
البشر .. إن الصورة السيئة تعبر عن الأصل السيئ .. وعالم الحمقى
والحمقاء .. لا يعبر عنه سوى .. المضمون الأبله .. والأشكال الشوهاء .

ونظر عبد القادر إلى اللوحة وصاح فى قلق :

.. الحقوا ..

وهتف الجميع فى جنح :

.. ماذا ؟

.. الدمار يوشك أن يحقق بالكوكب .. الصدام بين الجماعتين الكبيرتين
يوشك أن يقع .

ونظر الجميع إلى اللوحة فى ترقب وهم يسمعون أجراسا تدق .. وهدير
يتعالى .. ويشر يتحفزون فى كلا الجانبين .
ومالبث أن خفت الهدير وسكتت الأجراس .
وهمست شهيرة متسائلة :

.. ماذا حدث ؟

وقال عبد الحبير :

.. لقد توقف الصدام ..

.. لماذا ؟

.. خشى كل منهم علي نفسه من الدمار الشامل .. إن السلاح الجديد
القاضى .. يملأ نفوسهم بالخذر من حدوث الصدام .. خشية أن يروح الكل
ضحيته .

وهتف عبد القادر :

.. إذن لقد وجد الحل .

.. حل لماذا ؟

.. لوقف الصراع .

وهز عبد الحبير رأسه قائلا فى حيرة وقلق :

.. يعنى !! .

.. يعنى ماذا ؟

.. حل غير مضمون .. فاحتمال الخطأ غير المقصود .. أو الانزلاق
نتيجة المغالاة فى التهديد والاندفاع إلى حافة الهاوية .. غير مستبعد .

- على أية حال .. حل مؤقت .. حتى نتدبر الأمر .
وسمعت صيحات هنا وصيحات هناك .. وتلفت الجماعة إلى اللوحة في
جزع .. وتساءل عبد المهيمن :
... ما هذا ؟
وتأمل عبد الحبير جيدا وأشار إلى ناحية من اللوحة :
- هنا غضبة من إحدى المجموعات الصغيرة من أجل التحرر من قبضة
جماعة مستغلة ..
وأشار عبد اللطيف إلى ناحية أخرى متسائلا :
- وهناك ؟
وأشارت شهيرة إلى ناحية ثالثة :
- وهناك أيضا ؟
ورد عبد الحبير :
- صراعات جزئية أخرى بين الجماعات الصغيرة .
وتساءل عبد القادر :
- ولكن من أين لهم بكل هذه الأسلحة ؟
- من الجماعات الكبيرة .. إن الصدام الصغير غالبا - ويرغم أصحابه -
ما يكون معبرا عن الصدام الأصلي الكبير .. إن الجماعات الكبيرة تقدم
الأسلحة والجماعات الصغيرة تقدم البشر. إنه أشبه ببشر تطفح على جسد
الكوكب .. في مناطق الحساسية الوطنية .. ولكن ميكرويه يتغذى على
الخلاف الأصلي بين الجماعات المتصارعة الكبرى .
- ولماذا تدفع الجماعات الكبيرة بأسلحتها ؟
- جماعة تريد أن تفرض نفوذها والجماعة الأخرى تريد أن تحرمها هذا
النفوذ وتحرم الجماعة الثالثة منه .. إن كل هذه الصراعات خليط من الصراع
التحرري يعززه الصراع التقليدي بين الجماعتين الكبيرتين .
وقال عبد المهيمن في قلق :

– على أية حال .. إنها قد تهدد بالدمار الشامل .. يجب أن نجد حلا جذريا لمشاكل الكوكب .. وأن ننهي حالة الصراع الدائم والقلق المستمر.. وأن ننقذ الرعية من حالة اليأس والقرف التى تردت فيها .
وقال عبد اللطيف :

– مازالت هناك أشياء جميلة فى أرض الكوكب ومازالت هناك مركبات طيبة فى نفوس الرعية يمكن بواسطتها أن يستعيدوا الثقة فى أنفسهم والأمل فى حياة البشر على ظهر الكوكب .. هذه الأشياء الجميلة والصفات الطيبة يمكن أن تهين لنا الفرصة.. فى إعادة الاستقرار للكوكب .. والأمان والرخاء للرعية .

وتساءلت شهيرة :

– مثل ماذا ؟

– لم يتلف فى الكوكب كل ماهو جميل .. مازالت الزهور تتفتح .. والشمس تشرق .. والنبت يخرج من الأرض .. الزرع يورق .. ويثمر.. حمدا لله أنه لم يغير أسلوبه فى تسيير الحياة .. مازال كل ماهو جميل .. جميلا .. لم يشوه الله صور الخلق كما شوهها الرسامون على أرض الكوكب .. ولاخطب الكون كما لخطبوه فى لوحاتهم وقنايلهم وكتاباتهم ..

– ولكن هناك الزوابع والبراكين والزلازل والوحوش والحرائق وغيرها من الأخطار التى مازال الإنسان يواجهها من شرور الطبيعة .

– لقد استطاع أن يواجه معظمها ويتغلب عليه .. وصراعه معها لايشكل عليه خطرا بقدر مايشكله صراعه مع نفسه .. إن عليه أن يواجه أخطارها واحدة واحدة .. وهو ولاشك منتصر عليها .. وهى على أية حال لم تلغ الأشياء الطيبة الموجودة على الكوكب .. والتى عليه أن ينميها ويطورها .. ويغلب بها كل ماهو ضار به خطر عليه .

وتساءل عبد اللطيف :

– كل هذا مفهوم .. ولكن كيف نقنعه بهذا ؟

وتساءلت شهيرة :

- أنعمود للهداية مرة أخرى ؟

- إن الهداية لم ينقطع أبدا تأثيرها عليه رغم كل ماشابها من زخرف

باطل .. وزيف فاسد ..

- ولقد حاول أن يطهرها من زينها .. وأن يعيد إليها جوهرها الأصلي

الذى يمكن أن ينمى مركب الخيرفى نفسه .

وقال عبد لقادر :

- ولكن مع كل هذا .. مازال يغوص إلى أذنيه فى مشاكله المعقدة ..

مازال يرتكب جميع المحرمات .. ومازال يتصارع ويتقاتل ..

وقال عبد الراضى :

- يا جماعة فضوها سيرة ..

ونظر إلى الساعة ثم قال فى سخرية :

- مضى علينا أربع سنوات .. ونحن نتناقش .. بدون فائدة . اسمحوا

لى سأذهب إلى فراشى .. وأمضى الكام يوم الباقية .. أو الكام قرن ..

بحساب الرعية .. فى قراءة القرآن والاستغفار .. إبنى واثق أنى سأموت فى

هذا الهو .. دون أن أجد من يقرأ على روحى .. حتى الفاتحة .. ولهذا فمن

الخير أن أقرأها على روحى مقدما .

وقال له عبد القادر ناهرا :

- قلت لك لاتشيع روح اليأس فى نفوس الحكام ..

- أنا لست حاكما .. أنا راجل على باب الله .. سأموت بعد بضعة

أيام .. ولن أجد حتى التراب الذى يلم جسدى ..

- ولكننا لابد أن نفعل شيئا لهذه الرعية قبل أن نموت .

وقال عبد الراضى ببساطة :

- أعيدوها كما كانت .. شجروها .. وخلصوها من كل هذا القرف الذى

أصابها .

- وقال عبد المهيمن :
- غير معقول .. إن هذا يعنى منتهى الفشل .
- وقال عبد الراضى :
- ياسيدى فشل .. فشل .. هذا كل ما قدرنا عليه .. والذى يقدر على أكثر يفعله .. أمامه الرعية فليرينا شطارته .
- وقالت شهيرة :
- أنا من رأى عبد الراضى .. نعيد الرعية كما كانت . ونخلص من مسئوليتها ..
- ونظر عبد المهيمن إلى عبد الحبير متسائلا :
- ألاستطيع أن نعمل شيئا غير هذا ؟ .. ألايمكن أن نرسل لكل منهم شعاعا هاديا ؟ ..
- هاديا .. إلى ماذا ؟
- إلى الخير ..
- حدد بالضبط ماهو الخيرفى مفهومك .. حتى نتفق عليه .
- لا يقتل .
- وإذا احتاج للأكل ؟
- أعنى لا يقتل بشرا .
- وإذا قتله بشر ؟
- سنهدى الكل إلى عدم القتل .
- وإذا قتله بنوع من الخطأ ..
- هذا ليس قتلا .. إنه مجرد خطأ .
- ومن يقنع الغير .. بأن هذا خطأ حقيقة . وأنه لا يكذب ؟ .
- سنهدى البشر إلى عدم الكذب وإلى الثقة فى بعضهم البعض .
- وماذا أيضا ؟
- لا يزنى .

- تعنى لا يمارس العلاقة إلا مع زوجته
- أجل .
- وماذا يفعل قبل أن يتزوج ؟ ..
- لا يفعل شيئا .
- والرغبة التى منحناها له ؟ .
- نؤجل ظهورها .. حتى يتزوج ..
- وإذا حدث قحط فى النسل ؟ ..
- نذكر سن الزواج .
- وإذا كان الرجال أقل من النساء ؟
- نعدد الزوجات ..
- وما هى أيضا مظاهر الخير ؟
- ألا يسرق .
- وإذا احتاج للطعام ولم يجده ؟
- لن يتعذر الطعام على أحد .. لأننا سنجعلهم يتقاسمون ناتج العمل بالعدل .
- وإذا لم يعمل واحد منهم ؟
- سنهديهم كلهم إلى العمل كمظهر من مظاهر الخير .
- كلهم يعملون بقدر واحد ؟
- وتردد عبد المهيمن برهة ثم تسأل :
- ماذا تقصد ؟
- أقصد هل كلهم سينتجون قدرا من العمل متساويا ؟
- لا بالطبع .
- هل سيأخذون أجرا واحدا ؟
- طبعاً لا ..
- إذن سيتميز بعضهم فى الأجر ؟

- لأنهم متميزون فى المواهب .
- بماذا سيفعلون بأجورهم المتميزة ؟
- يحصلون على ما يريدون من خيرات الحياة ..دون أن يستقلوا غيرهم.
- إذن ستميز البعض فى مظاهر العيش ..
- أجل ..
- سيثير قميزهم الحسد والغيرة والحقد .
- أتظن أن هذا شىء حتمى ؟
- إذا لم يثر .. فمعنى هذا فرض إحساس التبذل .. الذى يفرض بدوره الجمود فى المجتمع وإذا ثار فسيثير معه بقية المشاعر الشريرة التى يجرها الحسد والغيرة .. من كذب وخداع .. وسرقة .. يضطر إليها البشر فى سباقهم نحو التميز والاستمتاع بأكبر قدر من مزايا الحياة ..
- إن علينا أن نوازن جملة .. بين سباق التميز الذى يمنح الكون التطور وبين الاستسلام الذى يمنحه السكينة والجمود ويقضى على مظاهر الصراع البشرى .. ولا يبقى بعد هذا سوى الصراع البدائى الحيوانى للجنس واللحمة.
- .. إن معظم سمات الشر فى البشر هى مظهر طبيعى لصراع من أجل الوجود والتطور.. إنها نتيجة حتمية لحب البقاء ورغبة التكاثر ولهفة الطموح التى لا بد منها لاستمرار الحياة وتقدمها .
- وقال عبد الراضى ببساطة :
- يعنى بالعربى .. إما العودة إلى الشجر .. أو البقاء غرقى فى المصائب والمشاكل ..
- ورد عبد القادر:
- لا.. لا.. لا بد أن هناك وسيلة .. دعونا نفكر..
- وتهض عبد الراضى يسرى فى الهواء قائلاً فى استسلام :
- فكروا وحدكم .. سأذهب أنا لانتظار قدرى .. وسأقرأ الفاتحة على أرواحكم .

٢١ - الثواب والعقاب

مضت أربعة أيام بحساب السفينة أو قرن بحساب الكوكب .. والجماعة
مازالت حائرة أمام مشاكل الرعية ..

وفى اليوم الخامس جمع عبد المهيمن الجماعة فى حجرة العمليات ..
وكانت تبدو على وجهه سمات التفكير والتجهم والشرود .
قال عبد المهيمن للجماعة وقد التفوا حول المنضدة :
- الوقت يمر بنا .. ولا بد أن نتخذ قرارا حاسما .
وتساءل عبد اللطيف :

- فى ماذا ؟

- فى موقفنا .

- لماذا ؟

- من أنفسنا ومن الرعية .. إن النهاية تقترب .. ولا بد أن نفعل
شيئا ..

قال عبد الراضى مت دخلا :

- فى أنفسنا .. لا أظننا نستطيع أن نفعل شيئا .. النهاية آتية آتية
.. أدى الله وأدى حكمته .. الكام أنبوية التى كنا نقر من لحسها .. تكاد
تكفينا بضعة الأيام الباقية من عمرنا .. سنلحس آخر لحسة منها .. ثم
نتشهد على أنفسنا .

وقال عبد اللطيف :

- دعنا من أنفسنا .. هذا قدونا .. ولكن الرعية .. ماذنبها ..
نخرجها من سكينتها وندفع بها إلى هذه المشاكل المدمرة .. ثم نتركها ..

وغوت ؟ .. هذه أناثية !

وقال شهيرة :

.. لماذا لا نبذل جهدا أكبر فى هدايتها ؟ .. إنه سبيلنا الوحيد .

وقال عبد الحبير فى يأس :

.. حاولت .. والله حاولت .. دفعنا بعض الناس الطيبين الذين غلب على

نفوسهم مركب الخير والصفاء والنقاء .. إلى محاولة هدايتهم .. ودعوتهم

إلى الكف عن الذنوب ..

.. وماذا حدث ؟

.. لا فائدة .. إن الكوكب ما زال يصطخب بالصراع .. والرعية ..

سادرة فى غيها .. معنة فى ذنوبها ..

.. مصيبة .. لماذا لا يريدون أن يهتدوا .. وأن يكفوا عن ذنوبهم ؟

.. لأن الذنوب فيما أعتقد .. قد باتت مشكلة محيرة ..

.. كيف ؟

.. إن الرعية لا تدرى لماذا تكف عن الذنوب ؟

.. لأنها ضارة .

.. بمن ؟

.. بهم .

.. لا يبدو هذا واضحا لهم ..

.. كيف ؟

.. الخمر مثلا .. تبدو حيوية لبعض الرعية الذين يعيشون فى الوجه

البارد من الكوكب .. إنهم يدونها .. يتجمدون .. كيف تقنعهم بأنها ضارة ؟

.. ولكن إذا سكروا .. يرتكبون أعمالا ضارة .

.. إنهم لا يسكرون لقد تعودوا .

.. وإذا سكروا ؟

.. لا يشعرون بمضايقة .. بالعكس إنهم يحسون بسعادة كبرى .

- ولكنهم يؤذون الغير .
- يمكن منعهم من إيذاء الغير حتى يفيقوا .. وتنتهى المسألة .
- ولكن فى الوجه الحار من الكوكب .. حاجتهم فى شرب الخمر ؟
- لكى يستمتعوا ..
- ولكنهم ليسوا فى حاجة إليها .
- هل تريد أن تعدد الذنوب لكل منطقة حسب جوها .. ؟ يعنى أن تقول إن شرب الخمر محرم فى المناطق الحارة ومباح فى الباردة ؟
- لم لا ؟
- وإذا رحل سكان المناطق الحارة كلهم إلى المناطق الباردة ماذا نفعل ؟
- هل هذا معقول ؟
- إذا كانت هى الوسيلة الوحيدة لكى يستمتعوا بالخمر .. فقد يفعلونها .
- دعنا من الخمر .. لنبحث عن الذنوب الأخرى .. لماذا يرتكبون الزنا ؟
- لأنهم عندما يبلغون سن النضج تلح عليهم الحاجة إلى الجنس .. كما تلح عليهم الحاجة إلى الطعام منذ أن يولدوا .
- إذن عليهم أن يمارسوها كحق .. لا كخطيئة .. عليهم أن يمارسوها فى حدود شرعية بين الذكر والأنثى .. تضعهما فى إطار الأسرة وهى نواة المجتمع .
- لم يعد فى قدرة هذه الأجيال .. الارتباط بالزواج بمجرد الإحساس بالجنس .. إن نضجها ذهنى .. وقدرتها المادية على تحمل المسؤولية .. لا يكون كافيا لإيجاد كيان أسرة .. وتحمل عبئها .. والكوكب قد ازدحم بالذرية .. وأغلب الرعية مناققون يمارسون الزنا خلسة .. والبقية تعف عنه لوازع الهداية .. أو العجز .. أو لطموح قد تحول النزوات دونه وهم أمتع ببريق المجد منهم بمتعة النزوات .

— قد يكون قولك صحيحا .. ومن أجل هذا يصبح جمع الحب والجنس فى إطار الزواج .. هو خير ضمان لاستقامة الرعية .. وتنظيم علاقة الذكر بالأنثى .

— طبعا هذا هو الحل النموذجى والشكل الأمثل لعلاقة الاثنين اللذين يكونان الحياة البشرية . ولكن المصيبة أن جمع هذه العناصر الثلاثة كأساس لهذه العلاقة .. يكاد يكون متعذرا .. إلا بالصدفة .

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أن هذه العناصر الثلاثة رغم تكاملها .. ووحدة نوعيتها .. فإن كلا منها يكون شيئا مستقلا بذاته .. ولكل منهما مقوماته المنفصلة .. فإذا اتحدت كلها فى وحدة واحدة .. كانت نتيجتها .. حياة سعيدة .. وأسرة مترابطة .. وفرصة كبيرة لانعدام الرغبة فى ارتكاب الذنوب .
— ماذا تعنى أن لكل منها مقوماته المنفصلة ..

— الحب ... وأعنى به الحب الملتهب بين الذكر والأنثى .. والذى يجذب كل منهما نحو الآخر .. بقوة لاتقاوم .. هذا النوع من الحب .. له مقوماته .. وهى غالبا نابعة من الأوهام .. من صنع المحب ذاته .. من حساسية .. تجعله يضيف على الأشياء ألوانا مبهجة .. ويجسدها بشكل رائع .. وتجعله حساسا لالتقاط كل الانفعالات .. وتجسيدها .. سواء انفعالات السعادة أو الشقاء .. أو الغيرة .. أو الحرمان .. أو اليأس .. أو الأمل .. ومقومات الحب لاترتكن إلى أسس مادية .. بل ترتطم بها .. إن المحب يرفض أن يقرن الحب بأية مظاهر مادية .. ويجزع من أن يرى فى أسنان الحبيب بقايا طعام .. أو أن يقرنه .. بعوارض الامساك أو الاسهال أو القيء .. والمغص .. أو البثور .. أو بأى من هذه الأشياء الطبيعية التى تعتبر من صميم المظهر البشرى .. وجزء منه .. والتى لايمكن أن نجد لها أثرا فى حياة الأبطال فى قصص الحب الخالدة التى لاتصل أبدا إلى مابعد الزواج والتى تتضاءل فيها معالم الواقع القبيح رغم تشكيلها لجزء حيوى من حياة

الأبطال .

- والجنس ؟

- الجنس .. قد يقود إليه الحب .. وقد يمارس بغير حب .. وهو رغم اقترانه بالحب وإقامه له فى بعض الحالات .. فإنه يعتبر شيئا مستقلا تماما .. وله مقوماته .. التى تستند إلى اللياقة البدنية والخبرة العملية والرغبة المتبادلة .. وقد يدعم الحب مقوماته .. وقد يخللها .. وقد يقود الجنس الناجح الذى لا تتركز مقوماته إلى الحب .. إلى نوع من الارتباط .. يتحول إلى لون من الحب .

- والزواج ؟

- الزواج شركة قد يكون من مقوماتها الحب والجنس ولكن مقوماتها الأهم هى التوافق بين طرفى الشركة .. ومدى فهمهما لمسئوليتهما فى الشركة .. وفى أنها ليست مجرد حقوق بلا واجبات .. أو وسيلة للإشباع العاطفى أو الجنسى .. وإنما هى مشاركة فى عملية بناء جادة وخطيرة .. تتزايد خطورتها مع الأيام .. عملية بناء يجب أن يتحمل كل منهما نصيبه فيها من الجهد والمشقة والمتاعب والمشاكل .. ولا يتخلى عن مسئوليته فى الشركة المستمرة النمو والتعقيد .. لأى إغراء خارجى .. إن أخطر ما فى الزواج .. هو فهمه على أنه ترخيص لجنس محرم إلا برخصة الزواج .. لأن الزواج ليس وسيلة للاستمتاع بالجنس .. بل قد يعتبر أبعث على الزهد فيه .. وقد يكون هذا هو السبب فى معظم مشاكل العلاقات البشرية .. إن البشر يخلطون فى الزواج عندما يرون أنه لم يحقق ما يتوهمونه فيه .. من إشباع لعاطفة الحب السابق له .. أو إرواء دائم لعطش الجنس الدافع إليه .. ويجدون أن ماحققه فعلا هو تحميلهم عبء المسئولية الحقيقية لإقامة بيت وتكوين أسرة .. وتنمية صغار .. تتزايد مطالبهم مع الزمن .. وأنه إذا استقرت الشركة واستقام بناؤها . يحقق نوعا من الحب الراسخ الذى ينمو بدوام الارتباط وطول العشرة وإحساس كل طرف بفضل الآخر عليه وحاجته له .

– والنتيجة .. هل تقترح أن نفصل .. عملية الحب .. عن الجنس عن الزواج ؟ .

– لا أظنها تجربة مشمرة .. لأنه بعد كل هذا نجد الإنسان أميل إلى الاستحواذ .: بعد كل هذه الميول الفردية العجيبة .. يريد أن يستحوذ على شريك .. وأن يصبح رب أسرة .. وأن يمارس سلطانه على أولاد يخلقونه في الأرض .. هذا الإحساس .. يدفعه إلى الرغبة في الاستحواذ على من يحب .. والاستئثار بمن يرضى فيه رغبة الجنس .. ولا يجد إطارا للاستحواذ والاستئثار .. خيرا من الزواج .. وبعد هذا تبدأ مشاكل الزواج .. إن هذا التناقض في تركيب الإنسان .. هو الذى يثير كل هذه المتاعب .

– أتقترح أن نغير مركبات البشر؟

– غير معقول .. لأنها بتسلسلها السابق .. تكون مقومات الحياة نفسها .. التى تؤدى للبقاء والتكاثر والتطور.

وضرب عبد الراضى كفا بكف وصاح فى يأس :

– يا جماعة قلت لكم لا فائدة .. الناس هكذا بخيرهم وشرهم . بحسناتهم وسيئاتهم .. فضوها سيرة .. ودعونا نرقد – أو نعوم – على أسرتنا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ..

وقال عبد القادر :

– يا أخى دعنا نتناقش .

– نتناقش فى ماذا .. مضى علينا مائة سنة والذى نقوله نعيده .. والرعية تزداد تعاسة وشقاء .. وانغماسا فى الذنوب والخطايا .

ورد عبد المهيمن زاجرا :

– على أية حال المناقشة .. قد تفيد .

– تفيد فى ماذا .. الرعية .. ستبقى على حالها .. أنتم أنفسكم قلتم هذا .. إن المصائب نابعة من نفوسهم .. وتغيير نفوسهم .. يعنى تغيير الكون .. أو تحميده أو بالعربى تشجيده ثانية .. فيما أن تعيدها إلى أصلها

.. أوتركوها على حالها .. وتجعلونها تقضى بقية أيماننا نستغفر الله فى هدوء .

وقال عبد اللطيف :

- يبدو أنه لم يعد أمامنا إلا أن نفعل هذا .

وتنهدت شهيرة فى حزن وقالت :

- خسارة .. سننتهى وينتهى معنا كل شىء .. لن يعرف العالم عنا أى

شىء .. سوى أننا فقدنا فى الفراغ .. سنذهب دون أن تبقى لنا ذكرى ..
لواستطعنا أن ننقل للأرض تجربتنا .

وقتم عبد اللطيف ببساطة :

- لما أحدثت شيئا ..

ورد عبد الراضى :

- الحال من بعضه .

وقالت شهيرة :

- ولكنها ستمنحنا مجدا .. ستضعنا فى مانشيتات الصحف .

وقال عبد الراضى فى سخرية :

- وكمن من مانشيتات .. لم يعد يذكرها أحد .. كم من أناس وضعوا

على قمة الصحف .. وملأت صورهم أعمدتها .. ثم راحوا فى التراب ..
ولم يعد يذكرهم حتى أقرب الناس إليهم .

وقال عبد اللطيف :

- الأيام تطوى كل شىء .. والأرض تبتلع كل حى .. ورماد الأجساد

يختلط بترابها .. وكما قال المعري : « ما أظن أديم الأرض إلا من هذه
الأجساد » .

وقال عبد الراضى فى أسى :

- المصيبة أننا لن نجد أديم الأرض .. الذى يختلط بأجسادنا .

وقال عبد اللطيف :

- ستذرونا الرياح .. سنختلط بكل ذرة من ذرات الهواء ..
من يدري ربما سقطت بعض ذرات جسدك يا عبد الراضى على الأرض ..
وقال عبد الراضى :
- فى مدافن السيدة عائشة إن شاء الله .. إنى أتبارك فيها .
وأخذت دموع شهيرة تتساقط ونهنت قائلة :
- يا حبيبى يا محمود .. يا حبيبتى يا راوية .. ترى ماذا سيحدث لكما
من بعدى .. ليتنى لم أترك أبكما .. على الأقل كنت أضمن أن أترككما
فى رعايته ..
وأحس عبد اللطيف أن دموعه ترشك أن تنهمر .. وريت ظهر شهيرة
وهو يقول :
- لاتجزعى يا شهيرة .. رينا كريم .
وتساءل عبد الراضى :
- كريم كيف ؟ .. باق لكل منا ثلاث أنابيب .. كل أنبوبة تكفى يومين
.. وبعدها .. سنستسلم لقضاء الله .. هيا دعونا نرقد فى حجرتنا .
وتبادل عبد المهيم مع عبد القادر النظرات ثم قال عبد المهيم فى حزم :
- إن من التخاذل أن نستسلم لمصيرنا .
ورفع عبد الحبير نظره من لوحة الكوكب .. الذى بدا فيه الصراع
والأس والقرى على أشده وتساءل قائلا :
- ماذا تعنى ؟
- أعنى أننا يجب أن ننطلق من السفينة .
وتساءل عبد الراضى فى دهشة :
- تانى ..
وقال عبد المهيم مؤكدا :
- إن هذا بلاشك خير من أن نرقد مستسلمين لنلقى حتفنا فى عجز .
وتساءل عبد اللطيف :

- هل تقصد ما سبق أن قلته من انطلاقنا نحو الكوكب .. كل على

حده ؟

وتساءلت شهيرة :

- سيراً على الأقدام ؟

وقال عبد الراضى :

- يا ريت سيراً على الأقدام .. المصيبة أننا لا نستطيع السير ..

سنطبخ فى الهواء .

وقال عبد اللطيف :

- بغير اتجاه .. وعلى غير هدى .

وقالت شهيرة فى جزع :

- هل معقول أن نسير فى هذا الفراغ السحيق ؟

وقال عبد الحبير مؤكداً :

- أنا شخصياً لن أغادر السفينة ..

ورد عبد القادر فى دهشة :

- هل معقول أن نبقى هنا مستسلمين لمصيرنا حتى نموت ؟

وتساءل عبد الحبير :

- وإذا خرجنا .. ألن نموت ؟

- احتمال واحد فى الألف .. أن نصل إلى منطقة الجاذبية .

وقال عبد الحبير :

- فنهوى حطاما على أرض الكوكب .

وقال عبد اللطيف :

- أو حتى أحياء .. فيأسرونا .. ويعدمونا .

وقال عبد الراضى :

- أو يتركونا .. نفرق فى مشاكلهم ؟

وتساءل عبد المهيمن :

- ولماذا لا نسيطر نحن عليهم ؟
 وقال عبد الراضى فى دهشة :
 - ياكابتى .. إذا كنا لم نستطع أن نسيطر عليهم من هنا .. من السماء .. هل سنسيطر عليهم عندما نصبح بشرا مثلهم .. على الأرض .
 وقال عبد المهيمن :
 - ربما تصبح سيطرتنا .. أكثر فعالية .. إن المصيبة هى أننا هنا ..
 لانمارس الردع المباشر فيهم .. لقد مثنينم بشواب وهددناهم بعقاب عن طريق الهداية ولكنهم لم يأبهوا له .
 وقاطعه عبد اللطيف قائلا :
 - وقال كل منهم حلتى .. على ما يأتى العقاب أو الشواب .. واقتطفوا ثمرة الذنب .. واستمتعوا بها استمتعا سريعا مباشرا ..
 وهداهم تفكيرهم وتقدمهم إلى تهينة نوع من المتع قد تصل إلى ما وعدناهم به من ثواب .
 وقال عبد القادر :
 - فلم يعد يجدى معهم إغراء يشواب أو إنذار بعقاب ..
 واستطرد عبد المهيمن :
 - وأعتقد أننا لو مارسنا فيهم العقاب المباشر .. ومنحنا هم الشواب السريع .. فرما كان هذا أجدى .
 ورد عبد الخبير قائلا :
 - ولكنهم حاولوا تنظيم العقاب والشواب فى تشريعاتهم .
 وقال عبد المهيمن :
 - عندما ينظمون هم لأنفسهم ويطبقون نظمهم تتدخل المشاعر الذاتية وتصبح التشريعات فى بعض الأحيان نوعا من حماية الذات أو وقاية الطبقة .
 ومعظم الذنوب تمارس فى الخفاء .. والعقاب لا يوقع بالذنب فعلا بقدر ما يوقع بالعاجز عن ستر ذنبه .. ولكننا سنعرف كيف نسيطر عليهم ونعرف

المدنبن الحققبن .. ونوقع بهم العقاب الرادع .. إتنا لو أتبحت لنا فرصة
الوصول .. فسنعرف كىف نمارس الحكم الحققى المباشر ..

وتساءل عبد اللطف :

ـ تقصد الحكم البوليسى ؟

ورد عبد القادر :

ـ سندع هذا لوقتة .. إذا قدر لنا أن نصل ونحكم .

وهز عبد الراضى رأسه وضرب كفا بكف قائلا :

ـ يا جماعة اهدأوا .. وكفى .. ممارسة للحكم .. ألم تتعبوا .. دعوا
الناس وشأنهم .. يسرقون .. يسكرون .. يزنون .. إنهم مسئولون عن
خطاياهم أمام ربهم .. ومنهم لله .. إنه كفيل بهم .
دعونا ننتظر مصيرنا فى هدوء .. ولتطلب لأنفسنا الرحمة .. الفاتحة
يا جماعة .

ورفع عبد الراضى يديه إلى أعلى وقرأ الفاتحة ثم مسح وجهه بكفيه
ووجه القول إلى عبد الحبيب قائلا :

ـ وانت يادكتور.. انهيتنا من حكاية الرعية هذه .. أعدها كما كانت
وأغلق التلفزيون أو حوله .. على محطة أخرى تكون فيها رقصة أوغنوة
نتسلى قبل الموت .

وأمسك عبد المهيم بذراع عبد الحبيب صائحا :

ـ لا .. إياك أن تعيدها كما كانت .. هذا هروب من المسئولية ويجب
أن نتحمل مسئوليتنا حتى النهاية .

وصمت لحظة ثم قال :

ـ لقد قررت أن أهبط إليها.. سأغادر السفينة الآن ومن يريد أن يخرج
معى فليستعد بارتداء بذلة الفضاء ..

وقال عبد الراضى فى استسلام :

ـ أنا سأبقى .

وقالت شهيرة :

ـ وأنا .

وقال عبد اللطيف :

ـ وأنا باق معهم بالطبع .

ونظر عبد المهيمن إلى عبد الحبيب متسائلا :

ـ وأنت يادكتور؟

ـ قلت منذ البداية إنتى لن أغادر السفينة .. ليس من العقل أبدا أن نترك مأوى يمكن أن تصل إلينا فيه أية نجدة .. للهيمن فى الفراغ .. بحيث لا يمكن لقوة أن تعثر علينا .

وقال عبد القادر فى حزم :

ـ أنا سأخرج .. لأظن لدى ما أحرص عليه فى الأرض .. وفرصة النزول إلى الكوكب .. والسيطرة على أهله من أسفله .. فرصة لا يمكن أن تترك .

وقال عبد المهيمن :

ـ إنها خير بلا جدال .. من الرقدة هنا فى انتظار الموت .

وقال عبد القادر وهو يتجه إلى غرفته :

ـ سأستعد للخروج فورا يا كابتن .. يجب ألا نضيع لحظة واحدة .. فإن المشوار طويل ..

وقال عبد المهيمن :

ـ ويجب أن نقطعه قبل نفاذ الطعام ..

وأسرع عبد المهيمن إلى غرفته ..

وانتهى كل منهما من ارتداء بذلة الفضاء وعبا ما تبقى معهما من أنابيب الغذاء وترامس للماء .. وتأكد من تزويد البذلة بكل ما تحتاج إليه رحلتها فى الفضاء .

وقال عبد المهيمن لعبد القادر هامسا :

- هل ثبت الأسلحة جيدا .
- أجل ..
- وبقيّة المعدات ١٢
- أجل ..
- والطعام .
- وهمس عبد القادر :
- غير نصيبنا من الطعام .. معى احتياطى لمدة أسبوع آخر ..
- وخرج الاثنان لبقية الجماعة التى جلست على مقاعدها حول المنضدة
- وقد سادهم الصمت ويدا عليهم الوجوم .
- وكان عبد الحبير أول متكلم فقال :
- يا جماعة أرجوكم فكروا جيدا .. لاداعى أبدا للمقاومة بالخروج .. إننا
- مازلنا نأمل فى مجدة من الأرض .
- وقال عبد المهيمن :
- أمل ميثوس منه .
- وعاد عبد الحبير يقول :
- ومازلنا نحاول إصلاح السفينة .
- ورد عبد القادر :
- غير معقول بعد كل هذه المحاولات .. أن نجد وسيلة لانطلاقها .
- ما دمنا أحياء .. فالأمل باق .
- ورد عبد المهيمن :
- حياتنا قد باتت معلقة ببضع أنابيب غذاء وبضع زجاجات للماء .
- وقال عبد القادر :
- وبعد هذا .. تنتهى الحياة .. وينتهى الأمل .
- ولكن خروجكم هذا يعرضكم لأخطار محققة .
- لو كان هناك بصيص أمل فى النجاة منها .. فهذا أفضل من انتظار

موت محقق .

وقال عبد المهيمن فى حزم :

- لقد استقر رأينا .. وانتهى الأمر ..

وقال عبد اللطيف :

- إن الطعام الذى معكم لن يكفيكم سوى ستة أيام .. والمشاركما

سمعت منكم طويل .

وقالت شهيرة :

- هل سيكفيكم الطعام خلال هذه المسافة ؟

ورد عبد المهيمن :

- سنحاول جهدنا الاقتصاد فيه .. سنعيش على الكفاف .

وردت شهيرة متسائلة :

- ولماذا لا تأخذان بعض ما معنا من طعام .

وتساءل عبد المهيمن :

- وأنتم ؟ ..

ورد عبد اللطيف :

- ما دام موتنا محتما .. فلن يضيرنا أن نموت بعد أربعة أيام ..

بدلا من ستة أيام .

وقال عبد الراضى :

- بناقص يومين .. توفران علينا مشقة الانتظار .. وعلى رأى المثل ..

وقوع البلاء .. ولاانتظاره .

واندفعت شهيرة إلى حجرتها لإحضار أنابيب الغذاء قائلة :

- سأحضر لكم بعض ما عندى .

وسار عبد اللطيف وراءها قائلا :

- وأنا .. خذا كل ما عندى إذا أردتما .. فلن يعنينى أن أبقى طويلا ..

وقال عبد الحبير معترضا :

- يا جماعة .. ما دام الغذاء قد وزع علينا منذ البداية فليحتفظ كل بما لديه .. ومن يدرى .. فقد يكون بقاؤنا يوما أكثر .. فيه نجاتنا .. قد تصل إلينا لمجدة الأرض .. أو نصلح السفينة فى هذا اليوم الباقي .

وقال عبد المهيمن :

- ليحتفظ كل منكم بغذائه .. فهذا هونصيبه .. وهو الذى يحدد قدره .

ولكن عبد الراضى قال فى إصرار:

- أبدا .. على النعمة .. لا بد أن تأخذنا بعض ماعندنا .. إن أمامكما مشوارا طويلا .. ولديكما آمال كبيرة .. ولكننا لن نأمل إلا فى أن تقترب النهاية بسرعة وتريحنا .

وعاد عبد الراضى بعد لحظة ووراء شهيرة وعبد اللطيف ومع كل منهم إحدى أنابيب الغذاء .

ومد عبد القادريده لأخذاها ولكن عبد المهيمن أصر على رفضها قائلا :

- إننا لن نأخذ منكم شيئا .. إن معنا ما يكفى .

ومد يده المغطاة بقفاز سميك بصافح الآخرين قائلا :

- نرجو أن يهيبى الله لكم النجاة .

وقال عبد اللطيف :

- ونحن نرجو أن يوفقكما الله فى رحلتكما العجيبة .. وأن يوصلكما

إلى الكوكب بالسلامة .

وقالت شهيرة :

- ليحفظكما الله وينجيكما .

وقال عبد الخبير :

- لم يكن من رأى أبدا المغامرة بالخروج .. ولكم مادام هذا رأيكما

فليرعكما الله بعنايته .

وفتح باب السفينة وانزلق منه عبد المهيمن وعبد القادر .

وأخذ الأربعة يرمقونهما من النوافذ المستديرة .. وهما يتقلبان فى

الفراغ .. كأنهما زغب فى مهب النسيم .
 وبدا الفراغ أزرق داكنا والنجوم تتلألأ فى صفاء .. ومن بعيد بدا
 الكوكب مستديرا تبدو فى أرضه فجوات صغيرة .. دون أن يظهر فيه أثر
 لبشر أو حياة .
 وتساءل عبد الراضى :
 - أليس هذا الكوكب الذى يقصدانه ؟
 وقال عبد الحبير :
 - أجل ..
 - إذن أين الرعية المهيبة التى أحدثت كل هذه اللخبطة ؟
 - لا يمكن أن تبدو من هنا .. إن ما نراه هو قمم جبال .. أو أخاديد فى
 الأرض .. أو أسطح أو غابات .
 - وسيهبط الكابتن والباشمهندس هناك .
 - إذا وصلا لمنطقة الجاذبية .
 وتساءل عبد اللطيف :
 - أهنك احتمال الهبوط دون أن يتحطم جسداهما ؟
 - محتمل جدا .. فإن الجاذبية أضعف كثيرا من جاذبية الأرض .
 - ترى كيف سيكون وقع هبوطهما على الرعية ؟
 - الله أعلم .. إن هذا يتوقف على أسلوبهما فى التعامل معها ..
 ولكنى أعتقد .. أن التفاهم يمكن أن يتم مع الزمن .
 وفجأة صاح عبد الراضى :
 - زمن ؟ .. أى زمن ؟
 وتساءل عبد الحبير :
 - ماذا تعنى ؟
 - أعنى زمن الكوكب .. أو زمننا .
 وهتف عبد اللطيف فى جزع :

— يانهار أسود .

وتساءلت شهيرة :

— ماذا ؟

— إن عبد الراضى على حق .. هل سيعيشان هناك بحساب الزمن فى

الكوكب أم هنا ؟

وتساءل عبد الخبير :

— وماذا تفرق ؟.

— لو عاشا بزمان الكوكب .. لما تبقى فى أى عمر أى واحد منهما ..

أكثر من يومين بحسابنا .. لأن أى واحد منهما لن يعيش أكثر من خمسين عاما
أخرى .. مهما طال عمره .

وقال عبد الراضى :

— وخمسين عاما .. يعنى يومين من عمرنا .

وقالت شهيرة :

— يعنى بفرض نجاحهما .. ووصولهما إلى الكوكب .. وحكمهما

للرعية .. لن يبقيا أكثر من يومين .

وقال عبد الراضى ضاحكا :

— خسارة .. ما يجيبوش قمتهم .

ثم أردف قائلا :

— ألم أقل لكم .. لا داعى للخروج فى الهوا .. والبهذلة .. سأتبقى فى

فراشى .. أقرأ الفاتحة وعدية يس على روحى .. حتى يحين قضاء الله ..
عن إذنكم .

٢٢ - مشوار فى الفراغ

سرى عبد المهيمن وعبد القادر فى الفراغ يشوحان بأذرعهما وأرجلهما .. متجهين صوب الكوكب الذى لاح فى جانبه المشرق من بعيد رمادى اللون تكسوه ظلال متناثرة وتحيط به هالة من الضوء الأزرق الفاتح تزداد قتامة كلما بعدت عن الكوكب حتى تتحول إلى زرقة داكنة تختلط بزرقة الفراغ الذى تناثرت فيه النجوم براقاة متلاثلة .

وبدأ الحديث بين الاثنين بواسطة الجهاز اللاسلكى الصغير الذى احتوته بدلة الفضاء .. وأخذ عبد المهيمن شهيقا طويلا بطيئا حاول أن يستعيد به رباطة جأشه بعد فترة القلق التى أعقبت لحظة مغادرة السفينة وتساءل بقدر ما يملك من هدوء :

- كيف الحال ؟

ورد عليه عبد القادر وأنفاسه ما زالت تتلاحق :

- لا بأس .. أحس بشيء من الضيق والاختناق .. ولكن الحالة تسير إلى أفضل .

- لقد شعرت بمثل ما شعرت به .. ولكنى واثق أنه إحساس موهوم .. فالهواء نقى داخل البدلة .. والأربطة محكمة .

- يتملكنى إحساس كأنى فى سجن .

- وأنا أيضا .. فوسط هذا الفراغ الهائل .. يشق على المرء أن يقيد فى هذا الحيز الضيق .. ومع ذلك فإنه لا يعوق حركتنا .. إنى أشعر أنى خفيف كالريشة .

- ليتنا كنا أثقل من هذا .. إذن لاستطعنا أن نوجه حركتنا ونسيطر

على اتجاهنا فأتى أحس أتى ضائع منقلت .. ويعلم الله إن كنا نسير نحو
الكوكب .. أو نبعد عنه .
- أعتقد أننا نسير نحوه .. ولكنى لا أعرف بأية سرعة .
- إنى أحاول أن استحث الخطأ .. أحاول أن أجرى .. ولكنى لأجد ما
أستند عليه أو أندفع منه .. كل ما أملكه هو تحريك ساقى وذراعى ..
- ليس أمامنا سوى هذا .
وصمت عبد المهيمن برهة ثم أردف :
- المهم ألا ترتطم بشيء .
- شيء مثل ماذا ؟
- مثل هذه المذنبات التى تنطلق فجأة من هنا أو هناك .
- هل تظنها فى هذا الفراغ الهائل .. لا تجد طريقا للاتطلاق سوى
طريقنا لتضطدم بنا .
- من يدرى .. لو شاء القدر .. لفعلت .. ولقضت علينا .
- ربنا يستر .
واستمر الاثنان يتحركان بكل ما يملكان من قوة وجهد .. وبعد برهة
تساءل عبد القادر :
- أتشعر بجوع ؟
- أشعر بقرصة فى المعدة .. ربما كان جوعا .. ولكنى على أية حال ..
لا أفكر فى الأكل ..
- ولكننا لابد أن نأكل ..
- ما دمتنا لم نشعر بالجوع فلنوفر الطعام .
- بالعكس .. يجب أن ننظم وجباتنا .. حتى لا يحدث لنا ارتباك
معوى .. فليس لدينا فائض جهد نستهلكه فى المرض .. ولا فائض وقت
نضيقه فى العلاج .
- على أية حال .. الأنبيوية معلقة أمام شفتى .. لا تحتاج سوى أن

أضغط بأصبعي على زر الطعام حتى يخرج منها الطعام إلى فمي .
 - إذن دعنا نأكل وجبة الغداء وننتهي .
 وفي لحظة انتهى كل منهما من تناول طعامه .. وعاد عبد القادر
 يتساءل :

- هل نظننا سنصل إلى منطقة الجاذبية ؟
 - هناك احتمال كبير لو استمررنا على هذا السير .
 - لو أننا قطعنا منطقة اللاجاذبية .. فلا أظن أن هناك مشقة كبيرة في
 الوصول إلى الكوكب بعد ذلك .
 - ليست مسألة مشقة .. ولكنها مسألة حياة أو موت .. مسألة أن
 نصل سالمين .. أو نصل حطاما .
 - بمقياس معدل الجاذبية .. اعتقد أن هناك احتمالا للوصول سالمين ..
 - لحدث هذا أصبح معجزة .
 وصمت عبد المهيمن برهة ثم تساءل :
 - كيف نظن أهل الكوكب سيستقبلوننا ؟
 - أعتقد أننا سنلقى منهم أرواح استقبال .
 - لماذا ؟

- ألم نحكمهم عدة قرون .. ألم نبعث فيهم الوجود البشري ؟
 - هل تراهم يذكرون هذا ؟
 - يجب أن يذكروه .
 - طبيعة الإنسان ألا يذكر فضل صاحب الفضل عليه .. على النقيض
 إنه يصاب منه بعقدة الجحيل .. ويتعمد تجاهله وإنكاره .. حتى لا يذكر نفسه
 بأوقات بؤسه .

- على أية حال إذا لم يذكرونا .. سنذكرهم بنا .. وبأفضالنا عليهم .
 - لن ينصت إليك أحد .. لأنهم أكثر إقبالا على صاحب فضل قادم ..
 منهم احتفاء بصاحب فضل سابق .

- إذن فسنفرض عليهم سيطرتنا بكل ما نملك من أسلحة السيطرة ..
وأساليب القوة ووسائل المعرفة .

وفكر عبد المهيمن برهة ثم قال :

- سنرى كيف نتصرف معهم عندما نلقاهم مواجهة .. المهم أن نصل
إليهم .. وسيكون لدينا بعد ذلك الوقت الكافى للتعامل معهم .

- أجل .. سيكون أمامنا أجيال طويلة .. لن نكون مقيدين بالقرون
السبعة التى كانت تحدد عملنا فيها مدة الشهر التى كانت فرصتنا فى الحياة
.. إنا نملك من عمرنا السنين الطويلة التى تمنحنا فرصة العمل فى الكوكب
آلاف الأعوام بل آلاف القرون .

وسادت فترة صمت بدا كأن الاثنين يفكران مليا فيما قيل .

وقتم عبد المهيمن كأنه يحدث نفسه قائلا :

- آلاف القرون .. فى عمرنا نحن .

وأجاب عبد القادر فى لهجة شابها التشكك :

- بل فى عمر الكوكب .

- وهل سنعيش فى الكوكب بزمنا . أم بزمان الكوكب ؟

- وهل سنعيش آلاف القرون ؟

- إنها فى عمرنا لن تزيد عن عشرين عاما .

- بزمنا نحن بالطبع .. يعنى ستظل الساعة من عمرنا بعام فى

الكوكب .

- وكيف يمكن أن نتعامل معهم .. إذا كنا نعيش بزمنا وهم يعيشون

بزمنهم ؟

- ولم لا ؟

- يا أخى .. إن مجرد غفوتنا لبضع ساعات معناه مرور بضع سنوات بهم

.. هل تتصور حاكما يمكن أن يغفو عن الرعية بضع سنوات ؟

- غير معقول ..

- وهل تتصور أننا نصبح ونفسى فنجد نصف الرعية قد مات ونجد الأطفال قد صاروا شبابا .. والشباب قد صاروا شيوخا .. كيف يمكننا التعامل معهم ؟
- مصيبة ! .. ترى ما العمل ؟ .
- العمل هو أن نعيش بزمانهم .. إن هذا هو ما لابد أن يحدث لنا بمجرد أن نهبط فى الكوكب .
- هل تعنى أننا سنعيش أيامنا بأيامهم .. وسنيتنا بسنينهم ؟
- طبعا .. ما دمنا قد وصلنا إلى كوكبهم ، بل أغلب الظن أن أيامنا فى الطريق إليهم ستقصر عن معدلها الطبيعى .
- وعاد عبد القادر يتسائل مشدوها :
- هل ستقضى ما تبقى من عمرنا بحساب زمانهم ؟
- طبعا .
- أتعنى أن السنوات العشرين أو الثلاثين الباقية لنا .. ستحسب بحسابهم ؟
- قلت لك أجل ..
- أتعرف ما يعنى هذا .. يعنى أننا لن نعيش هناك سوى يوم واحد .. هذه مصيبة .. إننا بعد كل ما فعلنا .. سنموت قبل عبد الحبير وأصحابه ..
- يا أختى إن السنوات الباقية لنا لن تمر بنا كيوم .. بل ستمر كأنها فعلا عشرون أو ثلاثون عاما .
- ماذا بهم كيف تبدو .. بقدر ما هى فعلا .. إنها يوم فى حياتنا الحقيقية .. يعنى عبد اللطيف وعبد الراضى وشهيرة .. لن يكون قد مر بهم أكثر من يوم .. ونحن قد بلغنا سن الشيخوخة ووقفنا على عتبة الموت .
- لماذا تصر على المقارنة بهم .. إننا سنكون فى كوكب آخر .. ومع أحياء آخرين .. هم الذين سترتبط حياتنا بهم .
- وحتى هؤلاء .. لن نحكمهم أكثر من عشرين عاما .

- ألا تظنها كافية ؟

- إنها مجرد حكم عادى .. غيرنا حكم فى الأرض أكثر من هذا ..
إننا لن نتحكم فى أكثر من جيل واحد .. ومحمّل جدا .. أن نتعرض لإحدى
موجات الغضب .. ومنتزع من الحكم .

- جائز جدا .. إذا لم نحسن قيادة الرعية .

- لو أعلم هذا لبقيت فى السفينة .. على الأقل كان حكمنا قد دام
لجيلين آخرين .. وكنا هناك فوق غضب الرعية .. وفوق تقلباتها وأهوائها ..
خسارة ..

- لا داعى للتدم الآن .. لقد هبطنا من السفينة وانتهينا .. ولا وسيلة
للعودة .. وليس أمامنا إلا أن نكمل المشوار .. المهم كما قلت لك أن نخرج
من منطقة اللاجاذبية .

- نخرج أو لانخرج .. كله محصل بعضه .

- بل خير لنا أن نخرج بدل أن نضيع ما تبقى من عمرنا .. هائمى فى
الفراغ .. هيا بنا .. ولتسرع الخطا فالوقت يسرقنا .
وانطلق الاثنان يخبطان فى الفراغ بأذرعهما وساقيهما .

وفى نفس الوقت ..

كانت الجماعة الباقية فى السفينة قد تمددوا فى استرخاء .. عدا عبد
الخبير الذى كان يواصل العمل فى غرفة العمليات لآخر لحظة فى محاولة
لإصلاح أجهزة الانطلاق فى السفينة أو أجهزة الاتصال .

وكانت شهيرة وعبد اللطيف وعبد الراضى قد استلقوا على مقاعد
مريحة فى غرفة المراقبة .

وقال عبد اللطيف :

- اختفى أصحابنا .. ولم يعد لهم أى أثر .

وتساءلت شهيرة :

- وهل تظنهم واصلين ؟

ورد عبد الراضى :

- وصلوا أو لم يصلوا .. بعد أيام سنقرأ على أرواحهم الفاتحة .. إذا
كان لم يزل فينا رمتق .

وقال عبد اللطيف مؤكدا :

- أجل .. إذا لم يموتوا بالجوع فى الفضاء .. فسيموتون بالشيخوخة
على أرض الكوكب .

وقالت شهيرة :

- دعونا نلق نظرة على الرعية .. لنرى أحوالها .

ورد عبد الراضى :

- ياستى فضيها سيرة .. الرعية .. مازالت كما هى .. ولن تكون أبدا
خيبرا مما هى .

واستطرد عبد اللطيف :

- يبتكرون كل يوم اختراعا لإراحة أنفسهم .. ولكنهم لا يلبثون حتى
يحولوه إلى أداة للصراع بينهم .. وإلى وسيلة للفتك والإبادة .. وأطعمهم
لاتقف عند حد .. ويقدر ذكائهم فى الابتكار والاختراع بقدر غبائهم فى فض
مشاكل الصراع بينهم .. بحيث سرعان ما يتحول إلى صراع حيوانى للقوى
.. تستعمل فيه وسائل البطش .. وتستبعد منه إمكانيات العقل .. رعية
حمقاء غبية .. دعونا منها .

ونظر عبد الراضى إلى اللوحة السوداء وقال :

- إذن دعوا الدكتور يدير المحطة .. ويرينا شيئا مسليا .

وقال عبد اللطيف :

- محطات إيه يا عبد الراضى .. قلنا لك هذا ليس تليفزيون .

- إذن دعونا نشاهد فى الكوكب شيئا مسليا .

- ليس هناك غير الضرب والصراع والخطب .

- أليس هناك تمثيلات ؟

- كلها قد باتت غير مفهومة .. كأننا فى مستشفى مجاذيب .. والصور
قبيحة والتماثيل مشوهة .. حصان على رأسه تاج .. وامرأة بكفل حصان
.. وحفر بدل العيون .. وعصى بدل الأصابع وبجانب كل هذا إنسان فهلوى
يشرحها لك .. بألفاظ لامعنى لها .. بين أبعاد وأعماق وتلاحم .. ويقول لك
عندما لاتفهم .. إنه لاضرورة لأن تفهم .. المهم هو التأثير المباشر .. أو
الانطباع العام . والنتيجة ضيق مباشر .. وقرع عام ..

وقال عبد الراضى :

- يعنى .. سبقى هكذا إلى النهاية ؟

- ليس أمامنا سوى هذا .

- ياخسارة .. يألّف خسارة .

- على ماذا ؟

- على الأرض .. لم تكن راضين بها .. الله يمسىكى بالخير يا زهرة ..
كنت تعملين طول اليوم .. وتحضرين إلى الطعام الذى تلطشينه من الخوجاية
التي تعملين عندها فى آخر النهار.. والا أم عبده !! كان حضنها دافئا وطريا
.. خسارة اتحرمتنا من كل هذا.. ومن كل شيء كان سيجد فى المستقبل ..
كل هذا منك يا أستاذ .

- أنا ؟

- أجل أنت .. قلت لى .. نصعد إلى السماء .. ووافقتك .. على أنه
نكتة .. أو مقلب .. مما تعودت أن تضحك به على .. ولكنه اتضح أنه مقلب
حقيقى .. وجررتنى معك لتلقى بى فى سابع سما .. طول عمرك تزج ..
وطول عمر أقوالك ترسى على فشوش .. لست أدري لماذا .. كنت جادا فى
هذا .. لماذ لم يكن باب الهزل الذى تعودته؟

- قسمتك يا عبد الراضى .. لك نصيب قوت فوق .. وعلى رأى

الشاعر :

- ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سراها .
 - أرض يا أستاذ .. وليس سماء .. أرض يستقر فيها جسده ..
 ويرشها السقا بالماء .. ليرطب عظامه .. ياخسارة الأرض .. كان لنا بيت ..
 ومطبعة .. وغرزة .. كانت لنا أشياء عزيزة ..
 وتنهدت شهيرة قائلة فى حزن :
 - أجل يا عبد الراضى .. أشياء عزيزة .. وماذا أعز من الضنى .. لقد
 جريت وراء المجد والشهرة .. والاسم المطبوع .. والصورة المنشورة .. وحملت
 بالمانشيتات .. ولكنى أحس الآن أن فى الأرض أشياء أجمل من هذا
 بكثير .. ضمة راوية إلى صدرى .. عزيزة .. عزيزة .. وشقاوة محمود ..
 وعفرتته .. كم أوحشتنى .. وجلسة الليل فى الشرفة أمام النيل ..
 ومناكفات التليفزيون .. أشياء صغيرة .. قد تبلى تافهة .. ولكن كلها
 عزيزة ..

وقال عبد اللطيف :

- أجل أشياء بسيطة .. ولكنها تشكل كياننا على الأرض .. تهاوى
 التليفونجى واستراقه السمع إلى المحادثات . الأستاذ عبید وعموده الذى
 لايعنى شيئا .. الشائعات .. والنكت .. والمطابع تدور .. أو الأوتوبيسات
 تنطلق محملة تطفح بالركاب .. عربة ساندويتشات الفول يتزاحم عليها
 العمال وموظفو الدواوين ..

وصمت برهة ونظر إلى شهيرة ثم أطلق زفرة طريلة واستطرد يقول :
 - والحب والشوق والحنين .. أشياء بسيطة .. ولكنها سمات الأرض ..
 أرضنا العزيزة .. بكل الأشياء العزيزة التى تحملها .. كنا نظنها الكون كله
 .. وكنا نظن أنفسنا فوق ظهرها كل شيء فى هذا الكون .. وإذا بنا ..
 وبها .. شيء ضئيل .. فى تكوينه الضخم المعقد ... لنا وحدنا فى الكون
 ... إننا قطرة فى محيط هادر متلاطم .

وقتم عبد الراضى قائلا :

— الأحد هو الله يا أستاذ .. هو الأحد فى هذا الكون .. هو صاحبه وخالقه ..
والقادر على كل ما لا يقدر عليه غيره ..

وقال عبد اللطيف :

— القادر على أن يهب الحياة .. خالق الحبة التى تنبت سنبله والنطفة
التي تنبت إنسانا أو فيلا .. أو فملة .. بكل ما فى كيانها من تركيب دقيق
منظم معقد .. نحن لانفلك إلا أن نخشع له ونؤمن بقدرته .

وقالت شهيرة :

— أجل ما أعجزنا فى الكون .. أمام .. أتفه مخلوقاته .. أمام حشرة ..
أو حبة .. بعد كل ما أنتج الذهن البشرى .. يقف حائرا أمام سر الحياة ..
أمام إتمام إنتاج .. حبة تنبت وتورق .. وتؤتى ثمرة .. أمام صنع نطفة ..
تنمو وتحرك .. وتتكاثر ..

ورد عبد اللطيف :

— ما أضأنا بعد كل هذه الانتصارات .. أمام هذا الكون .. الكبير ..
كل انطلاقة لنا خارج محيط أرضنا تزيد من ضآلتنا ..
أمام سعة الكون وروعيه .. وعظمته ..

وقال عبد الراضى :

— إذا كنا ننسب كل إنتاج إلى صاحبه وخالقه .. فماذا ننكر أن يكون
لكل هذا الكون صاحب .. وخالق .. لماذا نريد أن نجعله .. مع كل روعته
.. وتنظيمه ودقته .. رمية من غير رام .. أو خلقا بغير خالق ؟ ..

وقال عبد اللطيف :

— ولماذا نحاول أن نحدد قدرته ونختبرها فى جزء ضئيل من هذا الكون
.. هو الأرض ومن عليها من بشر .. وكأنها كل شيء فى هذا الكون ..
وهى لا تزيد على ذرة رمل فى صحراء كبرى .. نسأله عن تفاصيل حياة
الملايين .. هذا نجح .. وهذا فشل .. وهذا سرق .. وهذا ظلم .. ونحمله
مسئولية عجزنا وضعفنا وسوء تصرفنا .. ونحن جزء ضئيل من كون كبير

معقد مختلط .. نتصرف حياله وكأننا وحدنا فيه.. أو كأننا الكون كله ..

وقال عبد الراضى :

- كنت دائما أومن به ويعظمته وقدرته .. ورغم كل ما أتييت من ذنوب
كنت دائما أطمع فى عفوه ومغفرته .. فليغفر لنا خطايانا .. وليرحمنا
جميعا .

وقالت شهيرة فى أسى :

- لوأننا نعود إلى الأرض ..

وهز عبد اللطيف رأسه قائلا فى يأس :

- لافائدة .. الدكتورمختف فى حجرة الماكينات يحاول إصلاحها
بغيرجدوى .

وفى تلك اللحظة أقبل عبد الحبيب وقد بدا عليه الإرهاق الشديد . وقال
عبد اللطيف :

- استرح يادكتور .. لقد سلمنا أمرنا له .

وقال عبد الحبيب :

- مازالت أمامى محاولة أخيرة .. إذا لم تفلح .. قضى على آخر أمل
لنا .

واسترخى عبد الحبيب برهة .. ولكنه لم يلبث أن قفز من موضعه قائلا :
- سأجرب فكرة .. خطرت ببالى الآن .

واندفع إلى حجرة العمليات .. ولم تمض بضع دقائق حتى سمع الجماعة
صيحة . ووثب الجميع تجاه الغرفة .. وصاحت شهيرة قائلة :

- ماذا حدث ؟

وهتف عبد الحبيب :

- الصاروخ اشتغل .

وهز عبد الراضى رأسه قائلا دون أن يعرف سبب هذا الصراخ :

- طب مايشغل .

وعاد عبد الخبير يقول فى صيحته العصبية :
- إن السفينة تستطيع الانطلاق .
وتساءل عبد اللطيف :
- الانطلاق إلى أين ؟
- إلى حيث نريد .. إما إلى الكوكب .. أو إلى الأرض .
وصاح عبد الراضى مشدوها :
- إلى الأرض ؟ .. يقول إننا نستطيع أن نعود إلى الأرض .
هتفت شهيرة ودموعها تنساب من عينيها :
- أحقيقة نستطيع العودة إلى الأرض .. أوافق أنت يا أبى ؟
وقال عبد الخبير مؤكدا :
- طبعا ..
- هل قروتم أن تعودوا إلى الأرض ؟
وهتف الجميع :
- طبعا .
وتساءل عبد الخبير :
- والكوكب ؟
ورد عبد اللطيف :
- ماله الكوكب ؟
- هل سنتركه هكذا ؟
- وماذا نستطيع أن نفعل فيه .. إننا نريد العودة إلى الأرض وكفانا
مغامرة ..
وقال عبد الخبير فى لهجة هادئة :
- هل سنترك أهله هكذا ؟
وتساءلت شهيرة :
- وماذا نستطيع أن نفعل لهم ؟

وقال عبد الراضى :

- يكفى لهم الكابتن والباشمهندس .. لقد ذهبوا إليهم .. مندوبين عنا .

وقال عبد الخبير :

- إنهم لن يملكوا لهما شيئا ..

تسأل عبد اللطيف :

- وهل نملك نحن ؟

- بالطبع .

- ماذا نملك ؟

- نملك أن نغير حالهم .

- كيف ؟

- ننزع عنهم الصفات التى سببت لهم كل هذا ..

- ونعيدهم شجرا ؟

- أو بعض الصفات .. ونتركهم بمشاكل أقل .

- مثل ؟

- يعنى ننزع مثلا صفة الطموح وحب التميز والسباق إلى قلك أكبرما

يمكن من الأشياء .

- وماذا يصبحون ؟

- بشرا يأكلون ويتكاثرون .

- كالحیوانات ؟

- شىء كهذا .

- ولكنهم سيتصارعون من أجل الجنس ؟

- أجل .

- إذن نسلبهم متعة الجنس .

- وماذا يبقى لهم ؟

- متعة الطعام .

- وسيتضرعون على الطعام ؟
- طبعاً .
- ويتقاتلون ؟
- جائز .
- إذن ننزع منهم هذه الصفة .
- ونعيدهم أشجاراً كما كانوا ؟
- ولم لا .: على الأقل نريح ضميرنا مما يمكن أن نكون قد أوقعناهم فيه .. ونخلصهم من كل ما سببنا لهم من مشاكل ومادفعنا به إليهم من مصائب ومتاعب .
- هل ترون أن هذا أفضل ؟
- بالطبع .. لقد أثرتنا فتنة نائمة .. ويجب أن نخمدوها ..
وهكذا استقر رأى الجماعة بعد المناقشة على إعادة أهل الكوكب إلى ما كانوا عليه .. مجرد أشجار تضرب جذورها فى الأرض تستمد غذائها فى هدوء وترف أوراقها فى النسيم لتلقط أنفاسها فى سكينته وتحمل الريح حبوب لقاحها ليجرى التكاثر فى صمت .. وتهبط بذورها إلى الأرض لتثبت نبتاً جديداً .. قلاً الأرض خضرة وزهراً وثمرات .
وأخذ عبد الحبيب يضبط لوحة الجهاز .. وبعد لحظة بدا الكوكب .. يملؤه الصراع والصراخ وكأنه يزخر بكوم من المجانين ..
وقال عبد الراضى ..
- آه يا غجر .. كسفتونا الله يكسفكم .. لن ينفع معكم سوى التشجير ..
.. يالله يادكتور .. ريحهم .. وريحنا ..
ويدأ عبد الحبيب عمله ..
ضغط على بعض الأزرار .. وحرك بعض المسامير ..
وبعد برهة .. بدأت حركة أهل الكوكب تهدأ ..
خف الصراع .. وخفت الصراخ .. وهدأت الخطب ..

- وأخذت الجماعة تحملق فى اللوحة فى ذهول .. وهى ترى .. الكوكب
يسكن .. كأن عاصفة هبت عليه .. ثم أخذت فى الهدوء .
وفجأة أشارت شهيرة إلى نقطة فى اللوحة وصاحت :
- انظروا ..
وتساءلت الجماعة :
- ماذا ؟
- شىء يهبط على أرض الكوكب ..
وقال عبد اللطيف :
- .. أجل .. أجل كأنه جندى مظلات .
- إنهما اثنان .
- عجيبة .. هل اكتشفوا فى الكوكب الهبوط بالمظلات ؟
- لعله من الخارج .. غزو من كوكب آخر .
وفجأة هتف عبد الحجير :
- إنهما هما .. ببذلتى الفضاء .
وصاحت شهيرة مؤكدة :
- أجل .. هذا عبد المهيمن ووراءه عبد القادر .
- لقد خرجا من منطق اللاجاذبية .
- وهما يهبطان نحو أرض الكوكب .
- هبوطا هينا كأنه هبوط بالمظلة .
- أجل إنهما لا يهويان .
- بل يهبطان الهوينى كأنهما يتمشيان .
- فى خفة .. وهدوء .. كأنهما ريشتان .. أو طائران .
- عجباً كيف وصلا إلى هناك ؟
- لابد أنهما قطعاً منطقة اللاجاذبية .
- بمثل هذه السرعة ؟

- لا بد أن المشوار لم يكن طويلا .
- وبعد ذلك اندفعا إلى الكوكب بحكم الجاذبية .
- الحمد لله إنهما قد وصلا .
- وإن اندفاعهما إلى الكوكب كان هادئا وبطيئا .
- سيصلان إن شاء الله بالسلامة .
- وسيجدان كل شيء هادئا .
- أترى سيرضيهما هذا ؟
- ولم لا ؟
- لقد كانا يرغبان فى ممارسة السلطان وفى حكم الرعية .
- لأظن الرعية بعد كل هذه اللخبطة تستحق الحكم .. إن البعد عنها كما يقولون غنيمة .
- وستكون الحياة لهما فى الكوكب المشجر .. أفضل كثيرا .
- وسيستطيعان أن يدبرا أمرهما .. كروين سان كروزو .
- أجل لديهما من الثمار ما يكتفيهما حتى آخر العمر .
- والآن أظننا نستطيع أن نعود مطمئنى البال عليهما ..
- وعلى الرعية .

٢٣ - أمل فى البشرية

أخذ عبد المهيمن وعبد القادر .. فى الاقتراب من الكوكب . رويدا .. رويدا .

وقال عبد المهيمن فى فرحة :

- لم يكن المشوار طويلا كما ظننا .

- أجل .. لقد أحسست فجأة وأنا أطوح بذراعى فى الهواء كأن شيئا يشدنى إلى أسفل .

- خيل إلى أنى أغطس فى بركة ماء وأنى أحتاج إلى الجهد لكى أبقى على السطح .

- تركت نفسى فإذا بهى أهبط .

- لقد خشيت فى أول الأمر .. أن يكون هناك ما يسمونه بالمطب الهوائى .. وأن يكون هبوطنا مؤقتا .

- ولكن الجذب بدا متوصلا ملحا .

- جذبا هادئا .. لم أصدق معه فى أول الأمر أنى أهبط نحو الكوكب .

- وأنا أيضا .. لم يخطر ببالى أن المسألة هيئة بهذا الشكل .. خسارة أننا لم نحضر الجماعة معنا .

- لقد ألحنا عليهم .. ولكنهم آثروا البقاء فى السفينة .

- مساكين .. إن الغذاء يوشك أن ينقذ منهم .

- وسيلقون مصيرهم حتما .

- لئلا نستطعنا الاتصال بهم .

- أو العودة إليهم .
- لافائدة .
- ربما لو وصلنا إلى أرض الكوكب نجد وسيلة للاتصال بهم .
- أرجو ألا يكون ذلك بعد فوات الأوان .
- ولعلمهم وقتذاك يستمعون إلى نصحننا وسهبطون .. بدلا من الاستسلام للموت .
- لاشك أنهم سيهبطون .. إذا عرفوا أننا وصلنا بسهولة .
- ليتهم يحاولون أن يديروا الجهاز .. فلعلمهم يروننا هابطين ويقتدون بنا .
- لأظنهم سيديرونه .. فلقد تركناه مفلقا ..
- أجل لقد بدوا كأنهم فرغوا من أمره .. ومن أمر الكوكب وأهله .
- لعلمهم يشغلونه من باب التسلية .
- لأظنهم فى حالة تساعد على البحث عن وسائل التسلية .. لقد كانوا فى حالة يأس تام .
- على أية حال بمجرد أن نهبط سنحاول أن نفعل شيئا لاستدعائهم .
- المهم أولا .. كيف سيستقبلنا أهل الكوكب .. وهل سيتركون لنا فرصة لعمل أى شئ .
- يجب أن نبذل جهدنا للسيطرة عليهم من أول لحظة .. يجب أن نستعمل كل وسائل الترويع والانبهار .. يجب أن نتركهم مأخوذين ..
- مبهوتين حتى يدركوا أننا مخلوقات فوق مستواهم .
- ولكن يجب ألا نخيفهم حتى لا يؤذونا دفاعا عن أنفسهم .
- إن المسألة تحتاج إلى مهارة وحيلة .
- انظر إلى أسفل إن أرض الكوكب تقترب .
- تقصد أننا تقترب من أرض الكوكب ؟
- أجل .. أجل .. التفاصيل قد بدأت تتضح .. الأنهار والجبال ..

- والبحيرات .. والغابات .
- إن الغابات تملأ أرض الكوكب .
 - لم تكن تبدو كذلك من فوق .
 - لابد أننا نهبط نحو منطقة كثيفة الغابات .
 - لا أكاد أرى أثرا لبشر .
 - غير معقول أن يبدو لنا من هذا البعد .
 - وأشعر أن السكون يسود الكوكب .. أين الضجة والصراخ التي كنا نسمعها من فوق ؟
 - اصبر .. إننا مازلنا بعيدين .
 - إننا تقترب ..
 - يخيّل إليك .
 - إن تفاصيل الأرض تبدو واضحة .
 - هذا خداع بصر ..
 - بل إن الأشجار قد بدأت تتضح .. بفروعها وجذوعها .
 - ولكن لا شيء يبدو سواها .
 - والسكون يسود .
 - إلا صوت الريح تسرى في الأغصان .. وصوت الأمواج تلطم الشاطئ ..
 - أنصت جيدا .. فلعلك تسمع ضجة آدمية .
 - أبدا .. لا فرقة .. ولادوى .. ولا صراخ .. ولا هتاف .. ولا حتى همهمة أو لفظ .
 - لعلنا هبطنا في منطقة غير آهلة بالبشر .
 - جائز ..
 - خذ حذرك .. إننا تقترب .
 - أرض الكوكب تبدو بكل تفاصيلها .. إنى أكاد أرى .. الفروع

والورق والزهور.

- عجيبة ..

- ماذا ؟

- هذا المنظر ليس غريبا على .

- لعلك قد سبق لك الهبوط هنا .

- لا .. لا .. إني أتكلم جادا .. أكاد أجزم أنى سبق أن رأيت هذا

المنظر .

- إى والله معك حق .

- ولكن أين .. أين ؟

- تذكرت .. إنه هو بعينه .

- ماذا تقصد ؟

- نفس المنظر الذى رأيته هناك .

- أين ؟

- فى السفينة .

- أجل .. أجل .. تذكرت .. أول منظر رأيته فى الكوكب على

اللحمة ..

- ولكنه تغير بعد ذلك .

- طبعاً .. تحرك معظم ما فيه من شجر .

- ونبت له أذرع وسيقان وانطلق فى الأرض يأكل ويتكاثر ويتصارع ..

ويعبث فيها فساداً .. ويلوثها ضجيجاً وصراخاً .

- ولكن ماذا حدث ؟

- لعلنا هبطنا فى منطقة مشابهة .. مازالت على بدائيتها .. لم يتحرك

ما فيها من شجر.

- جائز .. على أية حال من المصلحة أن نهبط فى هذا الجانب الخالى

من البشر حتى نتدبر أمرنا ونستقر ثم نتوجه إلى الرعية .

- احذر إننا تقترب .
- أوشكنا على الهبوط .
- ألا يبدو منظر الشجر غريبا ؟
- كيف ؟
- فروعه كأنها تتحرك .
- ربما من النسيم .
- لا .. لا .. إنها تتحرك كالأذرع .
- أنت واهم .. مازلت تحت تأثير أنها تحولت إلى بشر .
- والبراعم كأنها عيون تحديق فينا بذهول .
- احذر حتى لا تسقط على إحداها فتعلق في أغصانها .
- إننى أحاول تجنبها ..
- هناك منطقة خالية دعنا نتجه إليها ..
- أجل .. هناك .
- احذر هذه الشجرة الشائكة .
- لا يبدو هناك أثر لبشر .. ولا مخلوق واحد .
- أكاد أحس بمخلوقات كثيرة تحتشد أسفلنا .
- أين .. تحت الشجر ؟ ..
- بل فى داخله .. إنها هى الشجر نفسه .
- عدت لوهمك الذى يسيطر عليك .
- إننا تقترب .. إنها تنظر إلى .
- من هى ؟
- هذه الشجرة .. وتلك .. تحديق فى .. كأنها توشك أن تقول شيئا .
- كف عن الأوهام فإننا لا ننوى التعامل مع الشجر .. وليس فى
- مقدورنا أن نحولها إلى بشر .. فلنهبط إلى الأرض ونبحث عن الرعية ..
- حتى نمارس فيها السلطان .

- وأخيرا .. هبط الاثنان .. وسط الأشجار المكدسة .
ومست أقدامهما الأرض .. وثبتت فيها .. كأن شيئا قد ألصقها بها .
وهتف عبد المهيمن :
- لأستطيع أن أحرك قدمي .
- ولا أنا .
- كأن بالأرض مادة لاصقة .
- أو بها مغناطيسا .
- كيف سنخلص أقدامنا .. إننا لانستطيع الحراك .
- اجذب قدمك بشدة .
- لأستطيع .
- ولا أنا .
- لنخلع البذلة .
- أخشى أن يكون الجو غير ملائم ..
- لتجرب فقير معقول أن تظل هكذا ملتصقين بالأرض .
وقبل أن يهم كل منهما بالخروج من البذلة .. هتف عبد القادر :
- انظر ..
- ماذا ؟
- إن أصابع يدي تنمو وتخرق القفاز
- وأنا أيضا .
- إنها تتفزع .
- وتتشعب .
- وأصابع قدمي قد امتدت من الخذاء واخترقت الأرض .
- وخرجت منها شعب وشعيرات تمتد في باطن الأرض .
- إذن هذا هو سر التصاقنا بالأرض .
- لا بد أن يكون كذلك .

— إن شعري قد استطال وامتد ..
— إنه يورق .
— وأنت كذلك .. إن منظرك يبدو كالشجرة .. عيناك تتحولان إلى
برعم .

— وجسدك يتحول إلى جذع ممدود .
— إنها كارثة .. لقد تحولنا إلى شجر.
— أمعقول هذا ؟
— ولم لا .. ألم يتحول الشجر إلى بشر ؟
— أجل .
— لا بد أن تكون قد حدثت الآن عملية مضادة ..
— ماذا تقصد ؟

— أقصد أن البشر قد أضحي شجرا .
— كيف ؟

— كما تحول الشجر إلى بشر .

— ولكن من فعل هذا ؟

— ليس هناك سواهم .

— تقصد الجماعة هناك ؟ ..

— ولم لا ؟ ..

— وما الذي يدفعهم إلى هذا ؟

— الخلاص من المسؤولية .. وإراحة ضميرهم قبل أن يموتوا .

— إذن لقد فعلها عبد الخبير .. الله لا يكسبه ولا يريحه لقد زرعنا في

الأرض ...

— إنه بلا شك لم يقصدنا .

— ولكننا أدخلنا في العملية .

— لم يدر بخلده قط .. إننا سنتحول مع الرعية إلى شجر .

- إنها عملية إجرام .
- إجرام لماذا ؟
- لأنه قضى علينا كبشر .
- إنها شيء مروع فعلا .. أن يسخط الإنسان إلى شجرة .. لكن بينى وبينك .. ماذا يضايقتك ؟
- يضايقتنى .. يضايقتنى .. أنى لأستطيع أن أتحرك .
- ولماذا تريد أن تتحرك ؟
- لأقضى حوائجى .. لا أستطيع أن أبقى هكذا فى موضعى كالتنبل .
- وما هى حوائجك .. الطعام ؟
- مثلا .
- جذورك تضرب فى الأرض لتأخذ ما تحتاج وأنت رابض فى محلك ..
- المطر يسقط .. والنسيم يهب .. وأنت تأكل وتشرب وتتنفس .. ماذا تريد أكثر من ذلك .. بلا حركة .. يأتى لك كل شيء على الجاهز .
- أظن حياتنا كلها أكل وشرب ؟
- وتكاثر ؟ !!
- يعنى ؟
- غدا يزهر رأسك .. أعنى فروعك وأوراقك .. وتخرج منها حبوب اللقاح .. فتحملها الريح عنك لأقرب أنثى .. وأنت مستريح فى مكانك ..
- أجل .. أجل .. بلا جري وراء الإناث . ولا مطاردة .. ولا غزل .. ولا صرف .. ولا جهد .. تخرج منا حبوب اللقاح ..
- لتحملها الريح إلى أول أنثى .. لتلقاها .. بلا تدلل ولا تمنع ..
- وتحمل وتلد .. أعنى تثر وترمى بذورها .
- لتخرج أولادك من الأرض .. دون أن تحمل مسئولية تربيتهم ..
- لامدارس .. ولادروس خصوصية .. ولا مجموع . ولا تنسيق .. ولا تخرج فى الجامعة .. ولا متاعب توظيف .. ولا مشاكل زواج .. لا شيء من هذا كله ..

- أجل .. أجل .. لن نحمل مسئولية أى شىء .. ليس علينا سوى أن
نربط مكاننا .. ونطلق جذورنا تمتص الغذاء وأوراقنا تشم النسيم وحبوب
لقاحنا تتهاذى لأقرب أنثى .

- بلا منافسة .. ولا غيرة ولا حسد ولا حقد .. ولا وشاية .. ولا نميمة .
ولا خداع .. ولا غش ..

- ولا أى من هذه المتاعب المزعجة .. التى تجعل الحياة لا تستحق أن
نعيشها .

- ولا أمراض .. ولا متاعب .

- لا قرحة .. ولا ذبحة .. ولا جلطة .. ولا سرطان .

- بل لانزلة معوية ولا صداع .. ولا برد .. ولا زكام .

- هل تعتقد أن حياتنا ستكون بهذه السهولة ؟

- طبعاً .. أى شىء يمكن أن يجلب لنا المتاعب . إننا لانطمع فى شهرة .
ولا نأمل فى مجد .. ولا سلطان ..

- إننا ستربح ونستريح .. لا مطمع لنا فى زعامة .. نقود بها الغير ..
ونسودهم .. لا رجاء لنا فى إعجاب .. ولا تصفيق .. ولا هتاف ..

- أجل .. سنظل دائماً .. حيث نحن .. سنورق .. فى موعدنا رغم كل
شىء .. ونزهر رغم كل شىء .. ولن نستطيع أية قوة أو طموح أو ذكاء ..
أن تجعلنا نفعل أكثر من هذا .

- استرحنا أخيراً .

- أنعم الله علينا بنعم الاكتفاء .. والاستغناء .

- هل تظن الحياة ستظل هكذا ؟

- ولم لا ؟

- اسمع .. ألا تشعر بشىء تحت قدميك .. أعنى تحت جذورك .

- مثل ماذا ؟

- أنا أشعر كأن جذورى ترتطم بالصخر .. إن الطريق إلى الغذاء ليس

- معبدا كما تتصور .. إن علينا أن نحفر طريقنا فى الصخر.
- وأنا أشعر بشيء يتسلق على جذعى .
- إنه نبات طفيلى ..
- غير معقول أن أجهد جذورى فى شق الصخور.. وامتص التربة وأحولها إلى غذاء . يأخذه هو من فروعى على الجاهز .
- حتى هنا لا تخلو الحياة من التسلق والتطفل والانتهازية .
- إنى أحس على أوراقى شيئا يلسعنى .
- لعلها حشرة أو إصابة بندوة أو لطة .
- بدأنا مشكلة الأمراض والمتاعب .
- وأحس بالريح تشدد .. إن عاصفة توشك أن تهب .
- ثبت جذورك فى الأرض جيدا .. وإلا اقتلعتنا .
- الحياة لا تبدو مريحة كما تصورنا .
- لا أظن هناك حياة بلا صراع ..
- أجل .. الشيء الوحيد الذى لا يحتاج إلى صراع .. هو الموت .
- على أية حال يجب أن نقاوم .. إنه مصيرنا المحتم .. لقد زرعنا فى الأرض .. وعلينا أن نكافح فى سبيل البقاء .. وأن نزرع .. ونثمر .. وننشر ذريتنا فى الكوكب .. ومن يدري .. قد يحولنا أحد إلى بشر مرة أخرى .
- لا .. لا .. هكذا أفضل كثيرا .. لقد كفرنا بحياة البشر .. دعنا نستريح فى آخر عمرنا .
- واستقر عبد المهيمن وعبد القادر فى أرض الكوكب .. شجرتين بين الأشجار المتكاثفة .. تتلقى أوراقهما النسيم وقطرات الندى والمطر وتضرب جذورهما فى الأرض . تنتزع الغذاء من الصخر..
- لم تكن حياة سهلة كما تصوراها .. ولكن كان عليهما أن يعيشا .. وأن يقاوما من أجل البقاء والنمو والتكاثر . بكل ما يملكان من قدرة .. وأن

يخوضا من أجلها صراعا مع كل العناصر المضادة للحياة .

وفى السفينة كانت الجماعة ترقب هبوطهما .. إلى الأرض .. وتحولهما
إلى شجر .. وبدا عليهم الجزع وهم يرقبون المنظر العجيب .
وقال عبد الراضى وهو يضرب كفا بكف :
- عليهما العوض .. زرعا فى الأرض زرع بصل .
وقال شهيرة وهى تشير إلى اللوحة مشدوهة :
- لقد أورقا .
وقال عبد اللطيف مأخوذا :
- وأزهر .
وقال عبد الحبير :
- لا أظن هناك وسيلة لإعادتهما كما كانا .. إلا إذا حولنا الرعية كلها
إلى بشر ..

وصمت برهة ثم وجه السؤال إلى الجماعة :
- ما رأيكم .. هل نعيد الرعية كما كانت ؟
وقتم عبد اللطيف :
- لنفرقها فى المشاكل والصراع ؟ لا غير معقول .
وتساءل عبد الراضى :
- ولكن لماذا نعيدها ؟
ورد عبد الحبير :
- من أجل الاثنين .
وقال عبد الراضى :
- ولكن من أدراكم أنهما غير مستريحين هكذا ؟
وتساءلت شهيرة :
- أتظنهما سعيدين بصلبتهما هذه على ظهر الأرض .. لا يمكن

حراكا ؟ .

ورد عبد الراضى على الفور :

- طبعاً سعيدين .. لو مكانهما .. لرفضت التحول إلى بشر.. ماذا يريدان خيراً من هذا .. على رأى المثل .. أكل ومرعى وقلة صنعة .. وقال عبد الحبير :

- ثم من غيرالمعقول أن نضحى بالرعية كلها من أجلهما .. ونعيدها إلى الصراع الذى كاد يوشك أن يلقى بها إلى الدمار.. وإلى حالة القرف والضيق واليأس :

وقال عبد اللطيف :

- أجل .. من الإجماع أن نثير فى الكوكب الفتنة البشرية مرة أخرى .. ثم إن عبد المهيمن وعبد القادر .. مازالا حيين .. يأكلان ويشريان ويتنفسان ..

وقال عبد الراضى :

- ويتكاثران .

وأردف عبد اللطيف :

- بغير جهد أو مشقة .

وقالت شهيرة :

- وهما يستطيعان .. أن يمارسا عملية التحكم والسلطان فيما حولهما من شجر .

وتساءل عبد الراضى :

- كيف ؟

وردت شهيرة :

- لن يعدما طريقة يلمان بها بعض الشجيرات تحت فروعهما ويتحكما فى غذائها .. وهوانها . وقال عبد الحبير :

- لاتخشوا عليهما .. إنهما سيعرفان كيف يديران أمرهما .

وصمت برهة ثم قال :

- المهم الآن .. هو أن نبدأ رحلتنا إلى الأرض .

وهتف الجميع فى حماس :

- أجل .. هيا بنا .. إلى الأرض .

وقتم عبد اللطيف قائلا :

- نعود إلى الأرض بأى شىء ؟

وقتمت شهيرة :

- نعود بتجربتنا .

- ماذا تسوى هذه التجربة ؟

وتساءل عبد الخبير وهو يفكر :

- أجل .. ماذا تسوى !! ماذا تعلمنا منها ؟

وقال عبد اللطيف :

- إننا لسنا وحدنا .. فى كون متعدد الجوانب .. والعناصر ..

والمركبات .. إنما الله الأحد .. فى كون مركب معقد .. نحن لانشكل فيه إلا

قطرة فى بحر .. ونحن مسئولون عن أرضنا .. عن حياتنا .. بقوة مركباتنا ..

الذهنية والنفسية والبدنية .. مسئولون عن تشكيل حياتنا .. وحدة بشرية

بحيث تمنحنا الأفضل دائما .

وقال عبد الراضى مؤكدا :

- يجب أن نعود إلى الأرض لعلنا نستطيع أن نفعل شيئا .. أى شىء

.. من أجل ملايين التعساء الذين يقاسون من الجوع والمرض .. والخوف ..

على ظهر الأرض .. فى وقت لجح فيه الإنسان فى الانطلاق إلى الفضاء

والوصول إلى القمر .

وردت شهيرة قائلة :

- أجل .. يجب أن نفيد من تجربتنا لإنقاذ الإنسان من حياة .. بائسة

.. لا يعرف كيف يستمتع فيها بخيرات أرضه ونتاج ذهنه .. فيقضيها - على قصرها - إما فى حرب أو فى انتظار حرب .
وقال بعد اللطيف :

- إذا كان حتما علينا أن نعيش بمركباتنا البشرية من أجل بقاء الحياة ونموها وتطورها .. فيجب علينا أن نجعل من حياتنا قيمة للبشرية ذاتها .. وأن نجعل من الحياة شيئا يستحق أن يحياه الإنسان .. وعلى الأقل يمكن أن يحتمل .. يجب علينا أن نصلح الخلل فى تركيب الذهن البشرى .. إنه يعرف كيف يعمل من أجل ذاته .. ولكنه يجهل كيف يتعامل مع الغير .. إنه ممتاز فى العمل الفردى .. ولكنه قد عجز عن أن يكون وحدة فى كل .. لقد فشل نهائيا فى تحقيق التآلف .. الذى يمكن أن يضع جهده وتقدمه ومنجزاته .. فى عمل موحد من أجل خير البشر .
وقال عبد الحظير :

- أجل .. إن الذهن البشرى وهو أسمى أسلحة الكون قد عجز تماما عن تحقيق الانتصار الحقيقى للبشرية على أعدائها .. إنه سلاح ذو حدين .. حد يوجه الإنسان ليحقق التقدم والرفاهية ولصراع التحديات التى تواجه البشرية من بقية عناصر الكون .. وحد يوجهه لذاته .. لعنصره البشرى .. فيقضى به على ما حققه من مزايا .. ويترك جنسه جزعا قلقا .. حائرا .
ورد عبد اللطيف :

- أجل .. التناقض الحتمى فى مركبات النفس البشرية .. قد يكون سبب الصراع الضرورى لتطور الحياة .. ولكن خلل الذهن البشرى .. وعجزه عن أن يجعل من جهود البشرية .. تروسا منتظمة متناسقة فى حركة واحدة فى آلة التقدم البشرى .. قد أضاع قيمة هذه الجهود .. وأضاع الأمل فى التقدم والتطور الذى يمكن أن يحقق الخير للبشرية .. ويقضى على كل ماتعانيه من هزائم أمام أعدائها الحقيقيين .. وعجزها فى مواجهة الجوع والمرض والخوف .. ووقف هذا الصراع المجنون الذى يهدد بدمارها .

وتسائل عد الراضى :

- ترى هل هناك أمل .. فى قدرة الذهن البشرى على الخلاص مما به من خلل ؟

وأجاب عبد اللطيف :

- لم لانحاول . ما دام الذهن البشرى لم يعطل .. ومادنا قادرين على التفكير.. فإن الأمل .. لم ينقطع .

وقتم عبد الحبيب :

- العناصر المضادة للبشرية ليست هينة .. ويجب أن نواجهها .. كوحدة .. إن الجراثيم والأوبئة والزلازل .. والسيول .. والجوع وكل وسائل التدمير الكبرى التى تواجه البشر فى الأرض .. يجب أن يتكاتف البشر لمواجهةها .. وأن تسأل البشرية كوحدة .. عن كل فرد فى كل مكان .. عندما يموت إنسان جوعا فى الهند .. يجب أن يسأل عنه .. الإنسان فى أمريكا وفى روسيا .. عندما تفتك الزلازل بالبشر فى تركيا .. يجب أن يواجهها البشر فى كل مكان .. يجب أن تتحمل البشرية كلها مسئولية كل فرد فيها .

وقال عبد اللطيف :

- ويجب أن يتحمل كل فرد مسئولية البشرية كلها .. يجب أن يكون طموح الفرد .. طموحا من أجل تقدم الجماعة .. وخير الجماعة .. الطموح والتميز والرغبة فى السبق .. أمر محتوم للتقدم .. ولكن يجب أن يكون فى نطاق الجماعة .. يجب أن يتميز الفرد .. بما يؤديه من خير للجماعة .. من حق الفرد أن يبرز وأن يسبق .. ولكن لحساب فائدة الجماعة .. فإذا أضر تميزه بالجماعة .. فيجب أن يوقف تميزه .. وأن يردع .. والجماعة أيضا يمكن أن تتميز ولكن لحساب المجموع .. إذا حققت تميزا لنفسها فيجب أن يكون فى نطاق فائدة الآخرين .. وليس على حسابهم .

وقالت شهيرة :

- يجب أن يكون التعامل بين الفرد والمجموع على أساس الثقة والحب .. أن يؤمن المجموع حياة الفرد وأمنه وكرامته .. وأن يمنح الفرد جهده للمجموع ورخائه ورفاهيته .

وقال عبد الراضى :

- إنا لم نعدم الأمل فى الأرض .. الناس ما زالوا طيبين .. على كل ما فيهم من أنانية .. ومكر .. وحقد .. ينضوى فى نفوسهم خيط من التضحية .. وإنكار الذات والمودة .. والحنان .. فى نطاق الأسرة .. يكمن الإحساس بالتضحية .. وفى نطاق الوطن يكمن الإحساس بالغداء .. إن نفوس الناس لم تعد أرضا قاسية صماء .. لا ينبت فيها الخير .. إن بها قابلية خصبة لإنبات الحب .. والخير .. ألا يمنحنا هذا أملا ؟

وقال عبد اللطيف :

- رغم كل شئ .. الأمل يجب أن يستمر موجودا .. أجمل فى الأشياء الطيبة التى منحنا الله إياها .. ولم يحجبها عنا .. أويقبض يده بها .. الحياة نفسها .. الحبة التى تنبت .. والنطفة التى تنمو .. والجمال فى الحياة .. الزهور التى تتفتح .. مشرق الشمس ومغربها .. زرقة البحر .. وخضرة السهول .. وبياض الجليد .. دفء الشمس فى البرد .. ورطوبة النسمة فى الحر .. مال الإنسان .. ولطفه .. ورقته .. وخفته .. كل هذا لم يحجبه الله عنها .. ومشاعر الود والمحبة .. وروابط الحب تشد الإنسان إلى الإنسان .. تشد الأب بابنه والأم بوليدها .. لم تدمر الكراهية والأحقاد بعد .. كل الأشياء الطيبة على الأرض .. ومازال الأمل المرجو منها كبيرا .

وقال عبد الحبير:

- والأمل فى ذهن البشرى .. بكل مايتفتق عنه .. من مبتكرات ومخترعات واكتشافات تهىء للبشرية سبل الرخاء والرفاهية .

الأمل فى القدرة الخارقة لذهن الإنسان .. تستنبط من الأرض والسماء إمكانات هائلة للرخاء .. قدرة تسيطر على الطاقة الهيدروجينية المبددة

التي تحوى ملايين الوحدات الحرارية . والتي تستخرج من أرخص الخامات وأكثرها توافرا فى الحياة .. قدرة تستغل كل المساحات الهائلة التى لم تزرع فى الأرض من مناطق تتوافر فيها المياه .. من غابات وسهول .. قدرة تحول مياه البحر إلى مياه حلوة تروى المساحات الهائلة من الصحارى وتنقب فى أعماق البحار عن ثروات مجهولة هائلة .. قدرة تستخرج غذاء الإنسان من بروتينات ومواد سكرية من المياه .. ومن ثانى أكسيد الكربون .. دون أن تتوقف حياته على النباتات الخضراء وعلى لحوم الأحياء .. قدرة تستغل كل إمكانيات الانطلاق فى الفضاء .. وكل الموارد الهائلة للقمر وللكرات والأجرام السماوية .. وتطور وسائل الاتصال بينها وبين الأرض .. بحيث يصبح نقلها ممكنا ومثمرا .. من أجل صالح البشرية كلها .. ومن أجل رخاء الإنسان الذى يجب أن تتوحد جهوده .. من أجل رفاهيته وسلامته .. بدل أن تتبدد فى الصراع الأحمق الذى يشتمل قواه .. ويدمر طاقته .. الأمل فى أن نكف عن شهوة السيطرة والسلطان والاستعباد .. وأن نركز جهودنا فى استنباط الخير للجميع .. وهو بفضل الذهن البشرى .. والإمكانيات الكونية .. يفوق حاجة البشرية كلها .. بحيث لا يعود هناك مبرر للنزاع عليه والاستئثار به .

وقال عبد الراضى :

- الأمل فى أشياء كثيرة .. أكبرها .. أن الله موجود .. وأنه لم يتخل .. ولن يتخلى عنا... على كل ما نفعل من هنات وخطايا ليس أقلها السهو عن وجوده .. والشكر له .. الأمل فى رحمته ومغفرته .

وقال عبد اللطيف :

- الأمل فى أن يهتدى الإنسان وأن يستمتع بالحياة ويمتع بها غيره وألا يقيم سعادته على شقاء الغير ولا يبنى مجده على عذاب الآخرين .

وقال عبد الخبير :

- الأمل فى أن نحل المعادلة الصعبة الكامنة داخل الإنسان والتي

يشكلها حب ذاته .. وقدرته على التضحية من أجل الغير.. وأن يصبح تميز،
لحساب الجماعة وليس على حسابها .
وانطلقت السفينة نحو الأرض .. تحمل بضعة من البشر .. مجرد
بشر.. مازال أصحابها .. رغم كل شيء يملأ نفوسهم أمل في البشرية بكل
ما تملكه من إيمان بالله .. وإحساس بالحب .. ورغبة في الخير .. وثقة في
العلم .

(تمت)

فهرست

صفحة

٥	١ — خفيف بلا جسد
١٩	٢ — الزوجة السادسة
٣٥	٣ — مجرد إنسان
٥٣	٤ — بلا أسرة ، بلا سمعة
٧١	٥ — شركة بالإكراه
٨٩	٦ — حب أفضى إلى زواج
١٠٥	٧ — نزيل في فندق
١٢٣	٨ — رغبة في التحدى
١٣٩	٩ — نحو الأضواء
١٥٧	١٠ — ثلاثة أرناب
١٧٥	١١ — أسياد على الأرض الجديدة
١٩٣	١٢ — ظهر القمر
٢٠٩	١٣ — مجرد فكرة
٢٢٧	١٤ — رعية من الشجر
٢٤٣	١٥ — عسكري المرور
٢٦١	١٦ — حل رجالي
٢٧٧	١٧ — فوضى
٢٩٥	١٨ — الهداية
٣١١	١٩ — الغضب
٢٧	٢٠ — تركة الأجيال
٣	٢١ — الثواب والعقاب
١	٢٢ — مشوار في الفراغ
٧	٢٣ — أمل في البشرية

للمؤلف

- | | | |
|--------------------|-------|----------------------|
| (قصص قصيرة ١٩٤٧) | . . . | أطيان |
| (رواية ١٩٤٧) | . . . | نائب عزرائيل |
| (قصص قصيرة ١٩٤٨) | . . . | اثنا عشرة امرأة |
| (قصص قصيرة ١٩٤٨) | . . . | خبايا الصدور |
| (قصص قصيرة ١٩٤٨) | . . . | يا أمة ضحكت |
| (قصص قصيرة ١٩٤٩) | . . . | اثنا عشر رجلا |
| (رواية ١٩٤٩) | . . . | أرض النفاق |
| (قصص قصيرة ١٩٤٩) | . . . | في مكتب الهوى |
| (قصص قصيرة ١٩٤٩) | . . . | من العالم المجهول |
| (قصص قصيرة ١٩٥٠) | . . . | هذه النفوس |
| (رواية ١٩٥٠) | . . . | أني راحلة |
| (قصص قصيرة ١٩٥٠) | . . . | مبكي العشاق |
| | | بين أبو الريش وجنيّة |
| (قصص قصيرة ١٩٥٠) | . . . | ناميش |
| (قصص قصيرة ١٩٥١) | . . . | أغنيات |
| (مسرحية ١٩٥١) | . . . | أم رتيبة |
| (قصص قصيرة ١٩٥١) | . . . | هذا هو الحب |
| (قصص قصيرة ١٩٥١) | . . . | صور طبق الأصل |
| (رواية ١٩٥٢) | . . . | بين الأطلال |
| (رواية ١٩٥٢) | . . . | السقا مات |
| (قصص قصيرة ١٩٥٢) | . . . | سماز الليالي |
| (قصص قصيرة ١٩٥٢) | . . . | الشيخ زعرب |
| (قصص قصيرة ١٩٥٢) | . . . | نفحة من الإيمان |
| (مسرحية ١٩٥٢) | . . . | وراء الستار |
| (قصص قصيرة ١٩٥٣) | . . . | ست نساء وستة رجال |
| (قصص قصيرة ١٩٥٣) | . . . | هذه الحياة |

(١٩٥٣)	رواية	البحث عن جسد
(١٩٥٣)	مسرحية	جمعية قتل الزوجات
(١٩٥٣)	رواية	فديتك يا ليلي
(١٩٥٣)	قصص قصيرة	ليلة خمسة
(١٩٥٣)	قصص قصيرة	همسة غابرة
(١٩٥٤)	رواية في جزأين	رد قلبي
(١٩٥٥)	قصص قصيرة	ليال ودموع
(١٩٥٦)	رواية	طريق العودة
(١٩٥٧)	مقالات	أيام تمر
(١٩٥٨)	مقالات	من حياتي
(١٩٥٩)	مقالات	لطمات ولثامات
(١٩٦٠)	رواية في جزأين	نادية
(١٩٦١)	رواية في جزأين	جفت الدموع
(١٩٦١)	مقالات	أيام مشرقة
(١٩٦١)	مقالات	أيام وذكريات
(١٩٦٢)	مقالات	أيام من عمري
(١٩٦٤)	رواية في جزأين	ليل له آخر
(١٩٦٦)	مسرحية	أقوى من الزمن
(١٩٦٩)	رواية في جزأين	نحن لا نزرع الشوك
(١٩٧٠)	رواية	لست وحدك
(١٩٧٠)	مقالات	من وراء الغيم
(١٩٧١)	مقالات	أيام عبد الناصر
(١٩٧١)	رواية	ابتسامة على شفثيه
(١٩٧١)	رحلات	طائر بين المحيطين
(١٩٧٣)	قصة	الممر لحظة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السخار وشركاه

رقم الايداع ٨٦/٧٤١٨
الترقيم الدولي ٠ - ٢٦٨ - ١١ - ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - النجيلة



الثلث ٩ جنيهات

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه